ظرَّتِ الْإِعَالَامِيَّ الْأَعَالَامِيَّةُ الْمُعَالَّمِيَّةُ الْمُعَالِّمِيَّةُ الْمُعَالِّمِيَّةُ الْمُعَالِ

مطبوتها فالمنبذ كالر

نَظَرُنَيْتِ الْأَغِلَامِزَعَ في الدعسوة الإسسالمية

بقلع أمينه الصادى مد د.عبالعزيزشرف

> لانات. مكت بدمصيت ۳ شارع كامل سدتي -المغالذ



مامين الحرادلة للأري تغرين هبرالعزز

بسماكة الرحمن الرصيم

إهسداء .

إلى والد الإعلام الإسلامي في القرن الخامس عشر: حدى:

حضرة صاحب آلجلالة الملك المفدى

فهد بن عبد العزيز

حفظه الله ورعاه ، وأعزّ به الإسلام والمسلمين .

أمينة الصاوى و عبد العزيز شرف

محتويات الكتاب

الصفح		
٥	قلمة	11
٩	. خل : الإعلام وعملية الاتصال بالجماهير	ما
	الفصل الأول	
۲۲	علام في المجتمعات القديمة	ijι
*	الفصل الثاني	
T7	علام في المجتمع العربي القديم	ÅΙ
	القصل الثالث	
٦٨	كلوجية الاتصال في المجتمع العربي القديم	أيد
	الفصل الرابع	
4	رآن الكريم ونظرية الإعلام الإسلامي	الق
	الفصل الخامس	
44	مدعليه الصلاة والسلام : الداعية الأمثل	عی
	القصل السادس	
110	شكال الاتصالية في الدعوة الإسلامية	١Ų
1-40	القصل السابع	
۱۳۷	عوة الإسلامية وتطور الإعلام الإسلامي	الد
	القصل الثامن	
١٥٣	علام الإسلامي في حاضره	Y
	الفصل التاسع	
144	علام الإنساني والإعلام الدولي	Y
	الفصل العاشر	
Y : V	س الإعلامية للدعوة الإسلامية	Ý.

المقدمة

لقد حظيت نظم الإعلام في المجتمعات المختلفة بالدراسة العلمية الدقيقة . التي توضع علاقة الإعلام بالبيئة الفكرية والقوى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فظهرت بحوث شنى حول الإعلام في النظام الفاشيستي والنظام النازى ، وكذلك في النظم المعاصرة في الغرب وفي الشرق على حد سواء .

وفى هذه الدراسات نجد أن دراسة الإعلام تعنى بيحث علاقة الفرد بالمجتمع . بالدولة ، ومفهوم المعرفة ، وطرق الوصول إلها ، وأنظمة إصدار الصحف والمطبوعات والرقابة وغيرها .

وعلى الرغم من كترة هذه الدراسات فى عنطف دول العالم ، إلا أن علماء الإعلام يقرون جميعا بقصور النظم الإعلامية المختلفة عن الوقاء بنظام أمشل الإعلام على المستويات القومية واللولية . ولم يفعل هؤلاء ــ ولا لوم عليهم ــ إلى ما يتضمنه نظام الإعلام الإسلامى من حلول لأكثر المشكلات تعقيدا فى أحدث النظم الإعلامية المعاصرة ، بل أن هذا الميدان فى الدراسات العربية المعاصرة لا يزال بكرا لم يظفر باهتام من الباحين لدراسة نظم الاتصال والدعوة والإعلام ، مع أن المجتمع الإسلامى قد قام أساسا على فكر جديد ، وتشريعات مستحدثة لم يعرفها العالم من قبل ، ونظرة رائدة إلى الإنسان ، ومفهوم متطور للغاية للمجتمع والدعوة ووسائلها .

حقيقة أن هناك بعض الدراسات السريعة عن الدعوة الإسلامية ، ولكن معظمها يفتقر إلى التحليل والتكامل والأسلوب العلمي . لذلك فإننا نرى أن هذا الميدان البكر جدير بالدراسة والاهتمام : ونؤمن بأن دراسة الإعلام الإسلامي ستوفر على الصعيدين الإسلامي والدولى حلولا لأعقد المشكلات التي يتصدى لها الإعلام في العالم اليوم ، ولذلك طرحنا في المبداية عددا من الافتراضات على أمل أن يجيب عنها البحث في فصوله المختلفة ، حتى يتسنى لنا فهم النظام الإعلامي في الإسلام :

- ــ ماذا يتوقع الإنسان المعاصر من النظام الإعلامي في الإسلام ؟
 - ـــ ما هي وظائف نظام الإعلام الإسلامي ؟
 - ـــ ما مدى الحرية التي يتمتع بها ؟ وماذا تعنيه بالحرية ؟

ولذلك كان على هذا البحث حتى يجيب عن هذه التساؤلات أن يدرس ما يعتنقه المجتمع الإسلامي من معتقدات: _ ما هو رأى المجتمع الإسلامي في طبيعة الإنسان ؟

والإسلام يجيب عن هذه التساؤلات على النحو الذى يجعلنا قادرين ــــ بعون الله وتوفيقه ــــ على تحديد الصورة العلمية لنظام الإعلام الإسلامى وتظريته فى الاتصال بالجماهير .

وإذا كان الأفسال كلمة عامة شاملة ، فإننا قد اتخذنا منها إطارا للبحث في هلا الكتاب ، ودراسة الإعلام الإسلامي من خلال دراسة الاتصال الطبيعي والشخصي والمسناعي غير المباشر ، والذي تستخدم فيه الوسائل التكنولوجية البصرية كوسائل للاتصال . ذلك أن الاتصال كمفهوم أو مصطلح يشير إلى العلاقة التي تكون بين الناس داخل نسق اجتاعي معين يختلف من حيث الحجم ومن حيث نوع النشاط السائد فيه ، يمني أن هذا النسق قد يكون بجرد علاقة ثنائية علمية بين شخصين ، أو بين جماعة صغيرة أو مجتمع على أو مجتمع قومي ، و يكن أن يكون على مستوى العالم كله . وانتخلف الأزمان ، ولذلك فإن الإحلام الإسانية جميعها على توالى المصور والنتة الصحيحة .

ومن ذلك أن عملية الإعلام فى الاتصال الإسلامي تشتمل على محسة عناصر رؤسية هي: المُوميل الذي يصوغ فكرته في رموز معينة ، ويبعث بها إلى المُستقبل الذي يفك هذه الرموز ويفسر معناها ، ثم يستجيب لها معبرا عن رد فعله أو انطباعه بوسالة جديدة يصوغها في رموز ، ويبعث بها إلى المرسل الأول الذي يستقبلها ويحل رموزها ويستجيب لها . وهكنا تدور دورة الاتصال وتشكل أهم خصائص المجتمع المتفاعل وهذه التعاملات يمكن تضبيهها بالمراحل المتفاعلة التي تتضمنها علوم المختصفة والنفس والاجتماع ، غمن الناحية المفتدمية نجد الوسائل يقصد بها يرسال واستقبال الإشارات ، وهكنا على نحو ما يفسله العلماء . والواقع أن عملية الإعلام تجرى في سلسلة ذات حلقات متاسكة ، ويؤدى صعف أي حلقة فيها إلى ضمف السلسلة كلها . فالمرسل والمستقبل ووسيلة الإعلام حلقات متصلة متكاملة في عملية الإعلام . وهذا ما توفره وأكمل أمانة ، وأظهر صياتة ، لأنهم مأمونون على الدماء والأموال » .

فالمرسل في نموذج الإعلام الإسلامي . يجب أن يحتار بعناية حتى يكون و أفضل في

عقله ، وضبطه ، وأدبه ، وعارضته ، ودينه ومروعته » . فقد كان يقال « ثلاثة تدل على أهلها : الهدية على الحاتب على الحاتب على الحاتب على الكاتب » . وكان يقال : وكان يقال المحتب على الكاتب » . وكان يقال « رسول الرجل مكان رأيه وكتابه مكان عقله » . وكذلك جعل الله عز وجل سرسله أفضل خلقه ، وأخير أنه اصطفاهم على العالمين ، فقال ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسائه ﴾ الأنعام ؟ ٢ . .

وعلى المرسل أو الرصول في عملية الإعلام الإسلامي أن يؤدي ما حمّل ، كما قال الله غو وجل هو المؤلف المنافق وجل هو أغا عليه ما حمّل في النبور ٤٥ . وكما قال هو فهل على الرَّسُل إلا البلاغ المبين في النحو ٥٣ . وإنما وجب عليه البلاغ لأن الرسالة أمانة فعليه تأديتها ، لأن الله عز وجل يقول هو إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها في النساء ٥٨ . وليس للرسول أن يزيد في الرسالة ، ولا أن يتقص منها لأن ذلك عيانة للأمانة ، إلا أن يكون المصلر فوض إليه أن يتكلم عنه بما يرى ، فقد قال الشاعر :

إذا كتت في حاجة مرسلا فأرسل حكيما ولا توصه

و يذهب علماء الإسلام إلى أن المرسل المصدر عليه وأن يتخير من الرسل من لا يكون فيه من العيوب مثل: الحدة والحسد والفغلة ، والعجلة ، فإن صاحبها يضع الأشياء في غير مواضعها ، ويسبق بها أو قات فرصتها ، وقد قبل و رب عجلة تهب رينا ، وفي كتابنا الكريم آيات ينهني أن يتمثلها الموسل في الإعلام الحديث لما ترسمه من مثل عليا . قال تعالى في ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادهم بالتي هي أحسن في النحل م ١٢٥ .

فالإعلام يقوم في الأصل على الإقتاع ، والنظرية الإسلامية في الإعلام تنبي عن الإكراه ، قال تمالي ﴿ وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ه فلملك فادع واستقم كم أمرت ولا تنبع أهوايهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل ينكم الله وأمرت لأعدل ينكم الله يجمع بيننا وإليه المصور ﴾ الشوري ٤ ١ ... ه ١

و ﴿ قُلَ لَلْذِينَ أُو تُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ أَأَسَلُمَعَ فَإِنْ أَسْلُمُوا فَقَدَاهَتُمُوا وَإِنْ تُولُوا فَإِنَّمَا عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ آل عمران ٢٠

﴿ كَذَلْكَ يَبِينَ اللهُ لَكُمْ آياته لَعَلَكُمْ تَبَنَّدُونَ وَلِتَكُنَ مَنْكُمُ أَمَّة يَدْعُونَ إِلَى الخَير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ آل عمران ١٠٣ ـ ١ ـ ٤٠ ﴿ ﴿ فِنْ أَعْرِضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكُ عَلَيْمٍ حَفِظًا إِنْ عَلِيكَ إِلَّا البَلاغَ ﴾ الشورى ٤٨ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُ إِلَا كَافَة لَلْنَاسُ بِشَيْرًا وَنَذِيرًا ﴾ سَبًّا ٢٨ رِ كما نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على الأخلاق التي يجب أن يتميز بها رجل الإعلام بوجه عام ، والتي تميز بها رابط الإعلام بوجه عام ، والتي تميز بها الرسول الكريم عليه الإعلام وحسن المعاملة والجلل بالتي هي أحسن والإعراض عن الجاهلين والمنافقين والبعد عن المغلظة ، قال تعالى فو فها رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ التلف المنظم .

والبحث بذلك نحو جديد من أنحاء الدراسة الإعلامية أريد به شق طريقه أولا ، ثم تأصيل هذا الطريق بعد، في سبيل استكمال نظرية الإعلام الإسلامي ، والوقوف عند كل جزئياتها وكلياتها .

ونسَّالُ اللهِّ أَن يوفقنا في شق هذا الطريق، فجل من لا يخطئ تحيزا أو قصورا في عالم البشر .

المؤلفات

أمينة الصاوى ، عبد العزيز شرف

الإعلام وعملية الاتصال الجماهيري

الإعلام أسلوب من أساليب الاتصال بالجماهير ، ذلك أن الاتصال بالجماهير يضم عددا من الأساليب الاتصالية ، منها الدعاية والتعليم والعلاقات العامة والإعلان

ولذلك عند التصدى لدراسة أى أسلوب من هذه الأساليب ، تجب التفرقة بينها بحيث يتوصل الدارسون إلى الدلالة الصحيحة والعلمية لكل منها .

على أن هنالك تحفظا يجب إيراده في هذا السياق ، وهو أن الفروق بين أساليب الاتصال بالجماهير ليست فروقا عملية واضحة حادة صارمة ... فالقول مثلا بأن الاعلام عقلي في منهجه والدعاية انقطائية في أسلوبها قول مردود عليه (لأن الداعية الإعلام عقلي في منهجه والدعاية انقطقي إذا كان يسعفه ذلك في الوصول إلى بغيته ... كما أن كثيرا من الأخبار والمعلومات التي تعتبر عناصر إعلامية يعوزها التفكير العقلي والتسلسل المنطقي ... ويطغى عليها أحيانا أسلوب التهويل والضخامة المفتعلة ، مما على احتيار الأخبار وترتبيها بطريقة فنية وعرضها بأسلوب إيحائي يقترب من الدعاية و(١) الدعاية و(١) الدعاية (١) .

ولذلك يخلط البعض بين الإعلام والدعاية ، ويذهبون إلى أن الإعلام كالدعاية في عاولته التأثير في أفكار الناس وحفزهم إلى سلوك معين مرغوب فيه من وجهة نظر المرسل - أى المصدر الذي يوجه الرسالة الإعلامية - وهذا التعريف ينطبق على الدعاية بصفة خاصة ولا ينطبق على الإعلام . . فو والتبر لهان Walter Lippman يقول : وإن الدعاية هي عملولة التأثير في نفوس الجماهير والتحكم في سلوكهم لأغراض تعتبر غير علمية ، أو ذات قيمة مشكوك فيها في مجتمع ما وفي زمن معين ؟ . أما لندل فريزر Lindley Fraser فيقول : وإن الدعاية نشاط أو فن إغراء الآخرين بالتصرف بطريقة معينة بحيث إنهم ما كانواليتصرفوا بها في حالة غياب هذه الدعاية ؟ . بالدعاية ، مرغم أن أهم بجال تستعمل فيه هو المجال الذي يتعلق بالسياسة الدولية - إلا أنه

⁽١) د . إبراهيم إمام : الإعلام والاتصال بالجماهير ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٥ ط ٢ ص ٢٣

ليست كل دعاية سياسية دعاية عالمية والمكس صحيح . . وفى نطاق المجال السيامي نجد أن الدعاية تمارس عن طريق الأحزاب ومجموعات الضغط أو التأثير ــــإذ تحاول كل منها إتناع الجماهير بالانحياز إليها وتأييد قضيتها 8 .

وإذا كان الإعلام يستند إلى التنوير والتثقيف ، وغاطب العقول لا العواطف والأهواء ، ويستخدم أسلوب الشرح والتفسير والجدل المنطقى ، فإن الكثير من المول أحدث تنبذ كلمة الدعاية و تفضل علها كلمة الإعلام ـــ على اعتبار أنها تعبر عن المدقة و الموضوعية والصدق .

ومن الملاحظ أن الدول تعتبر نشاطها إعلاما ... ولكنها تعتبر نشاط الدول المعادية دعاية ... غير أن كلمة إعلام نفسها قد أخلت هى الأخرى تتسم بنفس السمات التى لحقت بكلمة الدعاية ، وذلك نتيجة لما حدث من تزييف وعبث فى الأرقام والحقائق والمعلومات ، واستخدام الأخبار للتأثير على الناس عن طريق اختيار بعضها دون البعض الآخر ، وعن طريق أساليب العرض فى الصفحات المختلفة والمساحات المتتوعة ... وكذلك إهمال بعض الأخبار وعدم الإشارة إليها أو وضعها فى أماكن غير ملفتة للأنظار ، وعرضها بطريقة تبن أنها غير هامة .. بل إن فى الإذاعات وساعات الإرسال التيفزيونى فترات تسمى بالفترات الميتة ، وهى الفترات التى يبيط فها اهتام المستمعين أو المشاهدين أو تمنعهم أعمالهم من الاهتام بها ... وهذه الفترات هى التي تحال إليها المواد غير الهامة أو التي يبراد لها أن تكون كذلك .

والمعروف أن الأخبار الموضوعية قد أصبحت نهيا للاستضلال والتحريف والاختيار ، من أجل خدمة قضية معينة بأسلوب ظاهره الموضوعية وحقيقته التحيز والبعد عن الإنصاف(١) .

ولذلك يذهب البعض إلى وضع الإعلام في نفس مرتبة السياسة الخارجية ، التي توصف عادة بأنها و كفاح من أجل السيطرة على عقول الناس » .

ومن هؤلاء هانز مورجتنا و ... في كتابه 3 السياسات الدولية 9 يصف الدعاية بأنبا و تجمع بين الدبلوماسية والقوة العسكرية بوصفها قوة ثالثة تحلول السياسة الخارجية عن طريقها تحقيق أهدافها التي ترمي أبدا إلى تحقيق مصالح فرد بعينه بتغيير تفكير خصمه ٤.

معنى ذلك أن الأعلام يتوخى ، من حيث الهدف النهائي ، ما تتوخاه السياسة

⁽١) المرجع نفسه ص ١٣

الحارجية ، أى تحقيق الأهداف عن طريق تفير تفكير الجمهور المستبدف ، أو التأثير في تفكيره . . والفارق هو أن الاعلام ، وخاصة ما يمكن أن يسمى بالإعلام و الرسمى ، أو و الحكومي ، وهو الإعلام السائد في العالم العربي وفي غيره من الدول الشمولية ، لا يتول بنفسه تحديد أهدافه التي يسمى من أجل تحقيقها إلى و تغيير تفكير الحصم ، ، ، وإنما و السياسة الخارجية ، أو و سياسة الدولة ، بصفة عامة هي التي تتولى تحديد هذه . الأهداف .

وهـ الم يجمل و الإعلام ، في حالته هذه في أو عالم و الرسمي ، أو و المحكومي ، و المرسمي ، أو و المحكومي ، و المحكومي ، في عكس ما هو عليه في النظم الليبرالية غير الشمولية حين يكون الإعلام حرا ، أو غير متقيد بالأهداف الرسمية المحددة له سلفا . . ففي هذه الحالة الأخيرة يسهم الإعلام في تحديد أهداف الدولة وسياستها الخارجية ، كما يسهم في تعديلها والتأثير فيها على نحو أو آخر . .

وتعتبر حرب فيتنام نموذجا لدور الإعلام في 3 تغيير الأفكار » في مجتمع حر . فقد استطاعت و فيتنام » ـ وهي قوة صغرى بالنسبة للولايات المتحدة ـ أن تقنع الشعب الأمريكي بعدم جدوى الحرب مما أدى إلى تغير في التفكير الأمريكي _ أو في تفكير الجمهور المستهدف ـ و والتالى في أهداف السياسة الأمريكية ذاتها . ولعل هذا يثبت عدم دقة تعريف « مورجنتاو » السابق حين جعل الدعاية قوة ثالثة بعد قوتين هما القوة عدم دقال المتحدث المرة قد الدبلوماسية والقوة العسكرية . إذ الواقع أن « الإعلام » في كل المجتمعات الحرة قد يكون القوة الأولى التي تتأثر بها كل من « القوة الدبلوماسية » و « القوة العسكرية » .

وإذا كان مفهوم الدعاية قد تدهور فأصبحت تعنى خلق جُو من الإغراء والاستهواء بغض النظر عن الموضوع الذى ترمى إلى الاستالة إليه ، فإن الإعلام قد تحمد مفهومه العلمى بأنه يعنى تزويد الناس بالأخبار الصحيحة ـــ والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائم أو حشكلة من المشكلات ، بحيث يعير هذا الرأى تعيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتها المسلكلات ، وهكذا تكون الفاية الوحيدة من الإعلام هي الإنماع عن طريق المعلومات السليمة والحقائق والأرقام والإحصاءات وما إلى ذلك. ويقدم أو توجروث Otto-Groth يتعربي الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها وإتجاهاتها في الوقت نفسه هذا) .

Otto Groth; Die Unerkannte Kulturmacht, (Berlin, De bryer) 1961 (1)

وهكذا يمكن القول إن الإعلام بأبسط تعاريفه هو التبليغ والتوعية والتوجيه عن طريق الاتصال بالجساهير ، ولـذلك يعتبر الإعلام شكـلا من أشكـال الاتصال الجماهيرى .

و كلمة الاتصال Communication مشتقة في لفظها الإنجليزي من الأصل اللاتيني Common أي Communis ومعناها مشترك .. فعناما نقوم بعملية الاتصال ، فنحن نحاول أن نقيم و رسالة مشتر كة Commonness مع شخص أو جماعة أخرى ، أي أثنا نحاول أن نشترك مويا في معلومات أو مواقف واحدة ٤ .

وتحتاج عملية الاتصال إلى عناصر ثلاثة على الأقل : المصدر والرسالة والهدف. Destination .

المصلر : يمكن أن يكون شخصا (يتحدث أو يكتب أو يرسم أو يومئ . .) أو هيئة اتصال (مثل الصحيفة أو دار للنشر أو محطة تليفزيون أو استوديو السيغا ، .

أما الرسالة : فيمكن أن تكون على شكل حير على الورق .. أو موجات صوتية فى الهواء .. أو نبضات فى تيار كهربائى ، كما يمكن أن تكون تلويما باليد أو علما يرفرف فى الهواء أو أى إشارة أخرى يمكن تفسيرها وذات دلالة ومعنى ..

أما الهدف: فيمكن أن يكون شخصا ينصت أو يشاهد أو يقرأ ، ويمكن أن يكون عضوا في جماعة مثل جماعة مناقشة ، أو شخصا من بين المستمعين مخاضرة ، أو فردا في حشد يشاهد كرة القدم .. أو قارئا لصحيفة ، أو مشاهدا للتليفزيون ، وغير ذلك من مستقيل الرسالة الاتصالية(١) .

ويعرف الاتصال بالجماهير بأنه و بث رسائل واقعية كالمفومات والأعبار التي تتشرها وسائل الإعلام عن الأحداث المختلفة ، أو بث رسائل خيالية كالمقصص والروابات والأغاني على مجموعات كبيرة من الناس .. على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعة والثقافية ، وعلى اختلاف أماكن تواجد هذه المجموعات .

وإذا كان بعض المفكرين(٢) قد حدد عناصر عملية الاتصال بثلاثة عناصر هي :

Badr, Ahmad A. "Some Aspects of National and International (\)
Understanding as affected by Freedom of Communication". Master's Thesis,
School of Library Science, Western Reserve Univ. 1961, Schramm, (ed.) The
Process and Effects of Mass Communication. Urbana, 1954.

Ohara, Robert C. Media for the Million, New York 1961, p. 6 (Y)

(الصدر والرسالة والهدف).

فإن مفكرين آخرين أهمهم هارولد لاسويل قد أطلقوا السؤال التالي باعتباره معبرا عن عملية الاتصال بعناصر ها الخمسة وهي :

(من يقول ؟ ماذا يقول ؟ بأية طريقة يقول ؟ إلى من يوجه قوله ؟ بأية فاعلية ؟ وطبقا لهذا التحريف فإن العملية الإعلامية تمر بخمس مراحل :

١ ــ و جود مصدر أو معلم Source or Informer لديه شيء يريد نقله إلى آخرين .

Y _ هذا الشيء هو ما يسمى بالرسالة الإعلامية أو Message .

" - لا بد من تحديد و الوسيلة و الإعلامية لنقل هذه الرسالة (خطابة _ إذاعة ...
 تلهفزيون _ نشرة _ صحيفة _ سينا . . إلخ) .

٤ ــ ولابد من تحديد ٥ الجمهور ٤ المستهدف بهذه الرسالة الإعلامية .

م شم قياس فاعلية التأثير في هذا الجمهور ، والذي يعرف أحيانا بوجهة الإعلام أو
 مدنه Destination

تحدد أهداف الإعلام بأنها أهداف:

١ ــ تعليمية ثقافية .

۲ ــ سیاسیة .

٣ ــ ترفيبة ، والبعض يغفل هذا الجانب أو الهدف الأخير على أساس أن الترفيه كالجملة الاعتراضية في هدف ثقافي أو سياسي متصل . ولكننا نعتقد أن الترفيه أساسي لهذاء الإنسان أولا ، وخلق الجو الملاهم لتوصيل الرسالة الإعلامية ثانيا . فالرسالة الثقافية أو التعليمية أو السياسية التي تأتى لإنسان في حالة تقبل نفسي للمعرفة بسبب قسط و آخر من الترفيه ، تستقر في نفسه بصورة أكثر تمكنا وأقوى مفعولا .

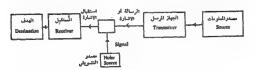
ولكن سيفنسون(١) Stephenson وجه نقده لنظرية لاسويل .. على اعتبار أن الأخير يطالب بأن يحكم العالم علماء السياسة ، مشبها لاسويل بأفلاطون في جمهوريته المثالية التي حبّد فيها ضمنا حكم الفلاسفة للعالم .. وقد قدم ستيفنسون و نظرية الإمتاع ، باعتبار أن التسلية والترويح يشكلان الجزء الأكبر والأهم في عملية الاتصال .

وإذا كانت بحوث الاتصال تهم بتكوين الرأى العام عن طريق الحوار والمناقشة ـــ فقد أصبح من الضرورى كذلك أن تهم بحوث الاتصال بتكوين اللوق العام والثقافة عن طريق العناصر الاجتاعية كالقصص والفنون والآداب .. ولاحظ ستيفنسون مثلا

Stephenson, W. The play theory of mass communication Chicago, (1)
Univ. of Chicago Press, 1969.

أن البرنامج الإذاعي الناجع يحوى على الأحبار السياسية والتعليقات و أخبار الأحداث والكوارش. وغيرها من الإيقاع الاتصالى الذي يمثل التورّ . . مُ تأتى بعد ذلك البرامج الموسيقية والغتائية والتمثيليات الحفيفة تمثل الهلوء والإمتاع حداًى أنه إذا استمر الضغط الإعلامي أصبح الاتصال أمرا لا يطاق ، وقد يعطى تأثيرا عكسيا ، ولكن الفترات الإمتاعية تبدد قوة الضغط و تعطى القارئ أو المستمع أو المشاهد فترة من الراحة تماما كا يحدث في التراجيديات والأعمال المرامية بوجه عام ، حيث يتحتم تقديم مشهد ترفيهي يتخلل المشاهد التراجيدية العيفة وهو المشهد الذي يطلق عليه Releif Scene والذي يمثل هنرة الاسترخاء العقلي والنفسي عند المتلقى بعد المشهد العنيف الذي مرّ به ، و في الوقت نفسه يجعله مستعدا لاستقبال المشهد العنيف النالي .

وهناك نحاذج وأتماط أخرى لعملية الاتصال في مقدمتها ما قال به علماء الهندسة والطبيعة والرياضة ، وما قدموه من مقارنات بين الاتصال الإليكتروني والاتصال البشرى ومنهم ويفر W. Weaver وشانون Claude Shannon وقد عبرا عن نموذجهما. على النحو التالى:



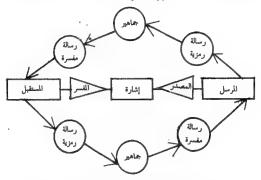
ومن هذا المحرفج يتضبح أن مصدر المعلومات يحتار رسالة معينة ليرسلها إلى هدف معين ، ثم يبعث بهذه الرسالة عبر الجهاز المرسل ، ويمكن أن يكون المرسل ميكرفون يحول الموجات الصوتية المنبعة من المصدر إلى موجات كهربائية تسرى بشكل إشارات في الأسلاك إلى معينة المستقبل ... أى الهدف ... التي تحول الموجات الكهربائية إلى موجات صوتية يستطيع الهدف أن يلتقطها (١) . وهذا اللهوذي يقضى على كل مصادر التداخل والتشويش في نظام الاتصال و نقل المعلومات ... ولمل هذا هو الذي جعل الكثير من العلماء في الأحياء واللغة والفلسفة والوراثة والمشتغلين بالفنون و علماء الرياضيات والنفس يتصون بهذا النوذج ، ويطبقونه في مجالات واسعة من احتصاصاتهم.

Shannon, C. & W., Weaver., The mathematical theory of (\) . communication - 1949

و هناك بموذج آخر طرحه ولبور شرام يقول فيه و إننا عندما نتصل بغيرنا فإننا محاول أن نقيم مشاركة مع من نتصل به ، أو بعبارة أخرى _ إننا نحصل على المرسل والمتسلم لرسالة معينة ١١٠ .

فالمرسل عند شرام يحاول توصيل معلوماته أو مشاعره التي يحولها إلى كلمات مسموعة أو مكتوبة ، وبعدأن ترسل الرسالة يتوقع المرسل أنها قدر سمت في ذهن المتلقى الصورة نفسها التي كانت في ذهنه .

وقد ركز شرام تركيزا قويا على عنصر الاستجابة لدى المتلقى ورجع الصدى Feed back اللدى يمثل هذه الاستجابة لما قاله المرسل وبعث به إلى المتلقى ـــ وبذلك تكون الدورة الاتصالية عند شرام ممثلة على النحو التالى :



ومن هذا يتضح لنا أن الاتصال 3 عملية يتم فيها تبادل المفاهيم بين الأفراد ـــ وذلك باستخدام نظام الرموز المعروفة ـــ كاللغة بمفهومها العام ـــ وهذا التعريف يتفق مع ما جاء فى قاموس وبستر ـــ فالاتصال يتضمن تفاعلات متبادلة ـــ أولها يتمثل فى إرسال واستقبال الرسائل ـــ وفانيها فى تحرير وفهم تلك الرسائل ـــ وثالتها فى المشاركة والتناغم مع أفكارها . وهذه التفاعلات يمكن تشبيهها بالمراحل المتداخلة التى تتضمنها

Wilbur Schramm, How communication works, the process and (1) effects of mass communication, Univ. of Illinois, Urbana, 1955, p. 3.

الهندسة وغلما النفس والاجتماع ــ فمن الناحية الهندسية تجد أن الرسائل يقصد بها إرسال واستقبال الإشارات وهكذا .

ويمكن تشبيه عملية الإعلام بالعمود الفقرى للكائن الحي ، كما يمكن القول إن أى ضعف في أى فقرة من فقرات هذا العمود يؤدى إلى ضعفه ، وبالتالي ضعف الكائن الحر نفسه .

فالمرسل والمستقبل والرسالة ووسيلة الإعلام فقرات متكاملة مترابطة شديمدة التماسك في عملية الإعلام السليمة .

والمستقرئ للتراث العربي والإسلامي يخرج من استقرائه بناذج أوفى وأوفر لعملية الاتصال التي وإن لم تكن قد عرفت بهذا الاسم ، إلا أنبا قد عرفت عند البلاغيين العرب. بأسماء أخرى تفيد معنى الاتصال بمفهومه المعاصر .

وإذا كانت اللغة هي المتلاغين ، فإن اللغة المربية هي مصدرنا في الوصول إلى هذه النتيجة . فالبلاغة المربية تنبئ لغةً عن والوصول والانتهاء ٤ . يقال و بلغ فلان مراده ٤ إذا وصل إليه ، ووبلغ الركب المدينة ، إذا انتهى إليها . . ووأبلغه هو إبلاغا وبلغه تبليغا ٤ ، ومنه قول أبي قيس بن الأسلت السلمى :

فأنت ولم تقصد لقيـل الخنـا مهـلا فقـد أبلخت أسماعـى

أى قد انتيت فيه ، والبلاغ ما يتبلغ به ويتوصل به إلى الشيء المطلوب ، و والبلاغ ما بلغك ، وقال الشيء المطلوب ، و والبلاغ ما بلغك ، وقال التي المشيء المطلوب ، و والبلاغ في المبلغك ، وقال التيزيل يقول سبحانه و تعاتى في المبلغة ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته في الملائدة ٢٦ . في أيا الرسول بلغ ما أن لأنفر كم به ومن بلغ في الأنعام ١٨ . في أبلغكم رسالات ربى وأنصح أمين في الأعراف ٢٦ . في أبلغكم رسالات ربى وأنصح أمين في الأعراف ٢٦ . في أبلغكم رسالات ربى وأنالكم تنصح أمين في الأحقاف ٢٣ . في ألما العلم عندالله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجللون في الأحقاف ٢٣ . في ألمين يبلغون رسالات الله ويخشونه و اليخشون أحلاا إلا الله و تحقيق بلغة حسبها في الأحزاب ٣٩ . في فول عنهم وقال يما قوم كافرين في ربع و المنافق من رسول فإنه يسلك من يين يديه و من خلفه رصدا ليمام أن قد أبلغوار رسالات ربي و نصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين في الأعراف ٣٩ . في فإن رسالة بالمغنو من رسول فإنه يسلك من يين يديه و من خلفه رصدا ليمام أن قد أبلغوار رسالات ربيم وأحطى كا هديم وأحصى كل شيء عدا في الحن ٢٨ . في وإن أحدا من المشركين ربع وأحط عا لديهم وأحصى كل شيء عدا في الحن ٢٨ . في وإن أحدا من المشركين ربيم وأحط عا لديهم وأحصى كل شيء عدا في الحن ٢٨ . في وإن أحدا من المشركين ربيم وأحط عا لديهم وأحصى كل شيء عدا في الحن ٢٨ . في وأن أحدا من المشركين ربيم وأحط عا لديهم وأحصل كال شيء عدا في الحن ٢٨ . في وأن أحدا من المشركين ربيم وأحط عا لديهم وأحصل كل شيء عدا في الحن ٢٨ . في وأن أحدا من المشركين ربيم وأحط عالم المناس كين المتحدة في المناس كين المنسون وأميات على قوم كافرين كل ميء عدا في المناس كين المنسون وأميات كلم المنسون وأميات وأكم المنسون في عدا في المناس كين وأن وأميات وأميات وأميات وأكم عدا في المناس كين وأميات و

استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كه التوبة ٦ . ﴿ أُولِتُكَ الذينِ يُعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا ﴾ النساء ٦٢ . ﴿ وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ آل عمران ٢٠ . ﴿ وأطبعوا الله وأطبعوا الرسول واحذروا فإنَّ توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ المائدة ٩٢ . ﴿ ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون ﴾ الماثلة ٩٨ . ﴿ فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴾ الرعد ٤٠ . ﴿ هَذَا بلاغ للناس ولينذروا به ﴾ إبراهيم ٥١ . ﴿ فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ﴾ النحل ٣٥. ﴿ فَإِنْ تُولُوا فَإِنَّا عَلَيْكَ البَّلاغُ البِّينَ ﴾ النحل ٨١. ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ العنكبوت ١٧ . ﴿ وما علينا إلا البلاغ المبين ﴾ ياسين ١٧ . ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ كه الشورى ٤٨ . ﴿ وَاطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المين ﴾ التغاين ١٢ . ﴿ إِن في هذا لبلاغا لقوم عابدين ﴾ الأنبياء ٢٠٦ . ﴿ إِلَّا بِلاَغَا مِنْ أَلَّهُ ورسالاتِه ﴾ الجن ٢٣ وتأسيساعلي هذه المفاهم التي أوضحها القرآن الكريم وحدد بهادلالة البلاغ والتبليغ والإبلاغ ، فإننا نجد أنفسنا بإزاء نظرية إعلامية أصيلة ترتبط أوثق الارتباط بالفطرة الإنسانية وما تستوجبه من ضرورات الاتصال الإنساني الذي بدأ مع مولد البشرية. ويرتبط مفهوم البلاغ بالاتصال في نظريات الإعلام المعاصرة ارتباطا وثيقا ــ هذا الارتباط نجده في لغتنا العربية منذ أقدم عصورها .. بل مصطلح (التوصيل) في اللغة العربية يعني : أن يتلطف المرء حتى يصل إلى جمهوره ـــ وهي الدلالة التي عنيت بها نظريات الإعلام المعاصرة في تحقيق التجاوب بين المرسل والمستقبل .. بين الكاتب والقارئ .. بين المايع والمستمع .. بين المثل والجمهور .. بين المقدم بالتلفاز والشاهد ... اغ .

واللغة العربية توصى المرسل بأن يحقق ذلك حينا تقول و وصله . يصله . و وصلا : أى برّ و تودد إليه ولم يجفه » وينال من هذا . . و وصل رخمه وقرابته والمؤمنين » ـ أى قام بما ينبغي لهم من حسن المعاملة والبرّ ـ وأصل ذلك أن يقال و وصل الشيء بالشيء إذا , يطه به ، جمعه عليه » .

فالإنسان عندما يحسن إلى امرئ يربطه بنفسه برباط لطيف ، ويجمعه عليه جمع الود والرأفة . ومن هذا يقال في ضده و تعلمه إذا جفاه وأساء إليه ، ــويقال أيضا و وصل إلى كذا وصولا : أي يلغه وانتهى إليه » . فالصلة إذن بين البلاغ والاتصال هي الصلة التي تحقق ترابط فقرات العمود الإعلام ترابطا و فيقا لطيفا . . وفى القرآن الكريم يأتى الاتصال دالا على التآلف والترابط، فيقول سبحانه وتعالى ﴿ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ﴾ الرعد ٢١ . ﴿ إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق ﴾ النساء ٩٠ . ﴿ ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولتك هم الخامرون ﴾ البقرة ٧٧

ومن هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن الإعلام حقيقة أساسية من حقائق الاتصال ، بحيث يحقق معنى البلاغ ويمثل الوسائل التي يتوسل بها المرسل للتأثير فى المتلقى 3 بالود والتودد وعدم القطيمة والجفاء » كما لو كان 3 يصل رحمه وقرابته والمؤمنين ٤ .

والعملية الإعلامية تحقق غرضها في البلاغ والاتصال بالجماهير من خلال تقديم المعلومات متنابعة ، استلهاما لما جاء في نظرية الإعلام القرآنية .

قال تعالى ﴿ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴾ القصص ٥١ . وتوصيل القول هناكما يقول المفسرون إتباع بعضه بعضا في التنزيل .

ولقد استلهم العلماء العرب من القرآن الكريم الأسس والقواعد التي تقوم عليها نظرية الإعلام في الإسلام ، ومنهم البلاغي العرفي أبو الحسن إسمحق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب صاحب كتاب و البرهان في وجوه البيان ، الذي نسب حطاً إلى قدامة بن جعفر ونشرت منه قصول بعنوان نقد النار.

وقال ابن وهب في وصف المصدر أو المرسل أنه يجب أن يكون ٥ أصبع ديانة وأكمل أمانة وأظهر صيانة لأنه مأمون على الدماء والأموال ٤ .

وابن وهب يقول هذا القول في صدد حديثه عن 3 صاحب الخير 3 في الحضارة الإسلامية حيث عنه أو الخضارة الإسلامية حيث عنه أو الله في مصالح من تحت يده ، فو الله فأد 3 عين الوزير 3 التي ينظر بها في رعيته ، و و الله في مصالح جرى مجراهم حومت ينفس الوزير لوفع الأخبار من يخالف هذه الصغات نقد غش نفسه وأضاع الحزم في سياسته وخان الأمانة في رعيته حوطي الوزير أن يوسع على صاحب الحير في رزقه ويشترى بذلك دينه وأمانته ويعلمه أنه إنما فعل ذلك به من بين نظراته أتعلا تشره نفسه إلى أموال الرعية . ولا يحتاج إلى استعكاما و التكسب منها ٤ . وقد عنى الباحثون المعاصرون بداسة هذا العنصر في عملية الإعلام حوير جعون وقد عنى الباحثون المعاصرون بداسة هذا العنصر في عملية الإعلام حوير جعون تنظرير ما أصبح يعرف بنظرية (اخارس) Gatekeeper عيث تصل المادة الإعلامية إلى الجمهور في رحلتها الطويلة عبر نقاط أو يوابات يتم فها أتخاذ قرارات بشأن المدخلات

ولو أن هؤلاء الباحثين المعاصرين رجعوا إلى الماضى العربى لوجدوا أن البلاغى العربى قد فطن إلى هذا العنصر وأطلق عليه اسم a الحاجب p وهو كم وصفه ابن وهب a المؤتمن على الأعراض ... وأداء الأمانة فى الأعراض أوجب منها فى الأموال ، لأن الأموال وقاية للأعراض ...

وكذلك يتحتم على وسائل الإعلام أن تجعل حجابها بمن « صحت عقولهم وسمت غريزتهم وحسن خلقهم ولانت كلمتهم » . وهؤلاء الحجاب هم الإعلاميون في وسائل الإعلام المختلفة ، ذلك لأن الرسالة تمر بمراحل كثيرة وهى تنتقل من المصدر إلى المتلقى ، وفانا تعنى الدراسات الحديثة بتناول تأثير الظروف المحيطة برجال الإعلام ، وتأثير النواحى المهنية عليهم والجوانب الفنية والملاية لعملهم .

والمرسل فى عوذج الإعلام الإسلامي يجب أن يختار بعناية كما يقول ابن وهب حتى « يكون أفضل فى عقله . وضيطه . وأدبه . وعارضته . ودينه ومروءته ــ فقد كان يقال و ثلاثة تدل عل أهلها : الهدية على المهدى ، والوسول على الموسل ، والكتاب على الكاتب » .

وكان يقال ٥ رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله ٤ . وكذلك جعل الله عز وجل رسله أفضل خلقه ، وأخبر أنه سبحانه اصطفاهم على العالمين ، ويقول جل جلاله في كتابه الحكم :

(يس و القرآن الحكم ه إنك لمن المرسلين ه على صراط مستقم اياسين ١٥٠٠٠ .. و و اضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون كي يس ١٣

والمصدر في هذه الآيات جميعها هو الله جلّ جلاله ، والرسالة هي القرآن الكرم ، والرسالة هي القرآن الكرم ، والرسول هو محمد بن عبدالله عليه . ولهذا فقد جاءت العملية الإعلامية في صورة مثلي تضرب بجنورها في الإعجاز الإعلامي والبياني على السواء . ولن نصل إلى هذه الدرجة من الكمال مهما حاولنا ولكننا ستحاول الاستنارة بالهدى الإلهي والاستفادة منه في بناء إعلام إسلامي يقدم للعالم نموذجا وفيعا في النظرية والتعليق على السواء .

وعلى المرسل البشرى في عملية الإعلام و أن يؤدى ما حُمَّل ٤ كمَّا قال الله تعالى فو فإنما عليه ما حمل كه النور ٥٤ . وليس للرسول أن يضيف إلى الرسالة ولا أن ينتقص منها ولا أن يحرفها أو يغير مفهومها بأية وسيلة من الوسائل ، لأن ذلك خيانة للأمانة . إلا أن يكون المصدر قدسمح لدأن يضع الرسالة في صورة أفضل ، أو فوضه في التحدث بلسانه . والشاعر العربي يقول حول هذا المحتى :

وإن كنت في حاجــة مزسلا فأرسل حكيمـــــا ولا توصه

ويذهب ابن وهب إلى أن المصدر 3 عليه أن يتخير من الرسل من لا يكون فيه من العبوب التي يذكرها وهي : الحدة والحسد والفقلة والعجلة ـــ فإن صاحبها يضع الأشياء في غير مواضعها ، ويسبق بها أوقات قرصتها .. وقد قيل : 3 رب عجلة تهب ربتا ٤ والربث هم البطء .

وإذا تأمنا قول العلى الحكيم لرسوله الكريم فو لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك في وقوله تعالى فو ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن في النحل ١٦٥ . لتأكد عندنا أن النظرية الإعلامية المثالية وهي المستقاة من القرآن الكريم تنهي عن الإكراه ، وتوضح أن الإعلام يقوم في جوهره على الإقتاع باللطف واللين والموعظة الحسنة ، وعلى شخصية الرسول أيضا . فقد كانت شخصية على درجة عالية من الحلق الكريم وسمو الطباع والترفع عن الصفائر ، وكانت قدوة يتطلع الناس إلى الشبه بها والعمل بعملها . ويكفي أن نذكر هنا قول الله عز وجل لرسوله الحاتم في القدام على عمد بن عبد الله على على على على على عليم في القلم ٤ ـــ ولو أننا درسنا شخصية عمد بن عبد الله على المحقوبة المثل في الصدق والأمانة والعمر وحسن المعاملة ولعلن الخورة والتسام والبعد عن الغلظة والعفو عند المقدرة ، وكل المأخلاتيات التي تصدر عن التقوى باعتبارها أم الفضائل .

وهكذا يكون وسوأنا الكريم تحمد مَنْظِيَّةٌ هُو الإعلامي الأمثل في تاريخ البشرية من بدايته إلى نهايته ، فقد اصطفاه الله تعالى ليكون شاهدا ومبشرا و نديرا وداعيا إلى الله بلذنه وسراجا منيوا .

وقد أدى ﷺ الرسالة التي أمره الله سبحانه وتعالى بتبليغها إلى الناس كافة . إذ قال ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا وتذيرا ﴾ سبأ ٢٨ . وقال ﴿ قل يا أيها الناس إلى رسول الله إليكم جميعا ﴾ الأعراف ١٥٨ .

ـــ والرسالة التي أداها رسول الله ﷺ هي الدعوة الإسلامية ـــ أو دعوة الناس كافة إلى المنهج القويم الذي وضعه الله سبحانه وتعالى لهم .

ـــ لذلك فإن الذين آمنوا بهذه الدعوة جعلهم الله أمة واحدة ، تقيم نظام حياتها على هلدى من نوره سبحانه وتعالى . و تتخذمن القرآن الكريم ـــ كتاب الدعوة ـــ دستور ها. ـــقال تعالى هو ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف ، آل عمران ٣ . وقال جلّ جلاله ﴿ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم ﴾ الحديد ٧٥ .

ـــ قال عز من قائل ﴿ والله يدعو إلى دار السلام ﴾ يونس ١٠.

- وقال سبحانه وتعالى ﴿ إنك تندعوهم إلى صراط مستقم ﴾ المؤمنون ٢٣. وكان المفروض بعد أن ارتفع رسول الله إلى الرفيق الأعلى ، وترك فينا الكتاب والسنة ، وعكمنا ما لو اتبعناه فلن نضل أبدا - كان المفروض أن نستمر على المبحج الذي حليده ، وأن نسير على الجادة التي خطها لنا ، وأن نعمل على نشر الدعوة الإسلامية والإعلام لها بنفس الوسائل والأساليب .. لا سيما وأن الإسلام دين إعلامي بطبعه ، وكل مسلم مكلف بأن يدعو لدينه - فالإعلام فريضة إسلامية ، وهو فرض عين وفرض كفاية . ولو أننا عملنا بهذه المعلق وقام كل مسلم بواجبه الإعلامي كا حدده الإسلام ، لأصبحنا بحق كما أراد الله - حل شأنه - لنا عندما قال ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعرف وتبون عن المنكر ﴾ ..

الفضت الأول

الإعلام في الجمعات القديمة

يجدر بنا عند التحدث عن الإعلام قبل الإسلام أن تتعرف على صور الإعلام فى بعض المجدد التحديم بصفة بعض المجتمع العربي القديم بصفة خاصة ، وذلك تأسيسا على أن الإعلام كحقيقة اجتاعية قديم قدم الإنسان ذاته .. ولكن وسائله وأساليه هي التي تخضع للتعلور والتغير عبر العصور والأجبال .

ولذلك يفرق علماء الإعلام بين مصطلحي و اتصال ، و و اتصالات ، . فالأنصال هو عملية الاتصال ، والاتصالات هي الوبمائل التكنولوجية المستخدمة لتنفيذ عملية الاتصال .

والاتصال إذن هو حقيقة أساسية للوجود الإنساني والمملية الاجتهاعة .. بل إن الاحتااط بين الجنس البشرى الاتصال هو حامل العملية الاجتهاعية _ وهو الذي يجمل التفاعل بين الجنس البشرى ممكنا _ وعمكن الناس من أن يكونوا كاثنات اجتهاعية . وقد بدأ الإعلام في المجتمعات القديمة بنلاث صور هي : صورة الديدبان أو المراقب الذي يتولى عملية المراقبة من فوق قسم الجبال ، وإنذار عشيرته أو قبيلته بالأخطار المقبلة أو الكوارث التي توشك أن تلحق بها وإبلاعها بذلك لتأخذ أهبتها لمواجهة العدو والدفاع عن نفسها ، وهذا يمثل في عصرنا الحديث وظيفة الإخبار التي تقوم بها وسائل الإعلام اليوم ، مما يؤكد أن وظيفة الإخبار التي تقوم بها وسائل الإعلام اليوم ، مما يؤكد أن وظيفة الإخبار التي تقوم بها وسائل الإعلام اليوم ، مما يؤكد أن وظيفة الإخبار التي تقوم بها وسائل الإعلام اليوم ، مما يؤكد أن وظيفة

والصورة الثانية هي صورة أخجكم المشير ، وكان أكبر رجال القبيلة سناو أكثرهم خبرة وأغزرهم معرفة بحوادث الأيام ومفازيها ، والأساطير السائدة في البيشة ، والمعتقدات والتقاليد .. وإليه يلجأ أفراد القبيلة للاستشارة وطلب النصح — وهذا الحكيم المشير يمثل في عصرنا هذا وظيفة الموجه المرشد الداعية ، التي تحتل مكاتة كبيرة في التحليل الوظيفي لوسائل الإعلام .

والصورة الثالثة هي صورة المطه المرفى ، وكان يختار من بين أكثر أفراد القبيلة علما لكى يقوم بتربية الأطفال وتنشئتهم النشأة الاجتاعية الصالحة ، على النحو الذي يجعلنا نقول إن وظيفة التنشئة الاجتاعية من بين وظائف الإعلام المعاصر كان يقوم بها المعلم المربى في العصور البدائية .

الإعلام في مصر القديمة :

ولم تلبث هذه الصور الإعلامية أن اتخذت أشكالا أكثر تطورا تبعا لتطور الحضارات القديمة .. فكانت في مصر الفرعونية أعيادا واحتفالات دينية تقدم فيها عظات ومسرحيات ورقصات وإخباريات تستقطب اهتمام الناس ، كما كانت هذه الصور تسجّل على جدران المعابدوأوراق البردى .. وكان البعض منها متعلقا بالقوانين وإجراءات التقاضى والأحكام والعقوبات ، بل إنها تناولت النصائح والإرشادات الخاصة بالأسرة وشكل العلاقات داخلها .. وتساولت أيضا توجيهات تحذر الشعب من الأمراض الاجتماعية الخطيرة .

يقول المصرلوجي الشهير و جيمس برسند ــ Iames Breasted ، إن المصريين القدماء عرفوا صورا متقدمة من الإعلام الحربي ، فهم لم يشيدوا الأهرامات والمعابد الضخمة من أجل الاحتفاظ بجشهم وتمارسة الطقوس الدينية فحسب ، ولكنهم أقاموها ليسطروا على جدرانها أمجادهم الحربية وانتصاراتهم في المعارك المختلفة .

ويقول جيمس برستد أيضا إن المسلات المصرية كانت تمثل إحدى الوسائل الإعلامية ، بما كان يسجل عليها من مفاخر حضارية إلى جوار ما تؤديه من وظيفة دينه .

ويحتبر فك رموز الهروغليفية المصرية بعد الحملة الفرنسية على مصر - وحل رموز المسجارية الباشورية الباللية فتحا جديدا في تاريخ العالم - ذلك لأنها كشفت عن تقدم في فنون الإعلام في الحضارات القديمة التي عرفت الكتابة واعتملت عليها في الإعلام ويقول علماء المصريات كذلك: إن الفراعة عرفوا الصحافة من ٣٧ قرفا المحلف و كانوا يسجلونها على أوراق البردى التي تعتبر بمثابة الصحف في عصرنا . فظهوت عندهم صحيفة و القصر ٤ و كانت صحيفة هزلية تسخر من بعض أوضاع المجتمع وتتعرض لها بالنقد ، بل إنها كانت تتناول أعمال الملوك والفراعتة الكبار وتناقشها في أسلوب فكاهي ساخر .

وقد ذكر المؤرخ الإغريقي المعروف هيرودوت هذه الصحيفة ضمن ما ذكره عن الحضارات المصرية الفرعونية .

وإذا كإنت الوظيفة الاجتماعية هي التي تخلق مبررات ظهور الصحافة وقيامها على أداء تلك الوظيفة ، فإن أوراق البردى التي اكتشفها 8 فلندرز بترى ٤ والتي يرجع تاريخها إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد ، توضح مدى اهتمام المصريين القدماء بإثارة ميول القراء ، وجذب انتباههم . وإذا اختلف المؤرخون حول المكان الأصيل الذي نبت فيه الصحافة أول مرة وسايرت تطور الإنسان و تقدمه من البدائية إلى الاستقرار الم التحضر ، فإن ذلك لا يحول دون اتفاقهم على أن مصر قد عرفت الصحافة ببنا المقهوم منذ سبعة وثلاثين قرنا . فهناك وثيقة يرجع عهدها إلى سنة ١٧٥٠ قبل الملاد ع تدل على وجود جريدة رسمية تنطق بلسان الحكومة ويكتب فيها الوزير وحمارا عمقالات تين اتجاهات الحكومة . ومن العجيب أن ورق البردى انقرض من العالم وحلت عله هذه الأوراق التي تجمعها الكتب بين دفتها ، وذهب النسخ وجاءت المعالمة ، ولا يزال الاسم الذي أطلق على ورق البردى Papyrus هو الأصل الذي المشتقت منه الأسماء التي تطلق على الورق والصحف في اللقات الفرية . فورقة البردى التي سميت ١ بريس ٤ بدار الكتب الأهلية بباريس ، تعد _ كما يقول ١ جوستاف لوبون ٤ _ أقدم من أشعار هوميوس وأقدم من كتب التوراة ، يرجع عهدها إلى الأسرة الثانية غشرة ، فضها إذن ما خطته الأقلام منذ محسة آلاف من السنين .

ومن ذلك تبين لناقيمة هذه الوثيقة العريقة والتي حملت اسما ذا دلالة حديثة في لغة الحضارة Presse إلى جانب ما توحى إليه من جذور مقالية في التسراث القديم ، إذ تضمنت مقالاً أخلاقياً ألفه و كاكمنا ، في حكم الملك سنيفرو من الأسرة الثالثة ، ومعلومات فتا حوتب التي ترجع إلى الأسرة الخامسة . وإلى جانب هذه الوثيقة عرفت مصر لونا من صحافة الرأي في النقد والتوجيه والمعارضة .

الإعلام عند الإغريق:

وكانت الصور الإعلامية عند الإغريق تتخذ شكل الخطابة السياسية والملاحم والأعمال الدرامية، وقد سجلت الإلياذة والأوديسا ملاحم البطولات الحربية في أشعار حماسية تلهب مشاعر الجساهير .. وكانت مسرحيات سوفكليس ويوريدس وليسكيلوس تمثل شكلا من أشكال الاتصال الجماهيرى بما تقدمه من عروض تراجيدية و كوميدية وساتيرية يستعرض فيها الكاتب أبجاد الماضي والواقع المعاش و تقاليد المجتمع، ويقوم بعرض المشكلات التي يعاني منها الناس ويطوح حلولا مقترحة لها ، كما يسخر من الأوضاع الاجتماعية المناقضة للعادات والتقاليد . كذلك فإن الكتاب المسرحيين كانوا يشرون بمستقبل أفضل ينبع من تصوراتهم ورؤاهم الخاصة ..

أما سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم من الفلاسفة الإغريق ، فإنهم كانوا من المنظرين الرواد في الإعلام كتتيجة لازدهمار الكلمــة وتـأثير المسرح والحطابـة في الجماهير . . وعلى الرغم من أن سقراط كان يتوسل بالجلل في الاتصال بالناس ، إلا أن أفلاطون برى أفلاطون برى أفلاطون برى أفلاطون برى أفلاطون برى أفلاطون برى أن المجتمع وحدة متكاملة تشبه الجسد الحي الذي لا ينقص منه ولا يزاد عليه ، وبرى أن الملاقات بين الأفراد هي التي تربط بين أجزاء المجتمع ويقول ، إذا كانت القوى الحاكمة تشبه المقل في الإنسان ، فإن القوى الحارسة التي تتمثل في الجند تشبه الانفعالات أو القوى الغضبية ... أما القوى العاملة في المجتمع فهى تمثل السروات

و من أهم عناصر الاتصال في نظر أفلاطون ... القيادة أو الزعامة والفن ... وخاصة الشعر والموسيقي . ويشترط أفلاطون أن يكون القالم بالقيادة أو الزعامة والمتنج للفن سواء أكان شعرا أم موسيقي أن يكون من الجادين المنارسين لأحوال المجتمع ، الراغيين في إصلاحه ، المجدين كل البعد عن التضليل وإثارة الأهواء .

وكان للمنادى عند أفلاطون أهمية كبرى ، فهو فى مكانة رجل الإعلام المعاصر ، وهو المسئول عن تبليغ الناس بما يجدّ من أنباء أو أحداث داخل المجتمع ، الذى تصوره أفلاطون وصوّره محدود العدد لكى يستطيع مناد واحد أن يقوم بالإعلام فيه على الوجه الأكمل .

ولم ينس أفلاطون اللغة كعنصر اتصالى هام ، فخصّها بمحاورة و أقرطليس ، التي فقد فيها آراء السابقين حول الألفاظ ومدلولاتها .

وكان أرسطو يقول (إن الخطابة هي القدرة على النظر في كل ما يوصل إلى الاقتاع في أية مسألة من المسائل) . ذلك لأن أرسطو كان معنيا بالخطابة والبلاغة على النحو الذي تعنى به دراسات الاتصال الحديثة .. فحدد عناصرها واهم بدراسة الخطيب والجنهور _ أي المرسل والمستقبل _ كما اهم بالرسالة الاتصالية و الخطبة ، وعناصرها وما فيها من حجج وبراهين للتأثير على نفوس وعقول الجماهير المستمعة .

وركز أرسطو بشكل خاص على مصدر المعاومات الذي تعنى به محاذج الاتصال الحديثة ، فقال و ومن ننصت لهم هم القريبون منا ومن لنا بهم كبير صلة وعظيم فقة ، وهم الذين يشاركوننا في الوطن .. ومن هم على قيد الحياة والعلماء لا الجهلاء .. والمند الأكبر في ذلك خور من العدد الأصفر . فشهادة هذه الجماعات مظلة الصدق أكثر من غيرهم من الجماعات التي لا تتصف بهذه الصفات ، لأن من لا نهتم بهم ولا يأحكامهم كالأطفال والحيوانات لا يهمنا تقديرهم ولا أفكارهم من هذه الناحية على الأقل ، فإذا اهتمنا بشأنهم فعن نواح أعرى ، ه .

الإعلام عند الرومان :

أما الصور الإعلامية عند الرومان فقد استخدمت بعض الأشكىال الإغريقيمة والأشكال التي استوردتها من بعض البلاد التي احتلتها وفي مقدمتها مصر، عثم ركزت على الإعلام الرياضي . وكان هذا التركيز ضروريا كوسيلة لصرف أنظار الشعب عن المشكلات الحكومية ، وتوجيه اهتمامه إلى الأخبار الخاصة بالرياضة على اختلاف أشكالهما . فكان الجمهور الروماني يحتشد في الساحات العامة لمشاهدة الأبطال الرياضيين والمصارعين ، كما كان يحضر الحفلات التي كانت تقام لمصارعة الحيوانات المفترسة . وفي أيام يوليوس قيصر صدرت صحيفة (الحوادث اليومية) Acta Diurna الته كانت تبتم بالأخبار عامية ، ومنها أخبسار السيساسة كا يه يدهسا الحاكم من الاتصال في الحضارات القديمة ، ممثلا في رسالة المبشرين المسيحيين الأوائل . ويعتبر هذا التبشير نوعا جديدا في تاريخ الدعاية الدينية ، فاليهودية التي سبقت المسيحية لم تكن تعنى بالدعاية أو محاولة اجتذاب الناس إليها ، في حين أخذت المسيحية تدعو لنفسها منذ البداية ، كا اجتهدت لنشر تعالم المسيح و اجتذاب أكبر عدد ممكن لاعتناق المسيحية .. وقد انتشرت الدعوة المسيحية بسرعة ، لأن أوربا كانت تعيش في ذلك الوقت في دياجير الوثنية ، وكانت مناطقها الغربية قبل ميلاد المسيح تعيش جاهلية عمياء . ورغم أن المسيحية وصلت إليهم بعد أن شاهت وتغير جوهرها وعدل وبدل في تعاليمها ، إلا أنهم أقبلوا عليها إقبالا شديدا ، واعتنقوها كبديل للوثنية القديمة ، وتحت تأثير الجهود التبشيرية المنظمة التي استمرت حتى عصرنا هذا ـــ بلإن كلمة دعاية في أصلها تعنى نشر مذهب معين أو زرع شجيرات صغيرة لكي تشمر وتينع . (Propagare) وهذا هو المعنى الأصلي الذي استخدمه البابا أربان الثامن (٦٣٣) م Urban) عندما أنشأ مجلس الدعاية لنشر العقيدة الكاثوليكية ، ومواجهة الحركات البروتستنطية ، وللتبشير في الدول الأخرى .

الإعلام ف حضارة القرس:

دلت البحوث الأثرية الأخيرة عند أكياتانا عاصمة الميديين ، على أن الميديين ابتدعوا حروفا هجائية جديدة تبلغ تسعا و ثلاثين علامة مسمارية ، و كانوا يستخدمون هذه الحروف في كتابة اللغة الفارسية على القطع الفخارية . كما استخدموها أيضا كلما أرادوا أن يسجلوا وقائع إعلامية على المباني الحجرية . وهكذا بدأ الفرس _ كما يقول

برستد ـــ والذين ظلوا فترة طويلة دون علم بالكتابة ، يسجلون و قائم إعلامية و و ثائق تاريخية لتخلد بعدهم على مر الدهور . وتعتبر هذه الآثار أقدم ما وصل إلينا من وثائق ميدية أو فارسية . وترجع أهمية المدوّنات المسمارية الفارسية أنها هي التي مكنتنا من حل رموز وقراءة النقوش المسمارية في غرب آسيا . وكانت هذه المدونات وسيلة من وسائل الإعلام ، شأنها شأن النظام البريدي الذي استخدمه الرسل الملكيون في الإعلام القديم ، وشأن فن المعمار الذي أخذ البناءون الفرس يتعلمونه من الشعوب الشرقية القديمة التي خضعت لإمبراطوريتهم ، فاقتبسوا المدرجات الهائلة التي كانت تقوم عليها القصور الغارسية عن البابليين ، كما اقتبسوا الثيران المجنحة التي تقوم أمام أبواب القصر والسلالم المؤدية إليها عن آشور . أما بواكم الأعمدة التي تمتد أمام القصور وتملأ أبهاءها ، والتي كانت أقدم ردهات ذات أعمدة بنيت في آسيا .. فإنهم اقتبسوها من مصر إذ كانت تقام على ضفاف النيل منذ أكار من ألفين من السنين قبل ذلك التاريخ. وكذلك جدران القصور الزاهية الألوان والتي بنيت من طوب مزجج ، فإنها جاءت إلى بلاد الفرس من الغرب . و هكذا اندجت الحضارات العظيمة التي حكمها الأباطرة الفرس في حياة إمبراطوريتهم .. وأدى اندماج تلك الحضارات القديمة التي نشأت في الشرق الأدنى تحت نظام شامل ، إلى إيجاد حالة جديدة لها خطرها الكبير في تاريخ أوربا . فقد رأينا قورش وكيف وصلت انتصاراته إلى شواطئ البحر الإيجي ، ورأينا الملذ الإغريقية التي تقع في غربي آسيا الصغرى وقد أصبحت تحت الحكم الفارسي . وقد عرف الفرس الأعياد كوسيلة إعلامية .. منها عيد النيروز الذي يعني في لغة الفرس اليوم الجديد وموعده الأيام الستة الأوائل من أول شهر في سنتهم الشمسية ، وهو يوافق ٢٤ آذار أي أنه يوافق أول الربيع واليوم السادس يسمى النيروز الكبير ، لأن الأكاسرة كانوا ينصرفون فيه إلى مجالس أنسهم مع خاصتهم .

والنيروز أعظم أعياد الفرس . به تستقبل السنة وتفتتح جباية الحراج ، وهو زمن تولية العمال واستبدالهم ، وضرب الدراهم والدنانير ، وتذكية بيوت النيران ، وإشادة النيان ، وما أشبه ذلك .

وقد كان لملوك الفرس نظام معين فى النيروز . . يجلس الملك فى اليوم الأول فيقابل الناس ويحمين إليهم ، ويجلس فى اليوم الثانى لمن هم أرفع مرتبة وهم الدهاقين وأهل اليوتات، ويجلس فى اليوم الثالث لأساورته . . ثم يختص ولده وصنائعه باليوم الخامس فيصل إلى كل واحد منهم ما يستحقه من رتبة وتكريم ، فإذا كان اليوم السادس نور لنفسه و لم يصل إليه إلا أهل أنسه و من يصلح لخلو ته (۱) . أما و المهرجان و فهو الأيام الستة الأواتل من أول شهرهم مهرجان وهو يوافق أول الحريف ، ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الكبير حيث كان ملوك الفرس يأمرون بإخراج ما في خزائنهم من الملابس نفقرق على خاصة الملك وحراسه ، ثم على سائر الناس حسب مراتبهم . ويقول الجاحظ و إنهم كانوا يتقبلون الهدايافي العيدين من طبقات شتى ، والنظام في ذلك أن يهدى الرجل ما يحب من يلكه إذا كان في الطبقة العالية . . فإن كان يحب مسكا أهدى صعبرا ، وإن كان صاحب بزة ولبسة أهدى كسوة وثيابا ، وإن كان من الشجعان والفرسان فكان يهدى نشابا ، وإن كان من الشجعان والفرسان فكان يهدى الشعر ، والخطيب من أصحاب الأموال فإنه يهدى ذهبا أو فضة ، وكان الشاعر يهدى الشعر ، والخطيب الخصوان والنوية والنبيا الشعر ، والخطيب

الإعلام في الهند :

يعتبر كثير من الباحين الهند هي البلد الذي نشأ فيه المسرح كوسيلة للاتصال، وأنها كانت منبعا لمعظم المسرح في آسيا الذي يتميز عن المسارح الأوربية والإفريقية وغيرها. وكان للهند القديمة تأثير كبير سجله التاريخ على بلاد آسيا في المحالات الثقافية والدينية ، فقد ظهر فها قبل المسيح بعدة قرون أمير هندى عرف فيما بعد باسم جاو تاما بوذا . وكانت الديانة التي نبعت من حياته وتعاليمه حية قوية حتى لقد انتشرت وذاعت فامتنت إلى الصين واليابان همالا ، وإلى أقصى الجزر الإندونيسيه شرقا

وقد عرفت هذه الديانة أساليب اتصالية استخدمتها في التبشير بها عن طريق المبشرين الموذيين ، الذين نقلوا معهم في حلهم وترحالهم الأخلاق والتقاليد الهندية . وكانت اللغة التي يتحدثون بها هي لفقة و براكيت Prakt » أو « بالى ، وهي لهجة بوذا المحلية ، وكانت الكتابات التي نقلوها معهم هندية ، في الوقت الذي كان فيه غالبية سكان آسيا حتى ظهور بوذا أميين ، واستعصلوا حركات الرقص والأشكال الدراميسة والاستعراضات الفخمة والآلات الموسيقية كوسائل للاتصال بالجماهير .

وقبل ميلاد المسيح بقرن من الزمان وإلى عشرة قرون تالية ، كان جنوب الهند يتسع ويمتد إلى ما وراء البحار بوسيلة اتصالية أخرى . فتارة كان هذا الاتساع بتم بالغزو

⁽١) الآثار الباقية للبيروني ، ص ٢١٨

المسلح كما فى حالة سيلان ، حيث كان ملوك جنوب الهند الأقوياء الذين يحملون لقب و تاميل ، يمعنون جيوتسهم مرَّةً بعد أخرى .. بيد أن هذا النوسع كان يتم فى أغلب الأحيان بدافع الرغبة فى ممارسة التجارة .

وقد: عرفت الهند فن الملاحم في الإعلام القديم ، فهناك الملحمتان الكبيرتان : الرامايانا والماهبهاراتا، في مقابل الإلياذة والأوديسة في الغرب عند الأغريق. وهي أيضا قصص مغامرات جوالة طويلة تتناول الآلهة والبشر والأبطال العظام والحيوانات العجيبة صائعة المعجزات ، وتزخر بالحكم والأقوال المأثورة التي تفرق بين السلوك النبيل الفاضل والسلوك الدنية .

ولقد أتاحت الرامايانا والماهبهارانا عبر الأجيال والقرون سيلا إعلاميا لا ينضب من الأحداث والنوادر والمواقف الروائية المناسبة لأشكال درامية وراقصة لا تقع تحت حصر .

وفى حين غلت الرامايانا والماهبهراتا المطالب الدينة فى نفوس الهند ، وأشبعت ميولهم الفطرية نحو الفنون الشعبية والمسرح ، كما زودت هيئاتهم الثقافية فيما وراء الهجار بالإلهام والقوالب الفنية ، نحت في الهند نفسها مجموعة مستقلة نسبيا من القصص اللرامية . ففي غضون حقية معينة تمد على وجه التقريب من القرن الثالث الميلادى حتى القرن الثامن ، ازدهرت في الهند أولى القصص الدرامية بالمعنى الذي نفهمه اليوم من لفظة دراما ، وتعرف هذه الحقية على وجه العموم بالمصر الذهبي للدراما السنك يتية (1) .

وفى المسرحيات الآسيوية كان الراوى يقوم بمدور رجل الإعلام الحديث ، ولذلك يطلق على الراوى أو المنشد فى الدراما السنسكريتية اسم و سوتراداهار ، أى و تماسك الحيط ، وهو الذى يمسك فى الواقع خيوط القصة كلها ، وبعد المشهد ، ويقدم المطومات التي تشكل خلفية الدراما ، والتي لا تيسر للشخصيات التي تتضمنها الحبكة المسرحية أن تنقلها إلى النظارة من خلال الحركة المسرحية ، ويجهر بالأفكار التي تراود عقول هذه الشخصيات ، ويفسر الأجواء والأحوال ، ويحفظ لنفسه فى أدائه بالأقسام الدسمة من الأشعار الإيضاحية ، ويترك ما خلا ذلك من الأحاديث للمؤدين . الأطيار .

⁽١) قويبون ياورز (المسرح في الشرق) ترجمة أحمد رضا، القاهرة، دار الكاتب العربي ص ١٤

الإعلام في الصين:

تعتبر الحضارة الصينة من أكبر الحضارات المتجانسة في العالم، حيث تربط بين جميع بقاع هذه الكتاب والأدب والإعلام.
يقاع هذه الكتابة الأرضية الشاسعة وسيلة اتصال مشتر كة في الكتاب والأدب والإعلام.
وتنقسم بلاد آسيا من الوجهة الثقافية ، وبصفة عامة بين الصين والهند . حيث
تتمى بعض البلاد من الناحية الجمالية إلى الهندوسية في الهند ، بعقائدها القديمة ذات
المنزى الدينى ، والسمات الفنية الخاصة ، والرقص الذي اتحذته وسيلتها التعبيرية
الرئيسية . . وبإشراقة الحضارة الصينية القوية القادرة بالمثل على تمدين الشعوب ، أخد
نفوذ الهند الذي كان ينسط ويغزو البلاد البعيد يتضاعل ويضعف ، وبدأت حضارة
الصين تقتنى فيتنام وهونج كونج وكورياو أو كيناو او اليابان . وجرى تبادل منظم إلى حدم
لولمجاج والطوافين والعلاقات الدبلوماسية . وقد تغلغلت المقيدة البوذية المندية في والمجاج والطوافين والعلاقات الدبلوماسية . وقد تغلغلت المقيدة البوذية المندية في
الممين والبلاد المتاجمة لها منذ ألفي عام بنفس الحماسة التي انتشرت بها في بلاد جنوب
شرق آسيا . وقد كان الوعي المسرحي في المنطقة الصينية بمثل مظهرا اتصالها هاما .
ويؤكد فولير ... ولو أنه ليس هناك ما يثبت تأكيكه ... أنه كانت في الصين منذ زمن
ويؤكد فولير ... ولو أنه ليس هناك ما يثب تأكيكه ... أنه كانت في الصين منذ زمن

و يؤكد فولتير ـــولو أنه ليس هناك ما يثبت تأكيده ـــأنه كانت في الصين منذ ز من سحيق صحف و مجلات .

وقال ماركوبولو فى كتاب رحلاته . 3 لن أتجلوز الحقيقة إذا قلت إن إمبراطور الصين كان عليما بأسرار الكيمياء السحرية ، فقد كان يصدر أوراقا تتمحول إلى كثير من المال » ، ويقصد بها الأوراق النقدية كوسيلة للتداول .

اتصال العرب بالحضارات القديمة :

وكان للعرب قبل الإسلام اتصال بهذه الحضارات القديمة و نظمها الاتصالية ، وهناك إشارة إلى العرب في الكتابات الآشورية ، هي الإشارة التي وردت في كتابات الملك شدم الترب في الكتابات الآشور (١) ، فقد كان هذا الملك أول من أشار إلى العرب في نص من النصوص التاريخية التي وصلت إلينا ، وهو تسجيل لانتصار عسكرى تم له في السنة السادسة من حكمه . ثم توالت الإشارات إلى العرب في أعبار الحملات الآشورية ، وفيها أسماء لمواضع عربية معروفة قديما . . وأسماء لشخصيات عربية أيضا هي أقلم أسماء معروفة لنا ، وقد وردت في نصوص عربية مثل : زبيبة وشمس والباسق .

⁽١) آدى شير ، تاريخ كلغو وآشور ، ييروت ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين .

ولما كان العرب يجاورون البابليين وكانوا قد ساعدوهم في نزاعهم مع آشور ، فليس من المستبعد أن يكون هنالك اتصال بين العرب والكلدانين ـــوقد تحدث الإخباريون عن غزو بختصر من سنة ٢٠٤ إلى سنة ٥٦١ ق م للعرب في أيام معسد بن عدنان ، ووصوله إلى موضع و ذات عرق ٤ .

وقد حدثتنا الكتابات البابلية أن بختصر أرسل في السنة السادسة من ملكه المواققة لسنة ٩ ٥ ق م ، حملة على القبائل العربية التي تسكن البادية نهبت فيها أملاكهم ومواشيهم كما نهبت ألهتهم ـــ والهدف من سرقة الآلهة كان إكراه تلك القبائل على الاستسلام والحضوع ، وهذا أسلوب من أساليب الحرب النفسية من وجهة نظر الإعلام في عصرهم ، فالاعتداء على المعبود يمثل اغتصابا للعقيدة ، وهو يقابل في عصرنا عمليات غسيل المغزا) وأساليب التلقين المذهبي التي تقرج عن كونها تطورات حديثة للسيطرة على معتقدات الإنسان والتحكم في سلوكه .. ومن ذلك ما يخضع له الأسرى في عصرنا من أسر بهدف التلقين والضغط على عقولهم لتغيير أفكارهم ،

و كذلك ما يفعله الشيوعيون حينا يقومون بعمليات غسيل المخ وإحلال معتقداتهم على المقائد الدينية الراسخة في المقول، وما تفعله الصهيونية من تخريب للمجتمعات وتقويض لقيمها والمثل العليا فيها لإضعاف تلك المجتمعات والسيطرة عليهم، على نحو ما نجد في كتابهم بروتو كولات حكماء صهيون، حيث جاء فيه د إن الشباب قد انتابه العته لا نغماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أعواننا من المدرسين والحدم والمربيات . اللافي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفين، والنساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدونهن في الفسق والترف، .

وقد تبه أدولف هتلر إلى ذلك الخطر من البلاشفة والصهابنة، وقد نبه إليه في كتابه و كفاحي ع عندما قال و فمنذ أن وضع اليهود والبلاشفة نصب أعنهم تقويض صرح الدولة الألمانية ، رأينا الرذيلة تنصب شراكها في طريق الشبيبة الألمانية كيفما اتجهت وألى و جدت ، ورأينا عرش الإباحية والخلاعة ينصب في دور العرض السبيائي والمرابع والمراقص والحانات وحتى في الساحات العامة ، وكيف يرجى من شبية هذا شأنها أن تب للذود عن الوطن ، وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده ؟ ع . والتابت تاريخيا أن الصلة بين العرب والقرس كانت موجودة قبل تأسيس إمارة

Brain Washing

الحيرة بقرون ، فالعرب أدوا الجزية للملك قورش بخورا ولبانا في سنة ٥٥ ق . م ، فقد استولى الفرس على أكثر الهلال الخصيب واتصلوا بالعرب اتصالا مباشرا . ويقال إن قمييز استعان بالعرب عندما غزا مصر سنة ٢٥ ق . م ، حيث زودوه بالإبل والماء والأدلاء ومرشدى الصحراء . كما يقال إن العرب ساعدوا الفرس في حملتهم على اليونان سنة ٢٩ ك ق . م(١) .

وفى أوائل القرن الثالث بعد الميلاد نازعت أياد مضر بعد انتصارها على جرهم وإجلائها عن مكة ، فهزمت أياد وهاجرت إلى العراق ، وكان أكبر موطن لها عين وأباغ ، على أنها استوطنت أجزاء متغرفة من جنوبى الحيرة(٢) منها وسنداد ، وهو نهر فيما يين و الحيرة ، إلى والأيلة ، وكانت أياد ذات منعة لا تعطى الإنارة أحدا من الملوك ، وقد أغارت على يلاد الفرس مرتين(٣) .

وقد سنجل الشاعر عدى بن زيد على حصن عظيم كان على شاطئ الفرات قصيدة يقو ل فيها :

أيها الشامت المعير بالدهـــــــر أأنت المرأ الموفــــور ؟ من رأيت المبرأ الموفـــور ؟ من رأيت المبرأ يضام خفير ؟ أن كسرى .. كسرى الملوك أنوشــــروان أم أين قبلــه سابــور ؟ وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم م لم ييـــــى منهم مذكـــور وأخو الحضر إذ بناه وإذ دجلـــــة تجبــى إليــه والخابـــور مناده مرمــرا وخللــه كلما فللــطو في ذراه وقـــور لم يبه ريب المنون بيأن الســـماك عنــه فبابــه مهجـور مره مالــــــه وكارة ما يحــاك والبحر معرض والسديــر مره مالــــم، الماديــر على فراه وقال: وما غبـــاك والبحر معرض والسديــر فلرعوى قلبه وقال: وما غبـــاك حقــة حتى إلى المحـات يهمر فلرعوى قلبه وقال: وما غبـــطــة حتى إلى المحـات يهمر

ويروى التاريخ أن غارات العرب تكررت على القرس بما جعلهم يفكرون في تأسيس إمارة تكون بينهم وبين العرب من ناحية ، وبينهم وبين الروم من ناحية أخرى ، فكانت إمارة الحيرة الذي كانت تبعد ثلاثة أميال من الكوفة على بحيرة النجف ، وتقع على حافة البادية .

⁽١) العرب قبل الإسلام ، جورجي زيدان ص ١٠١ ، نقلا عن هيرودوت .

⁽٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٣ ص ١٦٧

⁽٣) شرح القصائد العشر للتيزيزي ص ٢٧٣

وقد سكن الحيرة ثلاثة من القبائل؟ تنوخ ، وهم البدو النازلون غربى الفرات ، و 1 العباد ، وهم الساكتون الأصليون للمنطقة ، و 9 الأحلاف ، وهم الوافدون إلى الحيرة من مختلف البقاع . . ولكنهم جميعا من العرب . . ويعتبر النعمان بن امرئ القيس ابن عمرو المعروف بالنعمان الأعور من أعظم ملوكهم ، وقد حكم الحيرة من سنة ٠٠٠ عـ ٢٣١ م، وكان آخر ملوكهم الأقوياء النعمان بن المنذر أو النعمان الثالث من سنة ٥٨٥ ــ ١١٣م.

وكانت الحيرة إلى جوار أنها حلقة اتصال بين العرب والفرس بجمعا لأدبان عديدة وملل ونحل مختلفة في الجاهلية . . فقد عاش فيها من يعتنق الزرادشتية والمسيحية والمانوية وأصحاب الديانات الوثنية الذين بقيت منهم الصابحة في حران حتى القرون الوسطى (١). والثابت تاريخيا أن سيف بن ذي يزن أمير اليمن قد استنجد بالفرس على الأحباش الذين استولوا على اليمن سنة ٧٧٥ م ، فاتحه إلى كسرى أنو شروان سنة ٥٣١ ــ ٥٧٨ م فمده بجيش خلص الين من حكم الأحباش وأخضعها لحماية الفرس(٢).

وقد سجل الشاعر أبو الصلت فرحة العرب بينا الانتصار في قصيدة منها:

لا يطلب الشأر إلا كابن ذي يزن ف البحر خيم للأعسداء أهسوالا أتى هرقل وقد شالت نعامته فلم يجد عنده النصر الذي سالا تخالهم فوق متمن الأرض أجيسالا أو مثل وهرز يوم الجيش إذ صالا ما إن رأيت لهم في الساس أمشالا أسد تربب في الغيضات أشبسالا أضحى شريدهمو في الأرض فلالا في رأس غمدان دارا منك محلالاً وأسبل اليوم في برديك إسبسالا

ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرة من السنين يهين التمسقس والمالا حتى أتى بيني الأحرار يقلمهم من مثل کسری شاهنشاه اللوك له لله درهمو من فتيــــــة صبروا ييض مراز بــــة غلب أساورة أرسلت أسداعلى سوق الكلاب فقد فاشرب هنيما عليك التباج مرتفعا وأطبل بالمسك إذ شالت نعامتهم ومع أن اليمن لم تنعم باستقلال تام ولا حكم عادل من الفرس ، إلا أنها ابتهجت لخلاصها من الأحباش الذين حاولوا الاعتداء على البيت الحرام ، ثم أساعوا استعمال صلطتهم ولم يتورعوا عن ارتكاب أبشع الجرائم الخلقية وانتهاك أعراض النساء ، مما جعل

العرب يسخطون عليهم ويقررون التخلص منهم بمساعدة كسرى .. ويذكر التاريخ أن

Literary History of Persia - Browne, p. 154. (1)

⁽٢) سيرة ابن هشام ، ج ١ ص ١٥ ـــ ٧٣

سيفا قال لكسرى عندما ذهب إليه مستنجدا ﴿ أَيِّهَا الملك غلبتنا على بلادنا الأغربة فجتك لتنصر ناعليهم وتخرجهم عناويكون ملك بلادى لك، فأنت أحب إلينا منهم ﴾ .

قجتك لتنصرنا عليهم وتخرجهم عنا ويكون ملك بلادى لك ، فانت أحب إلينا منهم . وإلى جوار هذه الرابطة التي عقدتها الحرب بين عرب الين والفرس ، كانت هناك روابط أعرى تجارية كثيرة امتدت إلى مكة . فكانت العروض اليمنية الفارسية والفارسية والفارسية المناصة تقد إلى مكة ، كا كانت رحلة الشتاء التي يقوم بها القريشيون كل عام تفد إلى اليمن بعروض مكة . . وفي مقابل ذلك كانت عبر قريش غرج من مكة كل عام إلى الشام في رحلة الصيف . وقد بلغ من أهمية رحلتي الشناء والصيف أن ذكرهما القرآن الكريم حين قال تعالى ﴿ لاللاف قريش و إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ قريش ١ ، ٢ . وكانت الشام في تلك الفترة تحت حكم الرومان ، وعن طريق هذه الرحلة كان وكانت المم إقامة في تلك المؤرب اتصال مباشر أساسه التجارة . ثم إن العرب كانت لهم إقامة في تلك الوء ع قبل المربع كانت لهم إقامة في تلك

وقد عترُ على نقد ضرب في عهد الحاكم الروماني اسكورس كان عليه صورة رمزية تشير إلى الاتفاق اللدى تم بينه و بين ملك العرب الغساسنة ــــ الحارث ـــــ لمنع تحرشات العرب بحدود الإمبراطورية .

والمعروف أن سياسة الرومان كانت الاستعانة بالعرب لحماية الحدود المتاخمة الصحاري والمناطق التي يصعب عليهم حمايتها . وقد ذكر المؤرخ الشهير سترابون أن أحد سادات القبائل العربية كان متحكما في البادية المتاخمة لبلاد الشام ، وكان من حلفاء الرومان ، ثم انقض عليهم وعبر إلى العراق وذلك لإهانة لحقته من الحاكم الروماني ، ويقول سترابون إن هذا وقع في سنة ٤٦ ق . م (١) .

وقد ذكرت الأخيار أن عيّان بن الحويرث بعد أن سمع باستقبال قيصر القسطنطينة « يوسطنيوس الملحارث بن جيلة ملك الغساسنة ، وسمع أيضا عن ذهاب امرئ القيس إلى القيصر نفسه ليستمين به على استعادة عرشه ، وكذلك سمع عن سيف بن ذى يزن وما حققه من طرد الأحباش بعد مساعدة كسرى . . فقرر أن يشد الرحال إلى القسطنطينية ليطلب من قيصرها أن يجعله ملكا على مكة ، وأن تكون مكة مركزا من مراكز ملكه .

وراح عثمان يحدث الإمبراطور والإمبراطورة عن مكانة مكة بين العرب ، وكيف أن الكعبة هي قبلة العرب جميعا في الحيوة والشام وفي الحجاز واليمن ، وكيف أن من يملك مكة تدين له بالولاء كل قبائل العرب .

Strabo, Die Araber, I, - 5. 179. (1)

وقد صادف هذا القول هوى في نفس القيصر فوافق على ما عرضه عثمان ، ثم ألبسه التاج والعباءة الملكية وأرسله إلى مكة ليحكمها بأمره . ولكن قريشا عندما رأته صاحت به ومكة لقاح لا تملك ، ثم طردته شر طردة فعاد إلى القسطنطينية حيث عاش هناك إلى أن مات .

أما عن صلة العرب باليونان فإننا نجد أن أقدم اسم يوناني سجله تاريخ العلاقات العربية اليونانية هو الإسكندر المقدوفي سنة ٣٥٦ ــ ٣٣٣ ق. م ، الذي فتح الممالك التي تحيط به والتي كانت تعلل على البحر الأحمر والخليج العربي ، ثم أراد أن يسيطر على جزيرة العرب ليجعلها جزءا من إمبراطوريته العظيمة وليستفيد بما فيها من جبرات ، فأرسل بعثات تستطلع له أمورها وأحواها حتى يتسنى له إرسال أسطول يستولى على سواحل الجزيرة ، وقد عادت إليه الرسل بما شجعه على البدء في الاستعداد لغزو الجزيرة ، ولكن الغزو لم يتم حيث فاجأه الموت قبل أن يحقيق هذا الأمل :

والمتأمل لفتوحات الإسكندر وتوسعاته في آسيا بالذات يرى أنها لم تكن فتوحات وتوسعات سياسية فحسب ، ولكنها كانت ربطا للعالمين الشرق والفرني ودمجا للثقافات والحضارات فهما ، والتعرف على أمم كانوا يسمعون عنها وشعوب كانوا يتشوقون إلى لقائها للتأكد مما روى إليهم عن عاداتها وتقاليدها وأمجادها وأساطيرها .

وقد جاء إلى مصر علماء من اليونان مع الإسكندر أفادوا واستفادوا ، حتى لقد تحولت القرية الصغيرة التي سميت باسم الإسكندرية إلى مدينة عظيمة تموج فيها التقافات الشرقية والغربية ، وتمترج الحضارات ويتلاق العلماء ، وأصبحت بما أكبر مكتبة عرفت في ذلك الوقت ، وقد ظلت للإسكندرية مكانتها العلمية والحضارية حتى أشرق على العالم نور الإسلام .

هذا وقد كان من نتائج دخول اليونان إلى البحر الأحمر والخليج العربي أن دخلت النقود اليومانية إلى تلك الأماكن، وقد علر في بعض بلاد الجزيرة العربية على نقد ضرب على النحو الذي كان عليه نقد الإسكندر .

وهذا كله يؤكد أن العرب لم يكونوا منعزلين عن غيرهم من الأمم ، وإنما كانوا على اتصال وثيق بهم .. وكانت هناك علاقات تأثير وتأثر .

الفصل الثاني

الإعلام في المجتمع العربي القديم

هذا البحث يتناول الإعلام في الإسلام ماضيه وحاضره ومستقبله.. ولذلك يتعين علينا أن تركز على دراسة المجتمع العربي الذي اختتاره الله سبحانه وتعالى وشرفه بنزول دينه القويم عليه سوبخاصة من ناحية و وسائل الاتصال الإعلامي بين أطراف الجزيرة العربية ع ذلك المجتمع الذي قام على البدو والحضر سأهل وير وأهل مدر سفأما أهل المدر فهم الحواضر وسكان القرى، أو بعبارة أخرى هم القبائل التي استقرت في مساكن ثابتة وهي المسماة بدنات سوأما أهل الوبر فهم سكان الصحارى الذين يعيشون في الحيام ويتنقلون تبعا للمراعي وانتجاعا للمياه.

وتطلق لفظة 3 عرب ، على أهل المدر خاصة أى على الحضر 3 والحاضر والحاضرة من العرب ، ، أما أهل البادية فعرفوا 3 بالأعراب ، ، وإن كانت كلمة العرب قد أطلقت فى لغتنا لتشمل العريين 3 عرب الحاضرة وعرب البادية ، .

ورغم أن العرب كانوا موزعين على الرقعة الصحواوية، إلا أنهم كانوا يمثلون أمة واحدة هي نتاج الاتصال بطرقه المعروفة لديم وقد قال الجاحظ و العرب كلهم شيء واحدة . ولا تصاهر واحدة ، والأخلاق والشيم واحدة ، وبينهم من التصاهر والتشايك والاتفاق في الأخلاق وفي الأعراق ، وجهة الحتوفة المرددة والعمومة المشتبكة ، ثم المناسبة التي بنيت على غريزة التربة وطباع الهواء والماء . فهم في ذلك شيء واحد في الطبيعة واللغة والفحة والشمائل ، قالوا والمشاكلة من جهة الاتفاق والطبيعة والعدة ربما كانت أبلغ وأو غل من المشاكلة من جهة الرحم . وقد كان العرب يشعرون بهذه الوحدة الطبيعة ، ويحون إلى تقويتها بجميع كلمهم ، وقد قوى تلك يشعرون بهذه الوحدة الطبيعة ، ويحون إلى تقويتها بجميع كلمهم ، وقد قوى تلك الرغبة فيهم علولة المقرس إذلاهم ، وعلون الترب الرغبة فيهم علولة المقرس إذلاهم ، وعلون الترب المقالة الأحياش الاستيلاء على الكعبة موطن تقديسهم ، وطمع الأجانب فيهم ، اذلك استدعت الحال أن يكون بينهم عطباء يدعون إلى هذه الوحدة الجامعة »

والمعروف أن الفاصل بين الحضارة والبداوة عند العرب أو غيرهم من الأمم هو أسلوب الحياة ونظامهما، وكيفية الاتصال فيها . والمعروف أيضا أن القبائل المنتقلة كانت تسكن الحيام على اختلاف أنواعها، وكانت خيمة سيد القبيلة هي أكبر الحيام وتسمى و مضرب القبيلة ٥، وكانت تستعمل و ناديا ٤ يسمر فيه السيد مع أصحابه، ويأوى إليها الضيوف وكل عتاج للقرى. ويفتخر سيد القبيلة بمضربه هذا وتفتخر قبيلته أيضا، فكانوا إذا مدحوا إنسانا وأرادوا الإشادة به وبمكانته قالوا ٥ إنه الكريم المضرب، شريف النصب ٤. وإذا أرادوا ذم إنسان قالوا ٤ ما يعرف له مضرب عسلة ٥٠ ولا منبض عسلة ١، في من النسب والمال.

أما القبائل التي تحضرت واستقرت وأصبح اسمها البدنات، فكانت تقيم بيوتها كما قلنا من الحجارة والخشب ومن مواد أخرى تجعل البناء يدوم أمدا طويلا، خاصة بيوت سادات القبائل والرؤساء. ومن حولها أسوار عالية وأبراج وحصون يأوى إليها المدافعون للمراقبة وشفل العدو عن الدنو ورميه بالحجارة والسهام، وغير ذلك من وسائل الدفاع التي كانت في متناول أيديهم.

وتؤلف الأبواج صفحة من صفحات الإعلام في التاريخ الجاهل، فلم يقصد من وراء بناتها أداء واجب الدفاع فحسب، ولكن قصد منها أيضا أداء وظيفة المراقبة الإعلامية.

المجالس وآداب الإعلام:

كم كانت المالس عند الجاهلين العرب تمثل وسيلة من وسائل الاتصال لها آدابها ونظمها، ومن ذلك أن على كل إنسان صيانة حرمة بيته وبيت غيره سواء بسواء .. ولعل السبب في إصرارهم على صيانة حرمة البيوت أن بعض الأعراب كانوا يقتحمون البيوت بلا استغذان . وتحدثنا كتب السيرة والأخبار أن من الأعراب من كان يقف أمام حجرة النبى ويصيح: « اخرج يا محمد ٤ . ولهذا شدد في الإسلام على الاستقذان وعلى السلام.

كذلك فقد كانت التحية عند الجاهايين العرب وسيلة من وسائل الاتصال الشخصي ، وكانت العادة أن يجي الصديق صديقه إذا رآه. ومن تحياتهم السلام ، وحياك الله .. أو حياك .. 3 ثم يذكر اسم إلهه ».

وإذا كان اللقاء صباحا قالوا و أنعم صباحا وعم صباحا ، .

وإذا كانوا جماعة فيقول 3 أنعموا صباحا وعموا صباحا ٤. وإذا كان اللقاء مساء قال 3 أنعم مساء وعم مساء ٤. وتجمع.

والمصافحة كانت معروفة عند الجاهليين العرب باليد اليمني، وقد يتطافحون باليدين، وقد يتعانقون إذا كانوا قد عادوا من سفر بعيد أو طالت غيبتهم في إحدى الرحلات. وتكون إجابة الصغير للكيو بتليية مؤدبة . فإذا سأل إنسان ذو مكانة إنسانا آخر أقل منه مكانة ، أجابه بجمل فيها أدب وتقدير مثل « لبيك و سعديك » .

ومن آدابهم في البيت الامتناع عن **قول القعش واطنوض في المواضيع المثيرة للفزع** والرعب بحضور النساء ، وعلم النظر بسوء إلين ، وعدم تركيز النظر عليهن لأن في هذا إهانة لرب البيت واستهانة بحرمة الأسرة ،

وهذه أمور يركز عليها الآن الإعلاميون بالنسبة للمواد الإعلامية التي تدخل البيوت عن طريق الفيديو والتليفزيون ، ليشاهدها الجميع تما فيهم الأطفال والبنات والنساء .. كالأفلام الجنسية وأفلام الرعب التي تعرضها أسجانا بعض دور السينا أو أجهزة الفيديو ، ولا يجوز بحال من الأحوال عن طريق التليفزيون أو الإذاعة .

أما السمز فقد كان للخاصة الذين كافوا بجثمعون فى البيوت أو المضارب، حيث يتحدثون بأعبار الأيام الماضية والحاضرة والقبائل البعيدة والقريبة. ويذكر أن عبد المطلب جدرسول الله عليه كان يجتمع بدار الفدوة كل مساء ليروى للقوم من قريش تاريخ الأقدمين فى الجزيرة وغيرها من البلاد العربية وغير العربية.

ولم يكن السمر للتسلية والترفيه والإمتاع وشغل وقت الفراغ فحسب، بل كان وسيلة من وسائل الإعلام. ذلك لأن أخبار أيام العرب وقصص رجالها كانت مادة الحديث في تلك المجالس، وكان الذين يتصدون للحديث والرواية هم أصحاب الألسنة ومن أو توا مواهب خاصة يجيدون بها معرفة نفسيات الذين يستمعون إليهم، و المادة إلمجبية لديهم. وما كانوا يجنئون به الأخبار والحوادث المسلية الطريفة، والملح والنوادر، وقصص الأجلال والقرسان التي كان الجاهليون يتشوقون لسماعها.

ويمكن تقسيم السمر إلى أربعة أقسام هي:

١ ـــ ما يدور حول أخبار العالم كما وصلت إلى البادية.

٢ ــ ما يدور حول أخبار الملوك وسادات القبائل.

٣ ــ الشعر والمناسبات التي قبل فيها .

٤ ـــ الجن والأساطير والخرافات.

الأعياد كوسيلة إعلامية:

ولما كان الاتصال بين العرب في جاهليتهم صعبا، كنتيجة لتوزعهم على رقعة واسعة من الصحراء كقبائل متنقلة وبدنات مستقرة، فقد كانت الأعياد هي وسيلتهم للتجمع والاتصال. وأعياد الجاهلسيين كانت كثيرة نظرا لكارة آهتهم، فقساد كانت ٣٠٠ صنا ٤. وكان الحيج إلى مكة من أهم هذه الأعجاد.. حيث يجتمع فيه الناس من ختلف القبائل؛ بل من مختلف البلدان في ظروف أمن وسلام لا يحل فيها قتل و لا تتال و لا اعتداء و لا لغو و لا فحش. و كان الحيج موسما تجاريا يعود على الجميع بالكسب الوفير إلى جانب كو نه وسيلة من أهم وسائل الإعلام والاتصال _ وهو كذلك حتى يومنا هذا . .

أما يترب فكان لها عيدان هما التروز والمهرجان. وقد ذكر في جامع الأصول وتاج العروس واللسان والقاموس ومقدمة الصحاح أن الرسول عليه الصلاة والسلام حينا قدم يترب أبدنهما يومي القطر والأضحى.

وكانت الأعياد فرصتهم للتعرف على أخبار القبائل والأقوام من حولهم، إلى جانب الترفيه والتسلية وتمضية الوقت فى الاستماع إلى الفناء ومشاهدة السرقص واللعب بالسيوف، والاستمتاع بالمساجلات الشعرية التى كانت تعقد فى تلك الأعياد.

والآلات الموسيقية التي استعملت عند العرب الجاهلين ثلاث: آلات ذات أو تار كالمود، وآلات نفخ، وآلات ضرب كالصنوج والطيل والدف.

الأسفار والرحلات:

وكانت الأسفار والرحلات كذلك من وسائل الإعلام ونشر الأخبار ، فقد كان للمزب في الجاهلية رحلتان : رحلة الصيف وكانوا يذهبون فيها إلى الشام ، ورحلة الشتاء وكانوا يذهبون فيها إلى البين . ولم تقتصر هذه الرحلات على التجارة فقط وإنما كانت وسائل إعلامية خا خطرها . فالعير تخرج من قريش في طريقها إلى الشام أو اليمن فتعم بالعشرات من البلاد والمعات من القرى، وفي كل بلد أو قرية تأخذ وتعطى ، وعندما تمود إلى مكة ثانية تكون معها حصيلة من الأخبار والقصص والروايات تعيش عليها إلى أن يمين موعد الرحلة القادمة .

دور التدوة:

و تحدثنا كتب التاريخ عن فور للنفوة كان أشهرها وأهمها لذى العرب الجاهليين الدار التي شيدها قُصى الجد الأعلى لرسول الله عَلَيْكُ ، وجعل بابها يفضى إلى بيت الله الحرام ، وكان يجلس فيها ليصرف أمور الناس ويحل مشاكلهم الخاصة (العامة . وهي عبارة عن عجلس يشبه المجالس التي كانت في مدن اليونان ، وقد كونوها لتكون حكومة الملينة المُشرقة على شعونها المليرة لأمورها .

ولم يكن يدخل دار الندوة من قريش من غير و لدقصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، لما كان قد استقر في أذهان الناس من أهمية السن في سداد الرأي ونضج التفكير.

-51_1

والمسلاً الذى ورد فى القرآن الكريم بمعنى جماعة يجتمعون على رأى واحد، وتعير لفظة الملاً عن الغالبية الساحقة ـــأى بمفهومنا الإعلامى العصرى الرأى العام ـــوعرف علماء العربية الملاً أنه المرؤساء والجماعة وأشراف القوم وسادتهم ورؤساؤهم ومقدموهم الذين يعتد بقولهم ويؤخذ بمشورتهم.

يروى أن النبى ﷺ سمع رجلا من الأنصار وقد رجعوا من غزوة بدر يقول و ما قتلستا إلا عجاز صلعا، فقال عليه أزكى السلام: (أو لتك الملأ من قريش، لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك).

وكان عَلَيْقَة بقصد أشراف قريش وسادتها الذين جدلتهم سيوف المسلمين في بدر. فالملاً كما يقول لسان العرب (إنما هم القوم ذوو الشارة والتجمع للإدارة) . وورد في تاج العروس (أن الملاً : التشاور والعلية) . ويظهر من المواضع المديدة التي وردت فيها كلمة الملاً بالقرآن الكريم أن المراد بها في أكثر تلك المواضع علية القوم من ذوى الرأى والمكانة .

ولقد كان نظام الاتصال فى دور الندوة وفى الملأ على السواء، يقوم على المشاورة والمناقشة التى تؤدى إلى الاستقرار على الرأى السليم الذى تلتزم به الجماعة، ولذلك كانت العرب تحمد الأناة فى الرأى . والدليل على ذلك أن عامر بن الظرب حكم يقول و دعوا الرأى يغب حتى يختمر، وإياكم والرأى الفطير . و. وقال قس بن ساعدة الأيادى لابنه و لا تشاور مشغولا وإن كان حازما، ولا جاتما وإن كان فهما، ولا مذعورا وإن كان فطنا، ولا مهموما وإن كان عاقلا. فالهم يعقل العقل، فلا يتولد منه رأى، ولا تصدق به روية .

وقال الأحنف بن قيس 3 لا تشاور الجائع حتى يشبع، ولا العطشان حتى يروى ، ولا الأسير حتى بطلق، ولا المُقِلّ حتى يجد، ولا الراغب حتى ينجع ۽ .

البريد كوسيلة اتصال:

وقد عرف البريد بين الجاهليين العرب وإن كان أصل الكلمة فارسيا . والبريد كما جاء في اللسان بمعنى الرسول وموضع البريد والدابة التي تحمل الرسول والرسالة .

قال الشاعر العربي :

 ومن أعمال صاحب البريد إرسال الأعبار إلى من عينهم في هذا المنصب، فهم موظفون غيرون يقومون بوظيفة المراقب والمخير. فهم يخيرون الرؤساء والملوك وكبار الموظفين عن الأحوال العامة للمكان الذي يقع في اختصاصهم، وأعبار الجهات المسئولة عن التصرفات المشبوهة التي قد تدبر ضد الدولة، وعن تحركات الموظفين خشية انفرادهم في الحكم وإعلانهم العصيان على الحاكم.

الخطابة وبلاغة الاتصال:

والنابت تاريخيا أن الحطابة كانت راتجة عند العرب ، وأن البلاغة كان ها مكانة عظيمة إلى درجة أن العبارة البليغة كانت تقيمهم وتقعدهم بما تتيره في نفوسهم من انفعالات النخوة والشهامة والحماسة والاندفاع إلى القتال .

وقد كان للعظيب عند العرب الجاهليين مقام كبير، لفصاحة لسانه وقوة بياته ومقدرته على الدفاع عن قومه والذب عنهم والتكلم باسمهم، فهو في هذه الأمور مثل الشاعر لسان القبيلة ووجهها ورجل إعلامها. وقد ذكر أهل الأخيار أسماء جماعة من الخطباء اشتهروا بقوة بيانهم وسحر كلامهم وأوردوا نماذج من خطبهم، ومنهم من اشتهر بنظم الشعر وعدّ من الفحول، مثل عمرو بن كلثوم.

وذكر الجاحظ 3 أن العرب استعملت الموزون والمقفى والمشور في مساجلة الحصوم، والرجز في الأعمال التي تحتاج إلى تشييط وبعث همة ، وعدد مجالة الخصم وساعة المشاولة، وفي نفس المجادلة والمحاورة، واستعملت الأسجاع عند المنافرة والمحاخرة، واستعملت المشورة المنافرة والمحاخرة، والمتعملت المشورة أيضا 3 وكل شيء للعرب فإلم ابدية وارتجال وكأنه إلهم، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكرة ولا استعملت، فإلمه المحافرة الذي يهرف همه إلى جملة الملقعب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فإليه المعنى إرسالا، وإنما هو أن يصرف همه إلى جملة الملقعب، وإلى العمود الذي إليه نفسه، ولا يدرسه أحد من ولده. وكانوا أميين لا يكتبون، ومطبوعين لا يتكلفون. في المالكلام الجيد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكل واحد في نفسه أنعلق، ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليم أسهل، وهو عليم أيسر من أن يفتقر اللي تغلق من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب ، والتحرم م واتصل بعقوط، من غير تكلف ولا قصد، ولا تحفظ ولا طلب ،

وقسم الجاحظ الخطب إلى قسمين فقال 1 اعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر والوبر، من البلو والحضر، على ضربين، منها الطوال ومنها القصار، ولكل ذلك مكان يليق به وموضع بحسن فيه. ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة، ومتساكلا في استواء الصنعة، ومنها ذات الفقر الحسان، والتنف الجياد، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ، وإنما حفظه التخليد في بطون الصحف، ووجدنا عدد القصار أكثر، ورواة العلم إلى حفظها أسرع ع.

هذا وقد استخدم العرب الخطابة كسلاح فعال في المفاوضات التي تكون داخل القبيلة في السلم وفي الحرب. وفي المفاوضات التي تكون بين القبيلة وغيرها من القبائل. ومن الخطباء الجاهليين جماعة تخصصت في إلقباء المواعظ والخطب الدينية والأخلاقية، وهم قوم يسمون بالأحناف. وكانوا على دين إبراهيم عليه السلام وقد عادوا إلى مكة مع أبناء إسماعيل عليه السلام، واستقروا في الحرم حيث كانوا يقومون بالتدريس للناس.

ومن أشهر الخطب المنسوبة للعرب الجاهليين، المخطب التي قالها النعمان بن المنذر ورجاله لكسرى أنو شروان. وكان الأحير قد تكلم في العرب بما اعتبره الأول مهانة للعرب، وأراد أن يرد عليه فيلقمه حجرا.. فقال:

و أصلح الله الملك.. حق الأمة الملك منها أن يسمو فضلها ويعظم حظها و تعلو درجتها ، إلا أن عندى جوابا في كل ما نطق به الملك، في غير رد عليه ولا تكذيب له ، فإن أمني غضبه نطقت به ٤ . فلما أمنه كسرى قال و أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في المني غضبه نطقت به ٤ . فلما أمنه كسرى قال و أما أمتك أيها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها اللك وهي به من عقوفا وأحلامها ، وبسعلة محلها و بموحدة تقربها بالعرب أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك . وأما الأمم الني ذكرت فأى أمة تقربها بالعرب وجوهها ، وبأسها و صحناتها وحسن عزبها و واسلة عقوفا وأفتها ووفائها . فأما طبح به ينافع ومنافع و معادهم الأرض، عزبها ومنعتها في المالك وقادوا الملك وقادوا الملك وقادوا الملك وقادوا الملك وقادوا الملك وقادوا الملك و معهدهم الأرض، عزبها ومنعتها فإنها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطلوا الملك وقادوا الحدد ، في يطمع فيهم عاصع ولم يناهم نائل . حصوتهم ظهور خيلهم ، ومهادهم الأرض، المحجزرة والطين وجزائر المحور . وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في المحجزرة والطين وجزائر المحور . وأما حسن وجوهها والوائها فقد يعرف فضلهم في وأما على غرهم من المخذ المنسبة أو أصال المنه أو وقد جهلت آباءها وأصوفا وكثيرا من وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأم إلا وقد جهلت آباءها وأصوفا وكثيرا من أولما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الأم أيها دينا فلا ينسبه ولا يعرفه . . وليس أحد من

العرب إلا يسمى آباءه أبا فأباء أحاطوا بذلك أحسابهم، وحفظوا به أنسابهم، فلا يدخل رجل في غير قومه، ولا يتسب إلى غير نسبه، ولا يدعي إلى غير أبيه.

وأما سخاؤها فإن أدناهم رجلا الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حمولة وشبعه وريه ، فيطرق الطارق الذي يكتفى بالفلذة ويجتزى بالشربة ، فيعقرها له ويرضى ان يخرج عن دنياه كلها فيما يكبسه حسن الأحدوثة وطيب الذكر .

وأما حكمة ألسنتهم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم، وحسنه ووزنه وقاماً حكمة ألسنتهم فإن الله أعطاهم في أشعارهم ورونه الميل لشيء من معرفتهم الأشياء وضربهم الأمثال وإبلاغهم في الصفات، ما ليس لشيء من ألسنة الأجناس. ثم خيلهم أفضل الخيل، ونساؤهم أعف النساء، ولباسهم أفضل اللباس، ومعادنهم النهب والفضة، وحجارة جبالهم الجزع، ومطاياهم التي لا يبلغ على مثلها سقن، ولا يقطع بمثلها بلد تقر.

وأما دينها و شريحتها فإنهم متمسكون به حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه أن لهم أشهرا حرما و بلذا عرما ، ويبتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبالتعهم. فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ تأره وإدراك وطره منه ، فيحجزه كومه و يمنعه دينه عن تناوله بالأذى .

وأما وفاؤها فإن أحدهم يلحظ اللحظة ريرمع الإيماءة فهي وك 3 عهد 8 وعقدة لا يحلها إلا خروج نفسه . وإن أحدهم يرفع عودا من الأرض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق ولا تخفر ذمته . وإن أحدهم ليبلغه أن رجلا استجار به ـــوعـــي أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جوار . وإنه ليلجأ إلهم المجرث المحدث من غير معرفة ولا قرابة ، فتكون أنفسهم دون نفسه . وأموالهم دون ماله .

وأما قولك إن أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها أيها الملك .. فما تركوا مادو نها إلا احتقارا له ــ فعمدوا إلى أجلها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم ، مع أنها أكثر البهائم شحومًا وأطيبها لحوما وأرقها ألبانا وأقلها غائلة وأحلاها مضغة .. وأنه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها إلا استبان فضلها عليه.

وأما تجاربهم وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم، فإنما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا أنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها إليها بالزحف. وإنه إنما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم، فيلقون إليهم أمورهم وينقادون إليهم بأزمتهم، وأما العرب فإن ذلك كثير فيهم حتى حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمين .. مع أنفتهم من أداء الخواج والعطف بالعسف ».

أعجب كسرى بما سمع وعجب له، ثم قال للنعمان و إنك لأهل لموسعك من الرياسة في إقليمك ولما هو أفضل ٥. ثم كساه من كسوته وسرحه إلى الحيرة . . فلما قلمها وفي النفس ما فيها ثما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين أمرهم، بعث إلى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة التميميين، وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن سعود المكريين وإلى حالد بن جعفر وعلقمة بن علاتقوعامر بن الطفيل، وإلى عمرو بن الشعيد وعمرو بن معد يكرب الزييدى . فلما قدموا عليه قال لهم:

 قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها، وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت أن يكون لها غور، ويكون إنها أظهرها لأمر أراد أن يتخذ به العرب خولا كبعض طماظمته ل تأدية الحزاج إليه كما يفعل بملوك الأمم الذين حوله ٤.

ثم حدثتهم بما قاله كسرى وما رد به عليه فقالوا:

أيها الملك ، وفقك الله . ما أحسن ما رددت وما أبلغ ما حججته به ، فمرنا بأمرك
 وادعنا إلى ما شقت ٤ .

فقال النعمان و إنما أنا رجل منكم وإنما ملكت وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيكم . وليس شيء أحب إلى مما سند الله به أمر كم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم . والرأى أن تسيروا بجماعتكم أيبا الرهط و تنطلقوا إلى كسرى . فإذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أو حدثته نفسه . و لا ينطق رجل منكم بما يغضبه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مترف معجب بنفسه . ولا تتخللوا له انخذال الخاضع الذليل . وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم و فضل منزلتكم وعظيم أعطار كم . وليكن أول من بيدأ الكلام منكم أكثم بن صيفى لسنى حاله . ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتم بها ، فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم علمى بجميل كل رجل منكم على التقدمة إليكم علمي بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه ، فلا يكونن ذلك منكم فيجد في ادايكم مطعنا فإنه ملك قادر مسلط » .

ثم دعا لهم بما في خزائته من طرائف الحلل والعمام، وأمر لكل رجل بنجيبة مهرية، وكتب معهم كتابا قال فيه و أما بعد، فإن الملك ألقى إلى من أمر العرب ما قد علم، وأجبته بما قد فهم، بما أحبب أن يكون منه على علم. وقد أوفنت إلى الملك رهطا من العرب لهم فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم، فليسمع الملك، وليغامض عن جفاء إن ظهر في منطقهم، وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم، وقد نسبتهم في أسفل كتاني إلى عشائرهم ه . وانطلق الرجال حتى دخلوا على كسرى والقوا إليه بكتاب النعمان فقراه، وأمر بإنواهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم. فلماأن كان بعد ذلك بأيام أمر مراز بته ووجوه أهل مم لمكته فتحضروا وجلسوا على يبنه وشماله.. ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها فى كتابه وأقام الترجمان ليؤدى إليه كلامهم، ثم أذن لهم فى الكلام فقام أكثم وقال وإن أفضل الأشياء أعاليها، وأعلى الرجال ملوكها، وأفضل الملوك أعمها مهواة، ووخير الأرمنة أخصبها، وأحسن الخطباء أصدقها. الصدق منجاة، والكلب مهواة، والشر لجاجة، والحزم مركب صعب، والعجز مركب وطيء. أقة الرأى الهوى، والضمف مفتاح الفقر، وخير الأمور الصبر. حسن الظن ورطة، وسوء الظن عصمة. اصلاح فساد الراعى. من فسلمت بطائته كان كالماص بلماء. شر البلاد بلاد لا أمير فيها، وشر الملوك من خافه البرىء. أفضل الأولاد البررة. خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة. أحق الجند بالنصر من حسنت سريرته. البررة. خير الأعوان من لم يراء بالنصيحة. أحق الجند بالنصر من حسنت سريرته. المناف الخل. البلاغة الإنجاز. من شرد نفر، ومن تراخم تألف. فأخذت الدهشة كسرى وقال و ويمك يا أكثم.. ما أحكمك وأوثق كلامك، لولا وضعك كلامك في غير موضعه ع.

فَأَجَابِهِ أَكُثْمِ ﴿ الصَّدَقَ يَنِيُّ عَنْكَ لَا الوعِيدِ ﴾.

فقال كسرى 3 لو لم يكن للعرب غيرك لكفي ؟ .

فقال أكثم و رب قول أنفذ من صول ١٠ الصول: الوثبة عند الخصومة).

ثم قام حاجب بن زرارة فقال 3 ورى زننك وعلت ينك وهب سلطانك. إن المرب أمة قد غلظت أكيادها واستحصدت مرّتها ومنمت درّتها، وهي لك واقعة ما المرب أمة قد غلظت أكيادها واستحصدت مرّتها ومنمت درّتها، وهي الطقم مرارة، والصاب غضاضة، والمسلحلاوة، والله الرلال سلاسة. نحن وفودها إليك، وألستها للديك. ذمتنا عقوظة، وأحسابنا بمنوعة وعشائرنا فينا مطيعة. إن نؤب لك حامدين خيرا فلك بذلك عمره محمدتنا، وإن تتم لم نخض باللم دونها ».

قال كسرى 3 يا حاجب ما أشبه حجر التلال بألوان صخرها ، .

رد حاجب و بل زئير الأسد بصولتها ، . قال كسرى و هو ذلك ، .

ثم قام الحارث فقال و دامت الك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنانها. من طال شاؤه كار متحه (سقاؤه) ، و من ذهب ماله قل منحه . و من تناقل الأقلويل يعرف

طال رشاؤه كثر متحه (سقاؤه) ، ومن ذهب ماله قل منحه . ومن تناقل الأقلويل يعرف اللّب . وهذا مقام صير جف بما تنطق به الركب ، و تعرف به كنه حالنا المجم والعرب . قاجابه الحارث (ايها الملك إن الفارس إذا حمل نفسه على الكتبية معززا بنفسه على الموت ، فهى منية استقبلها وجنان استدبرها . والعرب تعلم أنى أبعث العرب قلما ، وأحسمها وهى تسرف بها حتى إذا جاشت نارها ، وسعرت لظاها ، وكشفت عن ساقها ، جملت مقادها رعى ، وبرقها سيفى ، ورعدها زئيرى ، ولم أقصر عن خوف ضحضاحها ، حتى أنغمس في عمدات لججها . وأكون فلكا لفرسانى إلى بجبوحة كميشها فأستمطرها دما ، وأترك جماتها جزر السباع وكل تسوع قشعم ؟ .

فالتفت كسرى إلى بقية أصحاب الحارث وسألهم 3 أهو كذَّلك ؟ ٤ . قالوا 3 فعاله أنطق من لسانه ٤ .

فقال كسرى 2 ما رأيت كاليوم وفدا أحشد ، ولا شهودا أوفد ؟ .

ققام عمرو بن الشريد السلمي وقال اليها الملك نعم بالك ، ودام في السرور حالك . إن عاقبة الكلام متدبرة ، وأشكال الأمور معتبرة ، وفي كثير تقلة ، وفي قليل بلغة (ما يتبلغ به) . وفي الملوك سورة السفر . وهذا متطق له ما يعده . . شرف فيه من شرف و مجل فيه من محمل . لم نأت لضيمك ، ولم نقد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك . إن في أموالنا متنقدا، وعلى عزنا معتمدا . إن أورينا نارا أثقتنا، وإن أرود دهرنا بنا اعتدائنا. ألا إنا مع ذلك لجوارك حافظون ، ولمن رامك كافحون ، حتى يحمد الصدر ، ويستطاب الحبر » . قال كسر ي ؟ و ما يقوم قصد منطقك بإفراطك ، ولا مدحك بذمك » .

فال حسرى و ما يهوم عصد منطقت بوفراهات ، ولا مدحت بدهات ، . . وقال عمرو و كفي بقليل قصدى هاديا ، وبأيسر أفراطي غيرا ، ولم يلم من عزبت

نفسه عما يعلم ، ورضى من القصد بما بلغ » . قال كسرى « ما كل ما يعرف المرء ينطق به . اجلس » .

ثم قام خالد نقال 3 أحضر الله الملك إسعادا ، وأرشده إرشادا . . إن لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصة . وعن المنطق أشد من عن السكوت . وعثار القول أنكا من عثار الوعث . وما فرصة المنطق عندنا إلا بما تهوى . وغصة المنطق بما لا تهوى غير مساغة . وتركى ماأعلم من نفسى ، ويعلم من سمى أننى له مطيق ، أحب إلى من تكالى ما أتخوف ويتخوف منى . وقد أوفادنا إليك ملكنا النعمان ، وهو لك من حير الأعوان ونعم حامل المعروف والإحسان . أنفسنا بالطاعة لك باخعة ، ورقابنا بالنصيحة خاضمة ، وأيدينا لك بالوفاء رهية . ا قال كسرى 3 نطقت بعقل ، وسموت بفضل ، وعلوت بنبل ٤ .

ثم قام علقمة فقال 8 نهجت لك سبل الرشاد ، و خضعت لك رقاب العباد . إن للأقاويل مناهج ، وللآراء مدالج ، وللعويص غارج ، وخير القول أصدقه ، وأفضل للأقاويل مناهج ، ولنتراء مناجج أحضرتنا ، والوفادة قربتنا ، فلهس من حضرك منا الطلب أنجحه ، وإذا وإن كانت المجة أحضرتنا ، والوفادة قربتنا ، فلهس من حضرك المؤلف عا غرب عنا . . بل لو قست كل رجل منهم وعلمت ما علمننا ، لوجلت له فى أنفضل مناهد دينا أندادا وأكفاء ، كلهم إلى الفضل منسوب ، وبالشرف والسؤدد موصوف ، وبالرأى السليم والأدب النافذ معروف . يحمى حماه ، ويروى نداماه ، ويلود أعداه . لا تخصد ناره ، و لا يحتوز منه جاره .

وإن من يبل العرب أيها الملك يعرف فضلهم، فاصطنع العرب فإنهم الجبال الرواسي عزا، والبحور الزواخر طيبا، والنجوم الزواهر شرفا، والحصى بالصحارى عندا، فإن تعرف فضلهم يعزوك ، وإن تستصرحهم لا يخذلوك ».

قال كسرى و حسبك .. أبلغت وأحسنت ، .

ثم قام عمرو بن معد فقال وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجاة الارتياد ، وعفو الرأى خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الحيرة خير من احتساف الحيرة . وأران لنا كنفك احتساف الحيرة ، فاجتيا طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك . وأران لنا كنفك يسلس لك قيادنا . يوقس صفاتنا قراع منافير من أراد لنا قضما ، ولكن معنا حمانا من كل مر رام لنا هضما » .

ثم قام عامر الطفيل و كان قد سمع من أحيار اليود ورهبان النصارى و المنجمين والكهان أن نيبا يوشك أن يولد في العرب، يجمع ما تنافر من القبائل العربية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور، ويرفعهم فوق هامات البشر جميعا فتحدث بمثل هذا تلميحا. فقال له كسرى و متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ » .

فأجابه عام (لست بكاهن ، ولكني بالرم طاعن ١ .

واستمر هذا الحوار الخطابي بين كسرى وبين الرجال العرب ، وهو معجب بقولهم حتى انبوا فقال « قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم ، وتفنن فيه متكلموكم ، وقد قبلت فيما كان من منطقكم من صواب ، وصفحت عما كان فيه من خلل . فانصر فوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته ، فإن في ذلك صلاح العامة .

* * 4

ومن الخطب التي تحفظها واعية التلويخ العربي أيضا ، خطب عبد المطلب جد رسول الله مَنْكُلِكُ . ومن أشهرها خطبته في تبئة سيف بن ذي يزن باليمن حيث قال 3 إن الله أحلّك أيها الملك عملا رفيها ، صبعا منها ، شاخا باذخا . وأنبتك منهنا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، وثنت وعد في أكرم موطن وأطيب معدن . وأنت وعزت جرثومته ، وأنت المن العرب وربيمها الذي يخصب ، وأنت رأس العرب الذي إليه تتقاد ، وعمودها الذي عليه المماد ، ومعقلها الذي تلجأ إليه العباد . سلفك خير سلف . . . وأنت لنا منهم خير خلف . فان يخمل ذكر من أنت سلفه ، ولن يهلك من أنت خلفه . وغن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذي أبهجنا لكشف الكرب الذي قدحنا ، فتحن وفد النبعة ، لا وفد المرزئة » .

الشعر والحضارة السمعية:

يقولون إن الشعر ديوان العرب ، ويقولون هو تجارة العرب . وفي هلما القول تلخيص و تأكيد للدور الإعلامي الكبير الذي قام به الشعر في جاهلية العرب الذين كانوا أمين في عامتهم . وكانت وسيلة الاتصال الأساسية ترتبط بالحضارة السمعية الشفوية ، التي تصمد على الأذن والذاكرة الحافظة ، والبيان في القول وموسيقي الألفاظ وجمال الصعر التي . ترسمها .

فلنا اهتمت القبائل بالشاعر ، وكانت تعتز به أكار من اعتزازها بالفارس الذي يحمها بسيفه ، وهنا وضع قضت به ظروف الحياة البيئية ، ودفعت إليه الحاجة الإعلامية . يقول الجاحظ 3 كان الشاعر أرفع قلرا من الخطب في الجاهلية ، وكان يقدم عليه لفرط حاجة القبيلة إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأجم ، ويهول على علوهم ومن غزاهم ، ويحمس فرساتهم ويخوف من كارة علدهم » .

ونحن لا تكاد تجد حربا في جاهلية العرب لم تقترن أخبارها بالشعر ، فقد كانت الحرب تقوم على السيف والكلمة معا . وكان للشعر الفضل الأكبر في كثير من الأحايين في حفظ أخبار الحروب وبقاء ذكرها إلى هذا اليوم . ولا يزال الشاعر ينال مكانة محترمة عند أهل الحفر وعند أهل الوبر . فهو لسان القبيلة حتى اليوم يدافع عنها ويهجو أعداءها ، ويدو عنها ويها منه أعلى المناء من أجل البقاء . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه و الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه » .

وقال الجاحظ و وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تجمد على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها ، وعلى أن الشعر يفيد فضيلة البيان على الشاعر الراغب والمادح ، وفضيلة المأثرة على السيد المرغوب إليه والممدوح به » . وقال العسكرى و لا تعرف أنساب العرب وتواريخها وأيامها ووقاتمها إلا من جملة أشعارها ، فالشعر ديوان العرب وخزانة حكمتها ، ومستنبط آدابها ومستودع علومها » . وقال جواد على فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام «إن الشعر هو ديوان تسجيل من الاسجيل من المتحابة ليقوم مقام الكتابة لل تسجيل من السجيل له ، لجأت إلى الشعوب فى جاهلتها حين لم تعرف الكتابة ليقوم مقام الكتابة فى القلب ومن نغم يساعد على الحفظ ، فقام الشعر عندهم مقام الكتابة قبل أن تضيى الكتابة بينهم . ومن الطواهر الإعلامية فى الشعر عند العرب الجاهليين أن شاعرهم كان يتحدث بضمو الجماعة إذا كان ما يقوله فخرا ، ومن ذلك ما قاله عمرو بن كلثوم شاعر تقلب والحارث بن حلزة شاعر ولميد بن ربعة شاعر عامر وغورهم .

. قال عمرو بن كلثوم في معلقته يفتخر بقومه :

ونحن غداة أوقد ف خزازى رفندنا فوق رفد الرافديا وكتا الأيمين إذا التقيا وكان الأيميرين بنو أبيا فصالوا صولة فيمن يليم فآيا باللبوك مصفدينا وأبنا باللبوك مصفدينا

وكانت القبيلة إذا ما أخطأ شاعرها تنحمل هي خطأه ، وتقف من ورائه تحميه وتنصره ، ولا تعترف أبنا بما وقع فيه شاعرها من الخطأ ، أو تقبل له أن يعتذر أو يقف موقفه ذل وهوان . ويقول في ذلك أحد الشعراء الجاهليين :

إذا ما الملك سام الناس خسفا أينا أن نقر السذل فينسا وأيساء لنساغ طوال عصينا الملك فيها أن نفينا ألا يجهلن أحد علينسا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

كذلك فإن المدخ لم يكن يصدر عن شاعر الجاهلية ، لأن الممدوح أسدى إليه شخصيا معروفا أو صنع به جميلا ، وإنما كان المدح يصدر من الشاعر لأن معروفا أو جميلا قد أسدى إلى قومه .

والشاعر زهير بن أبي سلمي يقدم لنا عجير مثال على ذلك حين يقول:
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستضى عنه ويديم
ومن الظواهر الإعلامية أيضا في شعر الجاهلية ، أن القبيلة كانت تعتبر إنتاج شاعرها
ملكا لها وتراثا تحافظ عليه وتحرص على تلقينه لأطفاها جيلا بعد جيل . ولعل هذا ما كان
يجعل الشعراء ينسبون إلى القبائل لا إلى آبائهم . . فيقال قال الهذلي ، وقال العائق ، وقال
أخو بكر . . . الح .

ومنها أن الشعر في الجاهلية كان مرآة للبيئة التي يصدر عنها ووصفا تقديا لها. و في ذلك يقول ابن سلام الجمحي صاحب طبقات الشعراء « الشعر ديوان علمهم ، ومنتهى حكمتهم ، به يأخذون ، وإليه يصورون » .

والقبيلة المحظوظة من العرب الجلهليين هي القبيلة التي كان لها أكبر عند من الفرسان والشعراء ، أى فرسان السيف والكلمة . فالأول فارسها في الحرب والطعان وحامى المرض والذمار ، والثاني يؤجج نيران العواطف ويلهب جنوة الحماس في التفوس . بل إنه هو الذي يحرك الضارب بالسيف ويدفعه إلى الإقدام ويشجعه على خوض المعارك .. و وذلك يشارك الشاعر مشاركة قوية فعالة في إحراز النصر بسلاحه الموزون المقفى . وما أعظم أن يجمع الفارس بين السلاحين . السيف والكلمة .

وقد حفظت واعية التاريخ أسماء المديد من فرسان الجاهلية الذين جمعوا بين السلاحين ، واشتهروا بالبراعة في الغرب بالسيف والكلمة ، كعترة بن شداد العبسي اللدى ذاع صبته كمثل في الشجاعة والفروسية وعظمة الشمر . ولا تؤال قصته تروى جيلا بعد جيل ليعرف الناس أنه كان مهملا مستعبدا في قبيلته ، لأن أمه كانت سوداء . فلما أغارت بعض أحياء العرب على قومه وخرج فرسان القبيلة لصدهم قال له أبوه « كر يا عنترة » . فقال « العبد لا يحسن الكر ، إنما يحسن الحلاب والعبر » . فصاح به أبوه « كر ، وأنت حر » . فاندفع نحو المفيرين واستنقذ منهم ما سلبوه من قومه ، وعاد به إلىهم فاعترف أبوه به ونسبه إليه ، فصار اسمه عنترة بن شداد . وقد سجل بطولات رائعة في الشعر والحرب ، خاصة في حرب « داحس والفبراء » .

ومن الشعراء الفرسان في الجاهلية أيضا و زيد الخيل ا واسمه زيد بن مهلهل بن زيد بن متب الطائى ، وهو سيد طيء . وقد قدم على رسول الله عليه في قومه فأسلموا فعصس متب الطائى ، وهو سيد طيء . وقد قدم على رسول الله عليه جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه) . ثم سماه و زيد الخير و (ا كو قعلم له فيذا وأرضين معه ، وكتب له بذلك فخرج من عند رسول الله عليه والمي وطئم . فلما أحس بنهايته قال :

أُمرتحل قومى المشارق غذوة وأترك في بيت بفردة منجد ألا ربّ يوم لو مرضت لعادني عوائد لم يبد منهن يجهد

ومنهم عمرو بن كالثوم قاتل 3 عمرو بن هند ، ملك ألحيرة وصاحب المعلقة المشهورة ، وينتمى نسبه إلى تفلب ، وهو أحد فتاك العرب ، وقد ساد قومه وهو ابن حمس عشرة سنة ومات وهو ابن خمسين سنة .

^{* * *}

⁽١) انظر كتاب ٥ زيد الخير ٥ للكاتب الكيم عبد العزيد الرفاعي.

ولا بدأن نذكر هناأن نشأة الشعر تكاد تكون توأما لنشأة الغناء، إذ كان الحافز لذلك هو الداعى إلى ذاك ، وإذ كان الجمال المنبعث منهما له تأثير رائع على الأفقدة والأسماع ، وعلى الغرائز والطباع . .

م أخذ كل فن منهما يعمل دائبا في رسالته ، ويتطور في أداء مهمته ، ويحاول أن يأخذ أوضاعا خاصة به . . فتطورت أوزان الشعر وتعددت وأخذت شكلها المعروف الآن ، كم تطورت أخان الغناء وأصبح فنا قائما بنفسه لا يحتاج إلى الشعر ولا يتوقف على أوزانه ، وصار الشاعر كذلك يستطيم أن يصور خوالجه ويرسم أحاسيسه دون أن

يقصد إلى الغناء أو يفكر قيه .

قال ابن رشيق في العمدة «كان الكلام كله متثورا ، فاحتاجت العرب إلى الغناء يمكارم أخلاقها وطيب أعراقها . وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة . وفرسانها
الأنجاد ، وسمحائها الأجواد . لتهز نفوسها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم .
فتوهموا أعاريض فعملوها موازين للكلام . فلما تم لهم وزنه سموه شعرا ، لأنهم شعروا به
أي فطنه اله » .

فالغناء كان رفيق العربى وهو على ظهر ناقته يقطع الفياق والقفار ، وكان سمر لياليه الطويلة و المهتبية والذلك كان معظم الطويلة والمهترن عليه منظم المشعراء في الجاهلية يتغنون بأشعارهم وهم يلقونها ، فكان المهلهل يلقى شعره غناء ، وقد عرف الأعشى بعمداً جه العرب ، وكان حسان بن ثابت يقول :

تغنّ بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار

و كان الشاعر إذا أراد أن ينشد شعره أنشده واقفا . وقد يلقى الراويه شعر شاعره إن كان أقدر منه على الأداء . وذكر أن النشيد هو الشعر المتناشد بين القوم ، ينشد به بعضهم بعضا ــــ و منه و نشد الشعر وأنشده ع .

والشعراء بوجه عام اربع طبقات : جاهليون ، وغضرمون ، وإسلاميون ، ومولدون . فاعضرمون هم الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام كالجمدى والحطيقة وحسان بن ثابت . والإسلاميون وهم الذين نشأوا في الإسلام . والمولدون وهم الذين أثبوت ألبستهم فعالجوها بالصناعة .

أما الجاهليون فيقسمهم ابن سلام في كتابه طبقات الشعراء إلى عشرة:

الأولى: وهم امرؤ القيس، النابغة الذيباني، زياد بن معلوية، زهير بن أبي سلمي، الأعشر.

الثانية : كعب بن زهير ، الحطيئة ، أوس بن حجر .

الثالثة : النابغة الجعدى ، أبو ذؤيب الهذل ، حويلد بن خالد ، الشماخ بن صرار ، ليبد بن ربيعة .

الرابعة : طرفة بن العبد ، عبيد بن الأبرس ، علقمة بن عبدة ، عدى بن زيد . الحاهسة : خداش بن زهير ، الأسود بن يعفر ، تمم بن أبي ثعبل .

السادسة : عمرو بن كلثوم ، الحارث بن حلزة ، عنترة بن شداد .

السابعة : سلامة بن جندل ، الحصين بن الحمام المرى ، المتلمس جرير بن عبد المسيح ، المسيب بن علمي .

الثامنة : عمر بن قميمة ، التمر بن تولب . عوف بن عطية . سحيم عبد بنى الحسحاس .

التاسعة: الكميت بن معروف الاسدى ، عمرو بن شاس .

العاشرة : أمية بن الأسكر . حريث بن محفن .

* * *

ويضيف ابن سلام إلى هؤلاء الشعراء طبقات أخرى هي :

۱ ــ شعواء المراثى: وهم متمم بن نويرة . الخنساء . أعشى ياهلة بن الحارث .
 كعب بن سعد الفنوى .

٢ -- شعراء القرى: فالمدينة شعراؤها حسان بن ثابت ، كعب بن مالك ، عبد الله ابن رواحة ، قيس بن الخطيب ، أبو قيس بن الأسلت . وكان فيها شعراء يبودهم كعب ابن الأشرف ، والسموعل بن عاديا ، والربيع بن أبى الحقيق ، وشريح بن عهران ، وأبو قيس بن رفاعة ، ودرهم بن زيد .

وأما مكة : فشعراؤها عبيدالله بن حدافة ، وهبيرة بن أبي وهب ، وابن الزيعرى ، وأبو طالب بن عبدالمطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، ومسافر بن أبي عمرو ، وضرار بن الخطاب ، وأبو عزة الجمحي عمر بن عبدالله .

وأما الطائف: فشعراؤها أبو الصلت بن أنى ربيعة وابنه أمية، وغيلان بن سلمة، وكنانة بن عبد ياليل.

وأما البحرين: فشعراؤها المتعب عائذ بن محصن، والمنزق العبدي، والمفصل بن معشر.

أسواق الشعر والاتصال الجماهيري:

و ثما لا شك فيه أن الأسواق الكبرة في الجاهلية كانت كوسيلة للاتصال بالجماهير. ترتبط بالحضارة السمعية التي أثرت على اللفة العربية وما بلغته من إتقان ، كنتيجة لسيطرة الأذن على الاتصال بحيث يمكن أن نتحدث عن سلطان الذاكرة وما يطبع به أصحابها من رتابة واقتناع بأن النبوغ كل النبوغ في الشعر . وهذا أمر طبيعي في مرحلة الحضارة السمعية ـــ حيث يعيش الإنسان خبرته الكلية المتكاملة .

وفى مقدمة الأسواق التى عرفها العرب فى هذه الفترة سوق عكاظ، الذى كان الشعراء يفدون إليه من كل البقاع فيتعاكظون، أى يتفاخرون ويتناشدون ماأحدثوا من الشعر ثم يتفرقون.

وذكر أن النابغة الذيبالى كان ممن يأتيها فضرب له قبة حمراء من أدم ، ويمضر إليه الشعراء فيعرضون نتاجهم ويحتكمون إليه وكان من الذين احتكموا إليه الأعشى الذي أنشده ، ثم أنشده حسان بن ثابت ثم الشعراء ، ثم جاءت الحساء فأشدته فقال لها النابغة و والله لولا أن أبا بصور ــ يقصد الأعشى ــ أنشدتى آنفا ، تقلت إنك أشعر الجن والإنس ٤ . فقال حسان (والله لأنا أشعر منك ومن أيك ومن جدك) . فقبض النابغة على يده ثم قال و يا بن أسحى .. إنك لا تحسن أن تقول مثل قولى ٤ :

فإنك كالليسل السذى هو مدركسى وإن خلت أن المنسسأى عنك أوسع فأنشده حسان :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافت يقطسون من نجنة دمسا ولدنا بنسى العنقساء وابنسسى عمرق فأكرم بنيا خالا وأكرم بنيا ابنسيا فقال له النامقة :

النت شاعر ، ولكمك أقللت جفناتك وسيوفك ، وفخرت بمن ولدت ولم تفخر
 بمن ولدك » .

وذكر أن عمرو بن كلثوم كان ممن حضر سوق عكاظ ، وقد أنشد فيها قصيدته شهيرة :

آلا أهبسى بصحصنك فاصبحنا ولا تبقسى محور الأندرينسا ودكر أيضا أن القبائل كانت تفد إلى عكاظ للتجارة وتسقط أخبار القوم والتعرف بالوجهاء والشعراء وأصحاب الرأى . وجاء في التاريخ الكبير والبداية والتباية ومعجم البلدان وشرح ديوان الحماسة أن الرسول محمد بن عبد الله عَلَيْ قد حضر إلى سوق عكاظ للدعوة للإسلام .

وكانت هناك أسواق أخرى يؤمونها للتجارة وتبادل الآراء وعرض الأفكار والشاور في المشكلات . كما كانت مجالا للمفاخرات والمنافرات والمجاولات ، ومعرضا لإذاعة أمجاد القبيلة وشرف الأرومة وناديا واسعا لإلقاء روائح الشحر والمباهات بالفصاحة والبلاغة .

وكانت فى هذه الأسواق منابر للخطابة يقوم عليها الخطيب ، أو يقف عليها الشاعر لينشد قصيدته . والحق أن هذه الأسواق كانت بما فيها من جماهير غفيرة قد احتشدت وكلها لهفة للسماع والتفوق والاستمتاع ، تحمل الشعراء والخطباء على النجويد والتحسين ، وتدعوهم إلى تخير الألفاظ العدبة والعبارات الأنيقة والمعانى الرائعة ، قصدا إلى الوضوح والإفهام والإمتاع . ومن وراء الشعراء كان الرواة يحفظون ويذيعون هذا الفن الهتار بين القبائل .

وقد كان لهذه الأسواق أثرها الفعال فى التقريب بين أخلاق العرب وعاداتهم وتقاليدهم ، حيث كانت تنزل بها شتى القبائل العربية على اختلافها من قحطانيين وعدنانيين . كما كان ملك الحيرة بيعث بتجارته إليها ، وكذلك كان التجار المصريون والشوام والأحياش والمجن وغيرهم يفدون إليها .

على أن هذه الأسواق قد تركت أثرها الفعال في النظام الانصالي بالجزيرة العربية

- ذلك النظام الذي تمثل صلبه اللغة - فقد أدت إلى التقارب بين اللهجات العربية ، إذ
كانت الأذواق المرهفة في هذه الأسواق تعمل عملها في النقد اللغوى . وكانت كل قبيلة
تأخذ من لهجة الأعرى ما خعف على اللسان وظهرت فصاحته من مختلف الألفاظ
والأساليس . وكان القريشيون من بين القبائل الجاهلية التي تأثرت بذلك خلال مواسم
الحجو الأسواق والحروب ، إذ أنهم كانوا أكثر ميلا للنقد اللغوى ، فاقتبسوا من لهجات
القبائل أعذبها ، ومن ألفاظهم أسهلها وأنصعها وأفصحها . وأخلوا يضيفون ذلك إلى
حصياتهم اللغوية ، وقللت القبائل الأعرى قريشا ، وأخلت عنها عاكمة لها في لغتها ،
كانوا يتخلون اللهجة القريشية المختارة لليوعها وسرعة انتشارها . وقد أدى هذا إلى
تهذيب اللسان العربي وتقويم وإعداده الإعداد الإعداد المدر في العظيم الذي ناله عندما
نزل به القرآن الكريم على رسول الله عليها .

وذكر الهمداني أن من أسواق العرب القديمة عدن، ومكة، والجند، ونجران، وذو المجاز، وعكاظ، وبدر، ومجنة، ومنى، وحجر اليمامة، وهجر البحرين، وسوق همل، هذا عدا أسواق أخرى وردت في القصص والأخيار

الحكم والأمثال:

وما ينبغي لنا وتحن بصدد الحديث عن وسائل الاتصالى عند العرب في الجاهلية أن. نغفل الحكم و الأمثال . فالأولى يقصد بها القول البليغ الموجز الصائب الذي يصدر عن عقل وتجربة وخيرة بالحياة ، و يتضمن حكما مسلما تقبله العقول و تنقاد له النفوس والمشاعر . . والثانية هي الأقوال السائرة التي وصفها المرزوق بقوله و إنها جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بلاتها فتسم بالقبول و تشهر بالتداول . فتنقل عمن وردت منه إلى كل ما يصح قصده منها من غير تغيير يلحقها في لفظها ٤ .

و من أشهر حكماء العرب فى العصر الجاهلي أكثم الصيفى، ومن حكمه و ربَّ عجلة تهب ربتا ، و و ه لم يذهب من مالك ما وعللك ، و و مقتل الرجل بين فكيه ، و و آفة الرأى الهوى ، و و و بل للشجى من الحلى ، و و إن قول الحق لم يين لى صديقا ، . و من أشهر الذين ذهبت أقوالهم أمثالا تعمان الحكيم ، ومنها و ربَّ أخ لك لم تلده أمك ، و و آخر الدواء الكى ، و و المبيت على الطوى حتى تنال به كريم المثوى ، خير من إيثار ما لا تهوى ، .

* * *

وأيام العرب أيام لها عل وجه التاريخ الاتصالى فى الجاهلية بصمات خاصة. ذلك أنها مادة إعلامية خالصة. ذلك أنها مادة إعلامية خالصة تعبر عن الحروب والمناوشات التي وقعت بين القبائل و بعضها، أو بين القبائل والأمم أو الممالك. وهذه الأيام تؤلف فى الواقع القسط الأكبر من علم الإخباريين بتاريخ الجاهلية. ومادتها القصص التي تناقلها من شهدو المعارك أو حفظوا أحداثها عن الرواة حتى جاء عصر التدوين فدونوها. كما أنها تعبير مادة إعلامية مشوقة يتلهف الناس على سماعها لاحتوائها على وقائع عربية خالصة، وأحداث عربية مثيرة، ومواقف للعبرة، وبطولات درامية تقرب من الأساطير.

ورغم أهمية هذه الأيام فانها لم تحظ بمؤلف يعنسها فى كتاب أو كتب ، ويمعل على تسسيقها و تتلب ، ويمعل على تسسيقها و تتلب معنى الذي مع بضمة كتب متفرقة يتناول الواحد منها أياما دون أيام .. ويسجل أحداثا دون أحداث .. وهذا لا يكفى بطبيعة الحال . و لا بد أن يتجه العاماء والكتاب إلى تلك الأيام ليعملوا على دراسها و تصنيفها على أساس تاريخى سليم ، ثم يعنون بتدوينها كلها ... ويقال إنها أكثر مر ألف و سيعمائة يوم .

ومن أُمهات تلك الأيام .. الأيام التي وقعت بين القبائل القحطانية والقبائل العدائية . وكان السبب فها أن جاءت إلى تهامة مذحج وهي قبيلة قحطانية من اليمن تريد

متسما من الأرض ليكون موطنا جديدا لها. فاصطدمت بقبائل معد النازلة في تهامة وقد اجتمعت كلها تحت راية عامر بن الظرب العدواني، ودار قتال مرير في موقع يقال له البيضاء انتصرت فيه معد.

وقد شجع هذا النصر معد على ألا تؤدى الإتاوة إلى زهيم المن و زهير بن جناب ؟ تهيذا للتخلص من سيطرته. ولكنه جاءهم فى بعض حاشيته ليطالبهم فأمهلوه ثم أهملوه، فلم يكن إلا أن منعهم النجعة والمرعى فحقدوا عليه وصمموا على الانتقام منه، خاصة وأن حاشيته لم تكن تزيد على بعض الأفراد. فدسوا عليه رجلا طعنه وظن أنه قتله ورجع إلى قومه سعيدا بالخبر، فاعتقدوا أنهم قداستراحوا إلى الأبدمنه ومن حكم الين. ولكن زهيرا نجامن الموت وفر إلى قومه حيث عالج جرحه ثم جمع هم وهجم عليهم وقتابهم قتالا عنيفا هزمهم فيه شر هزيمة، وأرغضهم على دفع الإتاوة مضاعفة.

وما هي إلا سنوات قلائل حتى قام كليب بن ربيعة على رأس معد ، وكان فارسا مغوارا وخيرا بشئون الحرب والقتال فصمم على التخلص من سيطرة اليمن على قبائله . ففكر ودير ثم حشد القبائل العدنانية كلها ضد القحطانيين وقاتلهم قتال المستميت حتى انتصر عليم في 8 يوم خوارة » .

وقد ذهب البعض من الإخباريين إلى أن يوم خزارة كان أعظم أيـام العرب الجاهلين. وهذا القول قد يكون صحيحا من وجهة النظر العدنانية ، فقد تغلبوا فيه على القبائل الكبرى المنتمية إلى المجن. ومن الطبيعي أن يعتبروه من أعظم أيامهم إن لم يكن أعظمها جميعاً.

ومن أيام العرب أيضا يوم السلان . ويذكر الإخباريون أن سبب وقوعه هو أن بني عامر بن صعصعة كانوا قوما حسامة رمين لقاحالا يخضعون لملك أو يدينون لحاكم مهما كان . وكان من عادة النعمان بن المنفر أن يرسل إلى حكاظ كام بعجارة تباع لحسابه هناك . وقبل أن يقترب رسله من السوق تعرّض لحم بنو عامر واستولوا على التجارة .. فغضب النعمان لذلك وأرسل و برة الكلبي أخاه لأمه وفارسه المفضل و معه تجارة أخرى ، وقوم من بني ضية بن أد والرباب و تم وحيش بن دلف وضرار بن عمرو و كلهم من أضجع الفرسان ، وأوصاهم إذا فرغوا من البيع أن يقصدوا بني عامر . وعلمت قريش بما رسمه النعمان بن المنفر فأرسلت عبدالله بن جدعان إلى بني عامر بالخبر . فاستعداد اللحرب و تحروا و وضعوا العيون و سلموا قيادتهم إلى عامر بن مالك المعروف بـ « ملاعب الرماح » .

والحديد . ودارت رحى المركة بين الطرفين وانتهت بانتصار بني عامر وأسر وبرة ومن بقى من رجاله على قيد الحياة . وقد رفض ملاعب الرماح أن يفك أسر وبرة إلا بألف بعر و فرس .

. رسر س. وتعتبر الأيام التي وقعت بين المناذرة والفساسنة من أشهر أيام القحطانيين . والأيام

التي وقعت بين هؤلاء الملوك وملوك كتارة وأمرائها، ثم الأيام التي وقعت بين القبائل المتسبة إلى اليمن.

كم تعتبر الآيام التى وقعت للعدنانيين فى حروب البسوس من أشهر أيامهم ، خاصة وأنها قد دامت ما يزيد على الأربعين عاما . وقد أنتجت هذه السنون كمَّنا هائلا من القصائد والقصص والأمثال والأناشيد .

وقد بدأت هذه الحروب عندما دخلت ناقة للبسوس أرضا لكليب بن ربيمة كان قد حماها ومنع الرعى فيها لغير إبله ، فضربها كليب وأدمى ضرعها . فشكت البسوس الأمر لا بن أخيها جساس . وكان يحقد على كليب لغروره وصلفه واستثناره بخير الأراضي وإصراره على ألا يرعى فيها غير إبله ، واستيلائه على منابع المياه والتحكم فيها ، فانقضر عليه وقتله .

وما أن سمع المهلهل_وهو أخو كليب_ بذلك ، حتى أقسم ألا يقرب النساء أو الطيب أو الماء حتى يثأر لأنحيه .

ومن أهم أيام حرب البسوس: يوم النبي، ويوم الذئاب، ويوم واردات، ويوم عنيزة، ويوم القصيات، ويوم تحلان اللمم.

ومع ذكر أيام العرب وما جرى فيها من حروب ومعارك لع الكثير من أسحاء الشعواء والفرسان والخطباء، وظهر كم هاتل من القصائد ثميزت بقوة السبك و تلاحم النسج وجودة الصوخ وصدق الانفعال وسمو الأسلوب، وتصويرها الدقيق الرائم لما دار من وقائع وصراعات هامية واحداث درامية لم تخل من قصص عاطفية مشوقة، وأخرى غيرية عينفة مدم ة .

كما تميزت هذه القصائد بطولها الذي لم يعرف من قبل في القصيدة العربية ، فقد تعدت الواحدة الماتة بيت في ذلك الوقت الذي كان الشاعر فيه يقول بيتا أو أبياتا يعبر بها عما تحيش به نفسه . ويذكر أهل الأخبار أن مهلهلا هو أول من قصد القصائد وأول من جعلها ثلاثين بيتا ، واسمه امرؤ القيس بن ربيعة بن مرة بن زهير بن جام ، وإنما سمى مهلهلا ليت قاله لو هو ين جداب الكلم .

لما توغر في الكراع هجينهم الهلت أثأر جابوا أو حبلا

وقيل إن اسمه كان عديا، وقد ذكره امرؤ القيس فى شعره ولقب مهلهلا لطيب شعره ورقته، أو لأنه أول من أرق المرائى، أو لأنه قصّد القصائدوقال الغزل. وفيه يقول الفرزدق و ومهلهل الشعراء ذاك الأول ».

وهو أخو و كليب واثل ، الذى هاجت بقتله حرب بكر وتغلب، وهو جد و عمرو بن كلثوم ، لأمه . وقدأورد المعرى له يتاهو أول بيت من قصيدة تنسب إليه . أرعمد وساعة الهياج وأبرقس خاكا توعد الفحول الفحولا

ارعمد وساعت الميساخ والمرقب المستد الما به وعد المعصود المعصود وذكر أصحاب الأعبار أن الشعر كله كان رجزا وقطعا، وأنه إنما قصّد على عهد هاشم بن عبد مناف. وكان أول من قصَّده مهلهل وامرؤ القيس وينهما وبين مجيء الإسلام مائة ونيف و محسون سنة . وقالوا إنه أول شاعر بلغت قصائده ثلاثين بينا من الشعر، وقد احدلي من جاء بعده حلوه . كما ذكروا أنه كان أول من كذب في شعره الداء

فلولا الربح أسمع من بحجــر صليل البيض تقرع بالذكور وكانت العرب لا تكذب في أشعارها قبل هذا البيت وكان بين الموقع الذي وقعت به الحادثة وهي بالجزيرة وبين حجر وهي قصبة المجامة مسافة بعيدة .

وقد تحدث عنه 3 لبيد ٤ في شعره ، وربط بينه و بين 3 مرقّش ٤ في بيت يؤكد فيه أنهما مهدا السيل لمن جاء بعدهما من الشعراء .

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا سيبل مرقش ومهلهل وبعد المهلهل بدأ الشعراء يطيلون في قصائلهم بل يتبارون في إطالتها ويتعملون الرقة واللطف. وقد برز امرؤ القيس على الجميع في هذا المضمار ، ولم يلبث أن أصبح على رأس شعراء الجاهلية . وكان أول من علقت به قصيدة بالكعبة ، ثم علقت بعدها سمت قصائد أخرى لشعراء آخرين ، وقيل ثمانية وقيل تسعا . ولكن الإجماع يكاد يكون على أنها كانت سبعا وقد مطرت بماء الذهب على القباطى التي كانت تستورد من مصر لتكمي بهاالكعبة ، وقد علقت على البدنة تقديرا لجودتها وغليدا لذكر صاحبها ، وقد عرفت بعد ذلك بالمذهبات والمقلمات لأنهم اعتروها كالقلائد البواق على الدهر . والسمط هو الخيط مادام فيه الخرز ، وقد سميت بالمسمطات لأنها كانت في نظرهم كخيط اللؤلؤ المنظرم يتلو بعضه بعضا .

وقد عرفت المعلقات بالسبع الطوال لأن أبيات بعضها تعدت الماثة ، ولم تنقص عن خمس وثمانين بيتا في البعض الآخر . و تعتبر المعلقات السبع أثرا من آثار الانتقال من حضارة الاتصال السمعي إلى حضارة الاتصال التدويني، فهي أول ما سطر كتابة من الشعر الجاهل، وقد سطرت بعالمة فاتقة بماء الذهب على أرق أنواع الحرير وعلقت في الكعبة المشرفة أعظم مكان مقدم رادي العرب.

و شعراء المعلقات السبع هم 3 امرؤ القيس. طرفة بن العبد. زهير بن أبي سلمي. لبيد بن ربيعة . عترة بن شداد. الحارث بن حازة. عمرو بن كاثوم ٥.

والقصائد السبع هي التي تبدأ بالأبيات التالية:

امرۇ اڭقىس :

۱ – قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

يسقط اللوى بين الدخول فحومل

طرقة بن العبد:

٢ - خولة أطلال برقة بهمسد
 تلوح كباق الوشم في ظاهر البد

لسد:

عنترة بن شداد:

ه ــ هل غادر الشعسراء من مسسردم

أم هل عرفت الـدار بعــــد تؤهـــــم؟ الحارث بن حلزة :

٣ _ آذنتــــا بيـــــنها أسماء

رب ثبيباو يمل منسمه التسواء

عمرو بن كلثوم:

٧ __ ألا هيــى بصحــنك فاصبحنــــا
 ولا تبقـــــــ خور الأنفرينـــــــا

وهؤلاء الشعراء كلهم جاهليون ما عدا لبيدا فإنه من المخضرمين. وبعض أهل الأخبار يسقط من هذه القصائد قصيدة عنترة بن شداد ويضع مكانها قصيدة الأعشى التي مطلعها:

ما يكاء الديار بالأطلال وسؤالي ومساترد سؤالي والعض الآخر يضع مكانها طويلته:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهـل تطيـق فراقـا أيها الرجـل والبعض الثالث يضع طويلة النابغة التي مطلعها:

يا دار مسة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمسد يقول أحمد بن عبدربه صاحب العقد الفريد والشعر ديوان خاصة العرب والمنظوم من كلامها والمتيد لأيامها والشاهد على أحكامها، حتى لقد بلغ من كلف العرب به وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة، وعلقتها في أستار الكعبة ٥.

ويقول ابن رشيق و وكانت المعلقات تسمى المذهبات، وذلك لأنها اخترت من سائر الشعر القديم فكتيت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة، لذلك يقال مذهبة فلان إذا كانت أجود شعره. ذكر ذلك غير واحد من العلماء، وقبل كان الملك إذا استجيلت قصيلة الشاعر قال: علقوا لنا هذه لتكون في خزائتي ٤.

ويرى ابن خلدون و أنه إنما كان يتوصل إلى تعليق الشعر بالكعبة من له قدرة على ذلك بقومه وعصبيته ومكانه في مكة ، ويرى أن التعليق كان لأكثر من سبع قصائد. ويرى أن التعليق كان لأكثر من سبع قصائد. ويرى البغنادي صاحب خزانة الأدب أنها سميت بمعلقات لأنها علقت على الكعبة ، ويقول و كان العربي في الجاهلية يقول الشعر فلا يعبأ به أحد أو يحفل أو يطلب منه إنشاده ، فكان يحفظ بالقصيدة حتى موسم الحيج فيعرضها على أندية قريش ، فإن استحسنوها رويت وكانت فخرا له وعلقت على ركن من أركان الكعبة ، وإن لم يستحسنوها طرحت و عاد صاحبها إلى مكانه حزينا مهزوما » .

وقد نفّي البعض التعليق وأنكروا كلّ ما أثير حولها من ضَجة في تاريخ الأدب، وهم يقولون إنها قصة مصنوعة موضوعة وبيرر هؤلاء كلامهم بالآتي :

يدود و الله المسلمة التعليق قد وصلت إليناغير واضحة أو مفسرة ، ولم تعرف منها كيفية التعليق ولا زمانه ولا الذين أمروا به سواء أكانوا ملوكا أو حكاما أو شعراء . ثانيا _ الكعبة قد تعرضت في هذه الفترة إلى الحريق والغرق والهدم . وقد تجدد بناؤها وذكر كل ما يختص بهذا ولم يشر أحد إلى المعلقات بشيء على الإطلاق .

ثالثًا ـــ التخبط في ذكر عددها، ولو أنها علقت لما حدث هذا التخبط، ولما اختلفت الروايات حول أصحابها.

وقد تزعم أصحاب هذا الرأى أبو جعفر النحاس فقال (إن خبر تعليقها لا يعرفه أحد من الرواة ، وإن حمادا حين رأى صدوف الناس عن الشعر وزهدهم فيه جمع هم هذه القصائد السبع وقال هذه هي المشهورات ، فسميت القصائد المشهورة ، وهو يرى أن تسميتها بالمعلقات يرجع إلى أن الملك كان إذا استحسن قصيدة قال (عاقرا هذه والتبوها في خزائتي) . والنحاس يرى أنها كبت وعلقت وإن كان ينكر تعليقها على الكعبة ، ثم لا يذكر من هو الملك الذي كان يستحسن القصيلة ويأمر بتعليقها في خزائته ؟ .

ونحن نميل إلى الأخذ بقول هؤلاء المنكرين لأنبا لم نجد ما يؤكد قصة التعليق فى الأحداث التي سبقت الإسلام ولا التي وقعت في فجر ظهوره.. لقد حدثتنا الكتب عن الأحداث التي سبقت الإسلام ولا التي وقعت في فجر ظهوره.. لقد حدثتنا الكتب عن الآء عن الأقاصيص عن الأفعى التي كانت الحمايا تلقي إليها، الأقاصيص عن الأفعى التي كانت الخمايا تلقي إليها، كم ذكرت لنا قصة الفوالين الذهبيين اللذين وجدهما عبد المطلب جد الرسول عليه في برز رمزم عند إعادة حفرها واللذين علقهما على جدار الكعبة ، وكذلك ذكرت لنا أن باخوم المصرى عندما ساهم في بناء الكعبة لقريش رسم على جدران الكعبة وسقفها رسوما للقديسين المسيحين وغيرهم ، وأن الرسول عليه عندماد خل الكعبة وأمر بمحور ما كل جدرانها من صور ورسومات ، وقبل إنه أرسل الفضل بن العباس فجاء يصورون ما لا يخلقون) ، ثم أنه على ضرب هيم الأصنام والأوثان بقضيب كان في يف فحطمها، ثم أمر بمحملها إلى الخارج حيث حرقت.

ولو كانت,قصة المعلقات صحيحة لسمعنا شيئا عنها كإسمعنا عن الأصنام والصور وغيرها .

القمسص:

وقد عرف العرب القصص في الجاهلية كوسيلة من وسائل الاتصال بهدف الإخبار والإمتاع والتسلية والتقيف. وقد أشار القرآن الكريم إلى وجود القصص عند الجاهلين، فقد بلغ من حب الجاهلين للقصص أن كانوا يسألون كل وافد عليهم أن يقص عليهم من حكايات بلده وقومه. وقيل إن اصحاب رسول الله عليهم أن يقص عليم فنزلت ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ يوسف ٣ ، ﴿ فاقصفى القصص لعليه عليك من أنبائها ﴾ القصص لعليه من أنبائها ﴾ الأعراف ٢٠١، ﴿ والن أصحاب الرسول عليك من أنبائها ﴾

وتعرض علينا مسلسلة وعلى هامش السيرة ع المأخوذة عن كتب الدكتور طه حسين ، المأخوذة بدورها عن أمهات كتب السيرة عدا لمطلب جدر سول الله عليه وهو يروى لقومه كل ليلة تصحى الملوك والأبطال وسادات القبائل وأشرافها، وتظهر لنا كيف كان القوم في قريش يتابعونه باهتهام وينفعلون بالأحداث انفعال من حضرها, ومن أشهر قصاص الجاهلية و النضر بن الحارث بن علقمة بن قلده ؟ أو شيطان فرر عاش هناك فترة مكته من تعلم بعض علومهم ومعرفة قصصهم وأساطيرهم، فالم اعاد إلى قومه في مكة أخذ يقص عليهم ما في جعبته فاستمعوا إليه باهتهام جعل الغرور ولما عاد إلى قومه في مكة أخذ يقص عليهم ما في جعبته فاستمعوا إليه باهتهام جعل الغرور أعداء رسول الله على مكة أخذ يقص عليهم ما في جعبته فاستمعوا إليه باهتهام جعل الغرور أعداء رسول الله على مدى وقاد عربه من معه من أعداء رسول الله على الله عدد، وأنه يستطيع أن أي به محمد، وأنه يستطيع أن يأت بمثل ما أنى به محمد، ثم تعدى الرسول الله وأهدا وأصحابه أشد الإيلاء. وهو الذي كتب بيده الأتمة صحيفة المقاطمة التي قاطعت بها قريش المسلمين وحصرتهم في شعب أن طالب. تلك الصحيفة الظالمة التي علقتها قريش في جوف الكعبة فأكلت القرضة كل ما فيها إلا اسم الله.

وقد نزلت في النصر ثماني آيات منها قوله تمالي ﴿ ومن أظلم عمن افترى على الله كذبها و هم . أو قال أوحى إلى الله عمن افترى على الله عمن النميم ٩٩ . و ذكرت الأخبار اسم قصاص آخر تخصص في القصص الديني عند النصارى ، هو وذكرت الأخبار اسم قصاص آخر تخصص في القصص الديني عند النصارى ، هو تميم بن أوس بن خارجة المدارى . وكان له جلس في الأسواق يروى فيه للقوم قصصه ، وقد استأذن وقد شرح الله قلبه للإسلام سنة تسع من المجرة فدخل وحسن إسلامه . وقد استأذن الخيم فأذن له ، وكان بذلك أول قاص في الإسلام ، وكان بجلس إلى عبى قصصه في يوم الحريمة فاذن له ، وكان بذلك أول قاص في الإسلام ، وكان بجلس إلى عبى قصصه في يوم الجمعة من كل أسبوع بالمسجد .

ومن القصص الجاهل ما هو عن الجن والمخلوقات الغربية المخيفة، وما هو عن الحيوانات والبعض منه يدور على ألسنتها. ومنه القصص التاريخي وقصص الحروب وقصص الحب والجنس.. والقاص في الجاهلة كان شخصية عببة إلى النفوس يقبل عليه الجميع شبية وشبابا ويستمعون إليه في استمناع وتلذذ. ولم يكن القاص الجاهل يتقيد بالمنطق أو يحرص على سرد الحقائق خاصة فيماكان يعرضه من قصص تاريخي، ولكنه كان يترك لخياله أن يشطح كما يشاء ويبتكر ما يشاء، وأن يحور ويبلل ويغير في الوقائع ويأتي بما يتير الخيال. وكتيرا ماكان قاص القبيلة يتعمد إغفال ما يسى، إلى قبيلته أو يحرب مركزها فيما يروى، بل إنه كان يروى دائما كل ما يشيد بها ويشير إلى عظمة رجالها وعظمة فعالها.. وبعض القصص التي وصلت إلينا تنتمي أصولها إلى منابع غير عربية، فهي إما فارسية أو يونانية أو فرعونية .

علم الأنساب والتوثيق الإعلامي:

ولا يمكن أن تففل علم الأنساب وغن بصدد الحديث عن الإعلام قبل الإسلام . ذلك أن هذا العلم يقابل في علومنا العصرية علم التوثيق الإعلامي الذي يعد من أهم الدعام التي تر تكز عليها الدراسات الإعلامية في النظرية والتطبيق على السواء . وإذا كان هذا العلم يعتمد اليوم على أحدث ما وصلت إليه التكنولوجيا من وسائل الحفظ والتوثيق كالميكروفيلم والكمبيوتر ، فإن علم الأنساب في الإعلام قبل الإسلام يشور إلى مدى ما تمتمت به العقلية العربية من مقدرة على التنظيم والتربيب والتبويب ، ومن قدرة عظيمة على التذكر والحفظ واستخدام الواعية الحادة في أداء الأغراض الإعلامية المرتبطة المرتبطة .

ومن هذا يتيين لنا مدى اهتهام العرب قديما بمعرفة أنسابهم ، فعل نسب المره فى الجاهلية كانت تقوم حقوق الأنساب ـــ لأن هذا النسب هو الذى يحافظ على حقوقه ويردع الظالم عنه ويأخذ حق المظلوم منه . ولهذا اشتلت الروابط بين أفراد القبائل وأصبحوا كتلة واحدة متآلفة متحدة .

وقد خصص ابن النديم في كتابه الفهرست فصلا عن ٥ أخبار الإخباريين والتسايين وأصحاب الأحداث ٥ حدد فيه أسماء بعض الذين عرفوا بحفظ الأنساب واشتهر عنهم ذلك _ خاصة الذين دونوا ما حفظوه .

و غبد في كتب الأدب والتواريخ قصصا عن بعض النسايين في الجاهلية و في الإسلام ، تثير الدهشة من قدرة وقرة اللاكرة عندهم في حفظ الأنساب ، وقد عرف أحدهم و بالنسابة او والنساب فلان ، وقد عرف العرب قدرهم وقدروا مكاتبهم لأنهم المرجع في الأحساب والأنساب، وإليم الرجوع عند حصول اختلاف في الأمور المتعلقة بها . و يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بتسجيل الأنساب وتبويبها

وتثبيتها في ديوان ، وذلك عند فرضه العطاء .

و فبدأ بالترتيب في أصل النسب ثم ما تفرع عنه ، فالعرب عدنان وقحطان ، فقدم عدنان على قحطان لأن النبوة فيهم . وعدنان تجمع ربيعة ومضر ، فقدم مضر على ربيعة لأن النبوة فيهم . ومضر تجمع قريشا وغير قريش ، فقدم قريشا لأن النبوة فيهم . وقريش تجمع ينى هاشم وغيرهم ، فقدم ينى هاشم لأن النبوة فيهم . فيكون بنو هاشم قطب الترتيب ، ثم بمن يليهم من أقرب الأنساب إليهم حتى استوعب قريشا ، ثم بمن يلهم من السب حتى استوعب قريشا ، ثم بمن يلهم من السب حتى استوعب قريشا ، ثم بمن يلهم من

ودكر أن الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ه أيما سى من العرب كانوا في حى من العرب أسلموا معهم فهم معهم . إلا أن يعترضوا فعلهم البينة كالذى فعله مع عيلة رهط جرير بن عبدالله بن جابر ، وكانوا قد تفرقوا واغتربوا بسبب حروب و قعت ينهم والتحقوا بقبائل أخرى . وروى أن عوف بن أوى بن غالب ألحق نسبه بغطفان والتحق نسب بنيه لا بني مرة ، بغطفان . و يقال إن الخليفة قال الا وكتت مستلحقا حيا من العرب لاستلحقت بني مرة ، بلاكتا نعرف فيهم من الشرف البين مع ما كنا نعرف من موقع عوف بن أوى بتلك البلاد . ثم قال لمض أشر افهم إن شئم أن ترجموا لنسبكم من قريش فافعلوا . ولكنهم كرهوا أن يتركوا نسبهم في قومهم و فلم فيهم من الشرف والفضل ما ليس لفوه هي (٢٠) .

⁽۱) البلافرى، فتوح البلدان، الجزء الثالث، ص ٩٥٥ سشرح نبج البلاغة لابن أبي الحديد، الجزء الثالث ء ص ١٩٣

⁽٢) شرح المفضليات ، ص ١٠١ ــ ١١٦

⁽٣) جواد على،المفصل في تاريخ الغرب قبل الإسلام ، ج ١ ، ص ٤٧١

وروى عن النبي ﷺ أنه قال (كل العرب من ولد إسماعيل بن إبراهم عليهما لسلام).

وقسد رتب علماء الأنساب قبائسل العسرب على مراتب هي: شعب قبلة عمارة بطن فخذ فصيلة.

فالشعب النسب الأبعد مثل عدنان وقحطان.

والقبيلة : مثل ربيعة ومضر.

والعمارة :مثل قريش وكنانة .

والبطن: مثل بني عبد مناف وبني عزوم .

والفصيلة :مثل بني طالب وبني العباس(١) .

وقد أضاف ابن الكلبي مرتبة أخرى هي العشيرة، رهمي رهـط الرجـل أي جماعته(٢)

أما النويرى فقد بنى طبقات القبائل على عشر طبقات هى: الجزم ـــ الجماهير ـــ الشعوب ـــ القبائل ـــ العمائر ـــ البطون ـــ الأفخاذ ـــ العشائر ـــ الفصائل ـــ الأرهاط(٣).

ويذهب المستشرق روبرتسون سميث إلى أن الحيى والبطن هما أساس أقدم أشكال المجتمعات السياسية عند السامين — ويطلق على الحي لفظة 3 قوم 3 و 3 أهل 3 وينظر أبناء الحي الواحد بعضهم إلى بعض نظرة قرابة ، فكأنهم من نسل واحد يربط ينهم دم واحد. وقد استدل روبرتسون سمث من معنى 3 الحي 3 على وجود معنى الحياة في المكلمة أصلا ، كما هو الحال في اللفات السامية — ولهذا يرى أنها تمثل رابطة قرابة وصلة رحم عند سائر العرب السامين ، ويكون أعضاء الحي الأحرار صرحاء ، أما الذين يتمون إليه بالولاء فهم الموالي يستجرون به أو بقباتله أو أفراده فيلغون حماية من يستجرون به وكون الجار في رعاية مجره .

والبطن في نظر روبرتسون سيث هو أقدم أوضاع الجتمع السامي القديم، ويقوم على أساس الاعتقاد بوجود القرابة والروابط الدموية . وهو يرى أن مفهومه عند قدماء السامين كان يختلف اختلافا بينا عنه عند العرب المتأخرين وغروهم.

وقد فهم من اللفظة معنى المجموع الأكبر عند العرب أى معنى 3 شعب ٤ أو 8 جزم ٤ أو 8 قبيلة ٤، ورأى أن هذا المعنى هو المعنى القديم للكلمة عند العرب.

⁽١) يلوغ الأرب ، ج ٣ ، ص ١٨٧ ــ اللسان ، ج ١٤ ، ص ٥٧

 ⁽٣) المقد القريد ، ج ٣ ، ص ٢٨٣ . (٣) نباية الأرب ، ج ٢ ، ص ١٦٢
 (م ٥ ــ نظرية الإعلام)

كما يذهب و جولد تسهير المستشرق المعروف إلى أنه لكي نفهم الأنساب عند العرب فلا بدلنا من معرفة الأحلاف والتحالف فإنها أساس تكوين أنساب هذه القبال ، فإن هذه الأحلاف التي تجمع شمل عند من البطون والعشائر والقبائل هي التي تكون الأنساب . كما أن تفكك الأحلاف وانحلافا يسبب تفكك الأنساب و تكوين أنساب جديدة . كما يرى أن الدوافع التي تكون هذه الأحلاف لم تكن ناشقة عن حس داخلي بوجود قرابة وصلة رحم بين المتحالفين ، وشعور بوعي قومي . . بل كانت ناشقة عن المصالح الخاصة التي تهم العشيرة ، كالحماية والأعذ بالتأر و تأمين المعيشة . فقد انضمت كعب مثلا إلى بني مازن والأخيرة أقرى من الأولى ، وانضمت خواعة إلى بني مدل مع إياد والأشاش على ذلك كثيرة .

وقد وضع ابن دريد الأردى مؤلفا في اشتقاق الأسماء عند العرب له صلة بموضوعنا ، حيث تحدث فيه عن الدلالة الإعلامية للأسماء عنوانه 3 كتاب الاشتقاق ، وقد ررد فيه على المزاعم القائلة بأن العرب تطلق الأسماء بما لا أصل له في لغنهم . فذكر اشتقاق تلك الأسماء ، ثم قال في مقدمة المؤلف :

و كان الأميون من العرب لهم مذاهب في أسماه أبناتهم وعبيدهم وأتلادهم، فاستشنع قوم إما جهلا وإما تجاهلا تسميتهم كلبا وكليبا وأكلب وحنزيرا وقردا .. وما أشبه ذلك ، فطعنوا من حيث لا يجب الطعن ، وعابوا من حيث لا يستبط بحيب ، وكان الذي حناناعل إنشاء هذا الكتاب أن قوما عن يطعن على اللسان العرقي وينسب إلى أهله التسمية بما لا أصل له في لفتهم ، وإلى ادعاء ما لم يقع عليه اصطلاح من أو ليتهم وعددوا أسماء جهلوا اشتقاقها ولم ينفذ علمهم في الفحص عنها ، إلى أن قال و واعلم أن للعرب مذاهب في تسمية أبنائها ، فمنها ما سهوه تفاؤلا على أعدائهم مثل عالب وغلاب وظالم وعارم ومنازع ومقاتل ومعارك وثابت ونحو ذلك . وسموا في مثل علنا الباب مسهرا ومؤرقا ومصبحا ومنها وطارقا . ومنها ما تفاعلوا به للأبناء نحو نايل ووائل وناج ومدك ودارك وسالم وسليم ومالك وعامر وسعدو سعيدوما أشبه ذلك . ومنها ما سمى بالسباع ترهيها لأعدائهم نحو أسد وليث وأسامة وفراس وذئب وسيد وعلى وضرغام وما أشبه ذلك . ومنها ما يسمى بما غلظ و خشن من الشجر تفاؤلا أيضا غو وطلحة وطبيحة وسمرة وسلمة وقتاوة وهراسة . وكل ذلك شجر له شوك وحصاة. ومنها ما سمى بما غلظ من الأرض وخشن لمسه ومواطكه مثل حجر وصحر وحجر وفهر وجندل وجول وحزن وحزم . ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وحجر ومهر وجندل وجدل وذي وحزم . ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله وحجر ومهر وجندل وجدل وزي وحزم . ومنها أن الرجل كان يخرج من منزله

وامرأته تمخض فيسمى ابنه بأول ما يلقاه من ذلك ، نجو ثعلب وثعلية وحنث وضيًّد و خززر وطبيعة وكلب وكليب وحمار وقرد وخنزير وجحش . وكذلك يسمى بأول ما يسنح أو ييرح له من الطير نجو غراب وصرد وحمام .

* * *

غلص مما تقدم إلى أن علم الأنساب عند العرب كان المرجع والمصدر الإعلام فى الجاهلية ، ذلك أنه يمثل ما يمثله اليوم أجهزة التوثيق الإعلامي على اختلاف أنواعها . فالشاعر الجاهلي أو الخطيب مثلا عندما كان يريد أن يتصدى لمدح أو هجاء أو فخر ، كان لا بد له من معرفة الأنساب . والقصاص عندما يروى أيام العرب وبعلو لاتهم والأحداث الجسام التي قاموا بها ، كان لا بد له من معرفة الأنساب وهكذا . . فإنه يتضح لنا أن الأنساب كانت يمثابه القاسم المشترك بين القائمين بالاتصال في الجاهلية ، شأن القائمين بالاتصال في عصرنا ، والذين يستعينون بالكمبيوتر والمكرو فيلم وغيرها من وسائل تحزين واسترجاع المعلومات والإفادة منها في عملهم الإعلامي .

الفصل الثالث

أيكولوجية الاتصال في الجتمع العربي القديم

إن دراسة أيكولوجية الاتصال تعتبر من المداخل الضرورية لدراسة الإعملام الإسلامي ، تأسيسا على أنها تعنى بدراسة البيئة الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية .. لذلك فإننا سنحاول في هذا الفصل أن نتعرف على المجتمع العربي قبيل ظهور الإسلام من هذه النواحي جميعا ، لما يوفره هذا التعرف عند دراسة . الإعلام الإسلامي من وضوح في رؤيتنا للبيئة التي مهد نظامها الاتصالى للإعلام الإسلامي .

البيئة الجغرافية :

تعتير شبه جزيرة العرب أكبر شبه جزيرة في العالم ، ويطلق عليها اسم جزيرة العرب غبورزا () . وهي تحد بالبحر الأحمر غربا . . والخليج العربي شرقا . . وخليج العقبة شمالا حتى مصب شط العرب . . وتعد جنوبا بالمجيط الهندى . وليس بما أنهار ، ويست لأمطارها فصول معروفة ، وسائرها جبال ونجود وأودية غير ذات زرع ، وطبيعتها جرداء لا تيسر الاستقرار وإن كانت عصنة بالبحار والصحارى من جميع جهاتها . . الأمر الذي جعلها ملاذا للقارين بدينهم من الاضطهاد والظلم ، فانخلوا منها مستقرا ومقاما ، والذي جعل المستعمرين لا يغامرون باستعمارها . ويذكر التاريخ أن أبرهة الأشرم سأل نفيل بن حبيب عن مكة وأهلها وطبيعتها وظروف الحياة فها ، فقال أنه له نغيل في أهلها كرام عظام لهم إباء وشهم ، لا يصبرون على ظلم ولا ينامون على ضيم . أما طبيعتها فقاسية عاتبة إذا غضبت دمرت وإذا رضيت أسعدت ، ولكنها إلى الغضب أميل منها إلى الرضا » .

ويذكر أيضا أن سيف بن ذي يزن ذهب إلى قيصر يطلب مساعدته فى طرد الأحباش من اليمن ، على أن تكون زيادة فى ملكه . فرفض القيصر وقال ٩ إن بلادكم بعيدة

⁽١) الهمداني: صفة جزيرة العرب ، ص ٤٧ ـــ الألوسي : بلوغ الأرب ، ج ١ ص ١٨٤ ـــ معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٠٠

ولا رغبة لى فيها ٤ . فاتجه سيف إلى كسرى الذى وفض كا رفض القيصر من قبل وقال له و بعدت بلادك أيها الأمير مع قلة حيواتها ، وليس من الحكمة أو سداد الرأى أن أورط جيشا من فارس بأرض العرب ٤ . فلما ألح عليه سيف فكر في الأمر ، ثم أرسل معه ألف سجين كان يريد التخلص منهم ، وقال لوزيره ٥ أرسل معه الألف سجين ، فإن هلكوا كان ذلك الذى أردت هم ، وإن فلفروا فقد جاء في بملك جديد يضاف إلى ملكى ٤ . ولقد كان للبيقة القاسية والطبيعة الضارية في الجزيرة العربية ، أكبر الأثر في تكوين الإنسان العرفي ، فأصبح يتميز بصفات لا يتميز بها غيره ، وهي الصبر والجلد وقوة الإرادة وحدة الذكاء والصدق في القول والعمل من والأنفة والعزة والشجاعة والإقدام والكرم وصفاء النفس ، وقد تجلت هذه الصفات في أروع صورها بعد البحث . والقد أصحاب هذه الصفات ، فإدريس عليه السلام الذي رفعه الله تمالى مكانا عليا تقول أصحاب هذه المعمنات ، فإدريس عليه السلام الذي رفعه الله تمالى مكانا عليا تقول الأخبار إنه كان في الميان الثالث لآدم الخليفة ، وأنه كان عربيا وفي أرض العرب . وقد قال الله تعالى في كتابه الكرم في واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا هورفعناه مكانا عليا كه مربح ٥٠

و يذكر أبو الفداء في كتابه قصص الأنبياء أن إدريس في سلسلة نسب النبي عليه ، ومن الثابت أن نوحا عليه السلام من البلاد العربية . وقد ذكرت الروايات أن سفيته مرت في مقابل الكعبة أربعين مرة، ولقد أكد ابن كثير أنه دفن في البلاد العربية فقال « وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والأزرق عن عبد الرحمن بن سلط مرسالا أن قبر نوح بالمسجد الحرام » .

ويذكر ابن كثير أيضا أن هودا عليه السلام هو أول من تكلم بالعربية ويقول « وزعم وهب ين منيه أن أبا هود أول من تكلم بها . وقال غيره أول من تكلم بها نوح عليه السلام . ويقال للعرب الذين كانوا قبل إسماعيل عليه السلام العرب العاربة ، وهم قبائل كثيرة منهم عاد وتمود وجرهم . وأما ولد إسماعيل فيسمون العسرب المستعربة » .

وصالح عليه السلام نبي تمود كان يدعو قومه ، وهم من العرب العاربة الذين يسكنون الحجر الذي بين الحجاز وتبوك إلى التوحيد ، ولا تزال مداته باقية في الجزيرة العربية .

أما إبراهيم عليه السلام فهو أبو الأنبياء وأبو إسماعيل عليه السلام ، وقد جاء إلى مكة حيث ترك زوجته هاجر وابنها بجوار أطلال الكعبة ، ثم اتجه إلى طريق العودة وهو يتطلع إلى السماء ويقول ﴿ رِبناإلى أُسكنت من ذريتي بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ إبراهي ٣٧

ولقد كانت مكة بموقعها الجغرافي تمثل العاصمة الدينية والتجارية للجزيرة العربية ، ذلك لوجود الكعبة المشرفة في وسط سهولها ، ولأنها كانت مركزا لتجمع القوافل التي ترد من الجنوب متجهة إلى بلاد الشام أو العكس .

ولم يلبث رجال مكة أن اقتبسوا من رجال القوافل سر السفر وفائدته ، فخرجوا هم أيضا فى قوافل تنو لى نقل التجارة لأهل مكة وللتبجار الآخرين من اليمن والشام . فلما كان القرن السادس للميلاد احتكر تجار مكة التجارة فى غرب الجزيرة ، وسيطروا على حركة النقل فى الطرق المهمة التى تربط اليمن ببلاد الشام والعراق(¹⁾ .

وكانت مكة قبل أن يصلها إبراهيم عليه السلام بولده وزوجه هاجر ، أرضا غير ذات زرع كما وصفها القرآن الكريم ، بلقعا لا ماء فيها ولا حياة . ثم تفجرت عين زمزم فروت الرمال وبعثت فيها الحياة فاعضرت وازدهرت . ولا تزال عين زمزم تتفجر لتروى الملايين من المسلمين الذين يفدون للحج والعمرة . .

وبعد أن تفجرت زمزم وقد على المكان قوم من قبيلة جرهم واستأذنوا هاجر في النزول إلى جوارها وابنها ، والانتفاع بالماء الذي جعل الودى المقفر المجلب الموحش المنبض بالحيال والمنافق والمنافق واستقروا أيضا .

ثم عاد إبراهيم عليه السلام إلى مكة ، وأشار إلى ربوة حمراء عالية ذات أطلال وقال لولده : إن الله أمرنى أن أبنى هنا بيتابسم الله الرحيم ﴿ وإذ بوأنا لإ براهيم مكان المبيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ﴾ الحج ٢٦ وأخد إبراهيم وولده عليهما السلام في تطهير المكان، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإذ يراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا بقبل منا إنك أنت السميع العليم و ربنا وابعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت الرحيم الكتاب الواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ البقرة ١٢٧ ـــ ١٢٩

At Mecca, p. 3. (1)

والقرآن يسمى مكة : بكه ، وأم القرى ، والبلد الأمين . ويذكر أهل الأحبار أنها عرفت بأسماء أخرى هي صلاح ، وأم رحم ، والباسة ، والغاسة ، والحاطمة ، وكوفى . ويقول ابن إسحق : كانت مكة لا تقرفها ظلما ولا بغيا ، ولا يمني فها أحد على أحد إلا أخرجته ، ولا يريدها مسلك يستحل حرمتها إلا هلك مكانه . ويقال إنها ما سميت بكة إلا لأنها كانت تبك أعناق الجبابرة ، أى تكسر أعناقهم إذا أحدثوا فها شيئا .

وقال الله تعالى فى كتابه الكريم ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب إليم ﴾ الحمج ٢٥

البيئة الاجتاعية :

للبيغة الاجتاعية تأثير كبير في تكوين الإنسان وتلوين طباعه وصفاته .. فهى تطبعه بطابعها وتميزه بسماتها ، ولا يمكن أن يقول قاتل بفصل الهيغة الاجتاعية عن البيغة المجفرافية بحال من الأحوال لما ينهما من ارتباط وثيق وعلاقات تأثير وتأثر .. يتضح ذلك في شبه الجزيرة العربية وسكانها .. منرا أو وبرا .. ذلك أن البيغة المغرافية القاسية التي جعلت معظمهم يعيشون في قبائل تنقل تبعا للمراعى وانتجاعا للمياه ، كان لها تأثيرها الكبير أيضا في نظامهم الاجتاعي القائم على أساس النظام القبلي الذي يجعل لكل قبيلة أرضا تعيش عليها وتعتبرها و منولا لها » وساحة تقم عليها مساكنها . أو بعبارة أعزى تفهر عليها مصاريها .

وتحدد هذه الساحات بين القبائل عرفيا ، ولا تجرؤ إحداها على تعدى الحدود وإلا كانت الحروب وقامت المنازعات :

ويحتر النسب أساسا للعصبية القبلية ، ولذلك تطور علم الأنساب كما بينا في غير هذا الموضع وكان له عندهم مكانة عظيمة . ويرتبط بالنسب في النظام القبل ما يسمى بالاستلحاق ، أى أن يستلحق إنسانا آخر فيجعله في عصبيته . ومن هذا ما كان في الجاهلية من استلحاق أبناء الإماء البفايا بآياتهم . ويروى أهل الأخبار الكثير من قصص سادة قريش اللين تنكروا لأبنائهم من أو للمك الإماء ، ثم عادوا فألمقوهم بهم . . من ذلك مثلا قصة أبى سفيان والجارية سريفة التي أنجب منها غلاما ثم أنكره ، فلحات إلى كاهن هيل وقدمت له الهدايا فأنتى بأن الفلام صريح صريح اى أنه ولد أبى سفيان ومن صليه حوقد اضطر أبو سفيان بعد ذلك إلى إلحاق الولد به .

ويروى أن الرسول ﷺ قضى بأن الأمة فراش كالحرة ، وأن يلحق الولد بالسيد فى حياته لكى لا يقع خلاف بين ورثته إذا تم الاستلحاق بعد موت السيد...وكان ذلك فى بداية الإسلام . وقضى بذلك كعلاج للحالات التى نتجت عن وجود صاحبات الرايات الحمر وتردد السادة من قريش عليين ، ثم تنكرهم لهن ولأولادهن .

وقد سمى المستلحق بالدعى أى المنسوب إلى غير أبيه في البداية ، ثم عدل هذا وجعل الولد للفراش ، وقدورث الدعى أو المستلحق شأنه شأن الأبناء الشرعيين في الجاهلية . وجاء في لسان العرب أن الدعى « منوط مذبلب» لأنه لا يدرى نسبه تماما

. ولا إلى من يدعى .

وكان للجوار مكانة كبيرة في النظام القبلى ، وكثيرا ما كان يرتبط بالنسب وبالمصية . ولم يكن الجوار قاصرا على التجاور في السكن والمرعى بل تعداه إلى ما هو أكثر من ذلك . فكان الرجل إذا استجار بآخر أصبح على هذا الآخر أن يعتبره جزءا منه وجارا له ، ولو لم يكن مقيما بجواره . وقد جاء في لسان العرب « إن الذي يستجير بك جار . . والجار المن أجرته من أن يظلمه ظالم . وجارك المستجير بك . والمجير هو الذي يتمع علي » .

وقد دعم القرآن الكريم هذه الصفات الطيبة في قوله تعالى ﴿ .. والجار ذي القرقي والجار الجنب والصاحب الجنب واين السبيل ﴾ النساء ٢٦ . كا أوصى الرسول بالجار في أكثر من موضع ، حتى ظن القوم أنه سي الله سوف يورّقه .

وقد عرفت الجاهلية نوعين من الجوار : الأول جوار الجماعة ، كجوار البيت أو الفخذ أو البطن أو الظهر أو العشيرة أو القبيلة . والثانى هو جوار الأفراد ، ولكل من هذه النوعين حرمته .

كما عرف النظام القبل فى الجاهلية ما يسمى بالمؤاخاة ، وهى تدعو إلى المساندة والمعاونة والمؤازرة والتآلف . وقد تؤدى إلى المشاركة فى الرزق والسكن ، كما قد تؤدى إلى الموارثة . وأعظم مثل عليها ما حدث فى يثرب عندما وصلها رسول الله عليه مهاجرا ، وكان أصحابه قد سبقوه إليها ، فقام بالمؤاخاة بينهم وبين الأنصار فكان الأنصارى يتنازل لأخيه المهاجر عن نصف ماله ونصف بيته ، وقد يطلق إحدى زوجتيه ليتوجها المهاجر بعد انقضاء عدتها .

وقد وصلت إلينا من الجاهلية كلمة الموالى أو المولى ، التي تعنى أكثر من معنى ، منها : الولى والعصبة والحليف وابن العم والعم والأخ وابن الأخت والجار والشريك والعبد العتيق والعبد الذي يكاتب على نفسه ، وموالى الحلف وهؤلاء كانوا قوما من البود والنصارى والمجوس. ويذكر أهل الأخبار أن ياسر العبسى والدالصحابي عمار وفد إلى مكة وأقام فيها حليفا لأبي حذيفة المخزومي، وكان ياسر سيدا في قومه باليمن، وقد زوجه أبو حديفة من مولاته أى جاريته الحبشية المشتراة سمية ، أول شهيلة في الإسلام ، وأن رباحا والد الصحابي بلال كان مهل أعتقه خلف الجمحر.

وعلى هذا يمكن تقسيم الموالى كما ذكر بعض أهل الأعبار إلى ثلاثة أنواع ، هي مولى اليمين المحالف ، ومولى المدار المجاور ، مولمي النسب والقرابة . وقد ضم البيت التالى هذه الأنواع جميعا :

نبعت حيّـا على نعصان إفرادهــــم مولى اليمين ومولى الدار والنسب(١) ومهما كان نوع المولى فهو فى الدرجة الثانية بعد الأحرار ، وقلما زوج الأحرار بناتهم من الموالى . وقد ضرب بهم المثل فى القلة والضعة والمهانة .

واتسم النظام الاجتماعي في الجاهلية بوجود الأحلاف المعروفة لغويا بأنها (العهد بين القوم ، وأصلها اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ، .

وجاء فى لسان العرب ما يشير إلى معنى التحالف وارتباطه بشعائر الجاهلميين الدينية ، ذلك إذا حلفوا وتحالفوا وتعاقدوا وتبايعوا .

وقد يكون الحلف بين الأفراد أو بين الجماعات وبعضها البعض . وقال البكرى فى ه معجم ما استعجم ، 9 فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة ، وتنافس الناس فى الماء والكلاً ، والتماسهم المعاش فى المتسع ، وغلبة بعضهم بعضا على البلاد والمراعى ، واستضعاف القوى للضعيف ، انضم الذليل منهم إلى العزيز ، وحالف القليل منهم الكثير ، وتباين القوم فى ديارهم وعملهم ، وانتشر كل قوم فيما يلينهم » .

ومن الأحلاف التي اشتهرت في الجاهلية حلفي 3 تنوخ ؟ وحلف 3 فرسان ؟ وحلف 5 فرسان ؟ وحلف 5 نوعمرو بن وحلف 5 البراجم ؟ ، وقبل إن السبب في تكوين الحلف الأعير أن حارثة بن عمرو بن حنظلة قال لقبائل ظلم وقيس وكلفة وغالب 3 أينها القبائل التي قد ذهب عددها وضعف أمرها ، تعالوا فلنجتمع ولنكن كبراجم يدى هذه ؟ . فقبلوا وتحالفوا وسمى حلفهم بحلف البراجم(٢) .

⁽١) العملة لابن رشيق ، ج ٢ ، ص ١٩٨

 ⁽٣) البراجم: هي مناحل الأصابع التي بين الأشاجع والرواجب، وهي رءوس السلاميات من ظهر الكف (عتد رائصحاح ٤٦) .

ويعتبر حلف المطيبين من أشهر الأحلاف في الجاهلية ، وكان الخلاف قد وقع بين أبناء قصى بعد أن مات وترك الحجابة واللواء والسقاية والرفادة في أيدى بني عبد الدار دول ابنائه الآخرين ، فاجتمع بنو عبد مناف وهاشم والمطلب ونوفل و تعاهدوا عند الكمبة وعقدوا حلفا مؤكد اعلى ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ، فسمّوا الأخلاف . وقد أخرج بنو عبد مناف حفنة نملوءة طيبا فسموا بالمطيين(١) .

كما يعتبر حلف الفضول من أشهرها أيضا ، ويذكر ابن هشام أن قبائل من قريش تداعت إلى حلف اجتمعوا له في بيت ابن جدعان ، فتعاقلوا وتعاهلوا على ألا يجلوا بمكة مظلوما من أهلها أو غيرهم ممن دخلها من سائر الناس ، إلا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته . فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول ـ وقد شهد رسول الله على هذا الحلف وقال (لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت) .

و بعضى هذه الأحلاف كان يفسد فيضطر أصحابه إلى التخالع ، وكان النظام يقضى آمـنـاك بأن يعلنوا عن ذلك ويكتبوا بتخالعهم كتابا يتفق فيه الأطراف جميعها . وربما فعل الفرد من القبيلة ما يجعلها تسخط عليه وتقرر نبنه ثم تخلعه ، فيسمى بالحليع أو الرجل اللعين أو الطريد . وكانت مواسم الحيح والأعياد والأسواق الفرص الإعلامية التي تعلن فيها كل قبيلة عن طريق المنادين أسماء حلفائها . ويذكر الثماليي أن أهل مكة كانوا يكلفون مناديا يطوف بالأحياء معلنا بأغلى صوته عن خلع الخليم . وقد يسجلون ذلك في كتاب يعلق في مكان عام ليقف عليه الناس .

ومن أشهر الخلعاء في الجاهلية الشاعر عروة بن الورد الذي سمى بعروة انصعاليك ، ومنهم الشنفرى و تأبط شرا و المسليك بن سلكة وحاجز بن عوف بن الحرث وقيس بن الحدادية .

وإذا كانت العصبية هي صلب النظام الاجتماعي في الجاهلية ، فقد كانت الحمية من أهم مظاهرها ، ومن أخطر مظاهرها أيضا إذ أنها كانت لونا من النهور والمبالغة في الفضب مما يؤدي إلى كثير من الكوارث واندلاع الحروب وقد نهى الإسلام عنها ونول الوحي يندد بها ، فقال سبحانه و تعالى ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى ﴾ الفتح ٣٦ .

⁽١) ابن هشام : الجزء الأول ، ص ١٣٦

كذلك فإن الأخد بالتأر من مظاهر تلك العصبية ، وقد بالنوا فيه مبالغة جعلت الميقة الاجتماعية تضطرب اضطرابا كبيرا وتكثر فيها المنازعت وسفك الدماء . وقد أبطل الإسلام هذه العادة الذميمة كما أبطل عادات أخرى مماثلة تدخل في باب الفدر والبغى . و لعل أفضل ما أبطله الإسلام من عاداتهم الذميمة هو وأد البنات ، حيث كان الرجل يأتى بامرأته على حافة حفرة قد أعلت لتكون لحلا ، فإذا وضعت أنثى ألقى بالمولودة إليها وأهال فوقها التراب ، ثم وقف على اللحد وهو يصبح كالمنتصر في معركة حرية :

إلى وإن سيسق إلسى المهسر ألف وعسدان وذود شهسر أحب أصهارى إلسي السقير

ولم يكن الوأد بدافع الحنوف من العار فقط ، بل كانت هناك أسباب أخرى كالفقر والفاقة وشدة الحماجة . فالبيئة كانت شحيحة ، وتحصيل الرزق كان يحتاج إلى جهد الرجال . لهذا كان الرجل إذا بشر بالأنثى يظل وجهه مسودا وهو كظيم ، كإ. قال القرآن الكريم . ومن أسباب الوأد كما يذكرها بعض العلماء تخوف العرب من القهر عليهم ، ومن طمع غير الأكفاء في بناتهم .

قال قتادة (كان مضر و خزاعة يدفنون البنات أحياء ، وأشدهم في هذا تميم زعموا خوف القهر عليهم وطمع غير الأكفاء فيون 8 .

وكان للعرض فى النظام الجاهلى مكانة كبيرة ، ولذلك قبل إن العرض هو موضع المدح واللم من الإنسان سواء أكان فى نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره . وقبل أيضا هو جانبه الذى يصوفه من نفسه وحسبه ، ويدافع عنه أن ينتقص أو يثلب .

وقد أتاحت الصحراء للعرب باتساعها وترامي أطرافها وصفاء سمائها وانطلاق هوائها ، حب الحرية والتمسك بها والتضحية في سبيلها . إلا أن هذه الحرية شابتها في الجاهلية الروح القبلية العنيقة والتُرشّت الفردى المتطرف .

و يمكن القول إجمالا أن التركيبة الاجتاعية في الجاهلية كانت تضم الأحرار والعبيد الذين يستوى فيهم أهل المدر والحضر . وقد جاء في نسان العرب أن الحر نقيض العبد والحرة نقيض الأمة . وهذا النظام حدّ من الحرية و جعلها مشوبة بمكثير من نواحي النقص والاختلال ، وقد أدى إلى صور عديدة من النظلم الاجتاعي . . وليس أدل على ذلك من أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أخلوه وعاقبوه

ويمكن تشبيه التركيبة الاجتاعية برم يجلس على قمته السادة والأشراف والكهنة وسدنة الآلهة والمحاربون والفريسان ، فالتجار والصناع ، إلى أن تصل إلى سفح الهرم حيث نجد الطبقات الدنيا والأذناب وأبناء الحبش والمستضعفين في الأرض .

وكان العرف هو القانون غير المكتوب في النظام الاجتماعي الجاهلي . وهو الذي يُحكم القبيلة داخليا ، ويقضي بمعاقبة مثيرى الشغب وخلعهم ، ويكفل السلام والحياة الآمنة المستقرة لأفراد القبيلة في الداخل ، وينظم العلاقات بين القبائل وبعضها ، ويقوم بتنفيذ كل ما تعارفوا عليه من مؤاخاة وأحلاف وجوار وغير ذلك . وكان لكل قبيلة جملس عرفي ، وللقبائل جمسمة في كل منطقة مجلس عرفي أعلى .

البيئة الاقتصادية :

ليس من شك أن البيعة الاقتصادية في الجاهلية قد تأثرت تأثرا كبررا بلون الحياة وظروفها الطبيعة في تلك البيعة الصحراوية الشحيحة القليلة الماء ، الذى قد يندر وقد لا يكفى لإرواء الإنسان وماشيته . فضلا عن ضيق المساحة المنزرعة من الأرض .. هذا الضيق الذى أثر بدوره في تشكيل المجتمع العربى فلم يسمح بظهور المجتمعات الكثيفة الكبيرة ذات الحكومات ، كا هو الحال في البلاد الزراعية ، بل أدى إلى أن يكون للعرب قبائل متناثرة دائمة القتال والصراع من أجل الماء والكلاف .. كا أدى إلى استقلال كون كل قبيلة بلهجتها الخاصة بها بحيث قد يتعذر الاتصال والتقاهم في بعض الأحيان . كذلك فقد أدى ضيق المساحات المنزرعة إلى أن تحل التجارة مركز الهدارة في الناحية كانت لديم نوعان : تجارة البحر ، كا كانت لديم تجارة داخل الجزيرة انها ، وكانت لديم نوعان : تجارة البحر ، كا كانت لديم تجارة داخل الجزيرة ذاتها ، وتجارة للجزيرة مع الممالك والدول الأخرى مثل الفرس والروم والهند وإفريقيا .

وتحتوى اللغة العربية بلهجاتها المتعددة على ألفاظ ومصطلحات كثيرة لها صلة بالتجارة ، والله تعالى فى كتابه الحكيم بلذكر التجارة فى أكثر من موضع ، ويحرم الربا فى قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين ، الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يحسرون ﴾ المطففين ، 1 ـــ ٣

وكان الميع والنعراء في الجاهلية الأولى وقبل التعامل بالذهب والفضة ، يتم بالمقايضة واكتن الميع والنعضة ، يتم بالمقايضة والتبادل ، أي أنهم كانوا يبادنون التمر بالحنطة ، أو الجلود بالثياب والبسط وهكذا . وقد وصل إلينا أن العرب في الجاهلية كان لهم عرف ينظم تنمية الأموال واستثارها واستغلاطا . ومن المعروف أن الرباكان جزءا من نظام التعامل عندهم _ وقد حرمه القرآن الكريم بعد الإسلام .

وقد اشتهر أهل مكة بأنهم كانوا من أبرع تجار الجزيرة . وقد نسب الجاحظ ميل قريش إلى التجارة واشتغافم بها إلى تحمسهم فى دينهم ، فقال :

وقريش من بين جميع العرب دانوا بالتحمس والتشديد في الدين ، فتركوا الغزو كراهية للسبي واستحلال الأموال واستحسان الغصوب . فلما تركوا الغزو لم تبق مكسبة أمامهم سوى التجارة ، فضربوا في البلاد إلى قيصر بالروم ، وإلى التجاشي بالحبشة وإلى المقوقس بمصر ، وصاروا بأجمعهم تجارا خلطاء » .

والحق أن مكة كانت في الجاهلية عاصمة اقتصادية إلى جوار كونها عاصمة دينية وسياسية وثقافية . وكان لقريش رحلتان في النسنة كما أوضحنا من قبل هما رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام . وكانت الرحلة تبدأ من دار الندوة ، وتتألف القافلة اله اجدة من ألف بعير أو أكام ، وتشترك فيها كل الأسر القريشية .

ويذكر ابن هشام في السيرة أن عير قريش بقيادة أبي سفيان قد تاجرت ببلاد الشام وهمت بالعودة إلى مكة ، فلما سمم رسول الله عَلَيْكُ بأبي سفيان مقبلا من الشام بألف بعير قد حملت بأموال وعروض عظيمة ، ندب المسلمين إليه وقال (هذه عير قريش فيها أمو الهم فاخرجوا إليها لعل الله ينفلكموها) . فانتدب الناس وكان أبو سفيان يتحسس الأخيار ، فبلغه خير استنفار الرسول أصحابه فأرسل ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة وأمره أن يأتي قريشا فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمدا قد عرض لها في أصحابه . فخرج ضمضم إليها ، فلما بلغها وقف على بعيره ببطن الوادى وقد جد ع البعير وحول رحله وشق قميصه ، ثم صاح ٤ يا معشر قريش .. اللطيمة اللطيمة . أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أنكم تدركوها .. الغوث الغوث ۽ . فتجهز الناس سراعا وساروا حتى بلغوا بدرا . وكان أبو سفيان قد غير طريقه حين سمع خبر خروج رسول الله بأصحابه ، فساحل بقافلته وتركِ بدرا يسارا وانطلق حتى بلغ مكة . ثم أرسل إلى قريش يقول ﴿ إِنكم إنَّمَا خَرَجَتُم لَتُمْنَعُوا عَبُرُكُمُ ورجالكم وأموالكم .. فقد نجت فلرجعوا ٤ . ولكن أبو الحكم عمرو بن هشام ـــ أبو جهل ــ وكان قائدا للحملة رفض العودة ، وأقسم ألا يعود إلى مكة إلا إذا ذبح وأطعم وأقام أياما ببدر ، ليعرف العرب أن قريشا لا تزال في مظهر القوى العزيز المهاب . فخاب فيأله ، ووقعت معركة بدر التي نصر الله فيها المسلمين وخلل قريشا . وانتهت المعركة بقتل أبي الحكم وعدد كبير من سادة قريش وفرسانها .

وجاء في الأخبار أن بعض رجالات قريش كانوا يؤالفون سادات القبائل على طرق تجارتهم ليأمنوا على أموالهم وكان أبناء عبد مساف في مقىدمتهم ، ولـذلك عرفوا و بحجاب الإيلاف ٤ فكان هاشم مختصا بمؤالفة القبائل على الطريق إلى الروم ، وعبد شمس بالقبائل الحبشية ، والمطلب باليمن ، و نوفل بفارس . وذلك ليأمنوا على قوافلهم .

والقافلة هي عماد النظام التجاري الجاهلي ، وكانت الإبل بدورها عماد القافلة ، وكان لكل قافلة حراسها الأشداء وأدلاؤها الخيراء والحداة الذين يحدون لها . وعادة كان الحددي من الشعراء أو رواة الشعر . وكانت مهمته الإمتاع والترفيه عن قافلته أثناء رحلتها الطويلة المضنية في جوف الصحراء ، وأيضا تسقط الأعبار والحكايات ونقلها إلى قريش عند العودة .

أما الأسواق فقد كانت ذات شأن كبير فى النجارة ، فعندما تحط القوافل و تنزل بضائعها ، ومنها تباع البضائع وتشتزى بالنقدأو يتم تبادلها ، وبعضها كان ثابتا في المدن والقرى والمعض الآخر كان موسميا كالأسواق الكبيرة التى تحدثنا عنها من قبل كمكاظ ودومة الجندل وهجر وغيرها .

وكان الربا جزءا من النظام التجارى في الجاهلية ، وقد قسم العلماء الربا إلى نوعين : رباالسيقة وربا الفضل . أما الأول فهر الذي كانوا يتعاطونه في الجاهلية . قال رسول الله على (إنما الربا في السيقة هي البيع إلى أجل معلوم) . يريد أن يبيع الربو نات بالتأخير من غير تقايض هو الربا وإن كان بغير زيادة . . وقد عرف العلماء ربا الفضل بأنه الربا الذي يباع فيه الشيء بضعفه . وكان الهيود ومعظم أهل مكة والطائف ونجران من المشتغلين بالربا . وقد حرم الإسلام الربا ، وقال في في خطبته بحجة الوداع (إن كل ربا ، وضوع ولكن لكم رعوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضي الله أنه لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله) .

هذا وقد حفلت البيتة الاقتصادية بأغاط من الغراء الفاحش والفقر المدقع .. بل إن من الفقراء في الجاهلية من كان يأكل لحاء وأوراق الشجر والأعشاب . وقد ورد في حديث عتبة بن غزوان و ما لناطعام إلا الأوراق البشام أو العله (١) أو الموزين (١)) . ومن الأغنياء من كان يسمى و حلس الذهب و كعبد الله بن جدعان . وذلك لأنه كان يشرب الخمر مع أصحابه في كتوس من ذهب ، ويقولون إن جفنته التي كان يقدم فيها الطعام لضيوفه يغرق فيها الرجل . ويين قمة الغراء في الجاهلية وحضيض الفقر كانت هناك طبقات بين بين .

⁽١) العلهز : طعام من وبر الإبل والدماء قد خلط وطبخ على النار .

⁽٣) الوزين : الحنظل يؤكل باللبن .

وللى جوار البضائع التى كانوا يتاجرون فيها كالحنطة والحبوب والثياب والذهب والفضة وغيرها ، كانت هناك بضائع أخرى هى الإنسان .. العبيدوصاحبات الرايات الحمر . وازدهرت تجارة الرقيق فى مكة فكان هاشم يعود من الشام بأرقاء فارس ، وكان عبد شمس يعود من أرض الحبشة بعبيد حمير ، وكان المطلب يعود من اليمن بأرقاء الحبشة ، وكان نوفل يعود من فارس يحمل أرقاء الروم والغساسنة ..

وقد أقبل أغنياء مكة وسادتها على شراء الأرقاء ليقرموا بخدمة الدور والضيوف ، وإحداد العروض التجارية ، والرعى أيضا . بينها كان أهل الطائف يشترون العبيد ليفلحوا لهم الأرض ويزرعوا بساتين الكروم .

أما عبيد الحبشة والرومان فكانوا يستغلونهم فى الحروب والصراعات الدموية ، والإغازات على القبائل .

وكان الكثيرون من أهل مكة ويثرب يتاجرون في الرقيق الأبيض ، بل إن منهم من كانت لديه المثان من المبادن منهم من كانت لديه المثان من الإماء البغايا يعملن تحت إشرافه . وكانت الواحدة منين ترقع على خيمتها راية حمراء تحمل اسم الرجل الذي هي من عبيده . وكلما تجمع لديها قدر من المال كحصياتها من علها صلحه إلى سيدها .

اليئة الفكرية :

كان العالم قبل الإسلام تموج بتيارات متلاطمة من الإلحاد والكفر والشر والظلم وسيادة قانون الغاب ، نتيجة لما أصاب الدين الحنيف وتعاليم موسى وعيسى عليهما السلام ، وانحراف الناس عن الجادة وعبادة التوحيد .

وكانت مكة غارقة فى وثنيتها رغم وجود عشرات الملل والنحل فيها .. فقد استقر حول الكعبة ثلاثمائة وخمسون صنا يمثل كل منها إليها تعبده طائفة من أهل مكة . ومن أسمائها هبل ومناة واللات والعزى وغيرها من الأسماء المجلوبة إلى الجزيرة العربية . قال تمالى ﴿ إِنْ هِي إِلَا أَسماء سميتموها أُنتِم وآباؤكم ما أَنْوِل الله بها من سلطان ﴾ .

وقد وفلت الوثنية إلى مكة من الرومان ، وكان أول من جلبا عمرو بن لحي جد خزاعة الأعلى . وقد وافقت جرهم على ذلك واتخلت لنفسها أصناما تعبدها هي الأخرى .

وذّكر ابن إسحق في السيرة أن 8 أول ما كانت عبادة الأحجار في بنى إسماعيل ، أنه كان لا يظمن من مكة ظاعن منهم إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظما للّحرم ، فحينا وضعوه وطافوا به فكأنهم قد طافوا بالكعبة ، حتى أدى ذلك إلى أنهم كانوا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة . حتى خلفت من بعدهم خلوف ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الاعم من الضالات » .

واعتقد بعض الوثنية من أهل مكة أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم حق عبادته قضى الشيطان حوائجه ، وإلا أصابه بنكبة .

ونشأ أيناء قريش في ظل هذه الوثنية التي تفرق فيها أصحابها شيما وأحزابا دينية ، فعانوا من التحلل الاجتهاعي والاضطراب الفكرى والخلقي . بل لم تعد للأخلاق قيمة فعليه تنبع من وازح ديني ، فانتشرت الجرام الخلقية وفقد المرء إحساسه بمدلولها ، فأصبح يرتكبها كالوكات أمرا متعارفا عليه . ولم يعد للمعيار الخلقي أو المعنوى أى قيمة في البيئة الفكرية ، وأصبح الناس يوزنون بما يملكون من ذهب وفضة ، ولفحت وجه المجتمع موجة عاتبة قضت على كل قيمه الووجة ومثله الخلقية .

واعتقد البعض الآخر من أهل مكة أن الدين الحق هو الذي كان عليه الناس قبل إبراهيم عليه السلام ، فارتدوا إلى عبادة الكواكب والنجوم . فعنهم من عبد الشمس واتحذ لها صنها ، ومنهم من توجه بالعبادة إلى الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وبنوا لها هياكل كبيرة ومعابد كثيرة مقدسة . وهناك طائفة من أهل مكة آمنوا باللهر وقالوا : ﴿ إِنْ هِي إِلا حياتنا الدنيا نموت ومحا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ المؤمنون ٧٧ وضيا وما يهلكنا إلا الدهر كالم

وقد عاشت في مكة إلى جوار هو لا عائفة المجوس عبنة النار ، والنصارى الذين . قالوا بوحدة طبيعة المسيح ، والنصارى الذين قالوا بلاهوت المسيح وناسوته . وبالمسيحين القاتلين بأن المسيح هو الله .. كبرت كلمة تخرج من أفواههم . فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم ﴾ المائدة ٧٧ و بالمسيحين الذين قالوا إن المسيح ابن الله سكيرت كلمة تخرج من أفواههم سفقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا ملقد جعتم شيئا إذاه تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداه أن دعوا للرحمن ولداه وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداه إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا ﴾

و بالمسيحين الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة .. كبرت كلمة تخرج من أفواههم ! فقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتبوا عما يقولون ليمس الذين كفروا منهم عذاب ألم ، ألهلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ه ما المسيح عيسى بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر ألى يؤ فكون ﴾ المائدة ٧٣

أما اليهود فقد كانوا يعيشون حياة لها وجهان: وجه يمارس به شعائر دينه في تزمت شديد ، و آخر يرتكب به كل المحرمات مع من لا يدينون باليهودية . و كانوا يعتقدون أنهم هم الصفوة التي احتارها الله وفضلها الله على العالمين ، وأن الله لن يحاسبهم على ما يرتكبون من آثام في حتى الأمين في ليس علينا في الأمين من سبيل في . آل عمران ٧٥ وعلى الرغم من ها التخيط والعمل والتيب الملا والنحل والأدبان ، فقد بهيت طائفة على الدين الحق _ دين إبراهيم وإسماعيل _ وهم الأحناف ، وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى في إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين ، شاكر الأنعمه اجتباه و هداه إلى صراط مستقيم هو آتيناه في الدنيا حسنة وإن في الأخرة لمن المسالحين هم أوصينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين في النحو ١٠٠٠ وقد حدثنا أهل العلم عن أربعة من مؤلاء الموحدين كانوا بمكة هم و ورقة ين نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل ، وخالد بن سنان ، وعثان بن الحويرث ، ولكتهم لم يكونوا يمونون الطريق إلى عبادة الله ، وقد تفرقت بهم السبل وضل أحدهم فدخل في النصرانية .

هذه هي الصورة التي كانت عليها البيئة الفكرية في مكة قبل الإسلام ، وهي صورة تجمع بين المتناقضات في إطار من التشويش والاضطراب الفكري والمقالدي ، و تفتقر إلى المعانى الإنسانية والقيم الروحية التي تضيء السبل أمام البشر و توضع المعالم إلى طريق. الله الواحد الأحد .

وعلى الرغم من قتامة هذه الصورة ، فإنها كانت تشتمل على إرهاصات وشارات تؤكد أن نبيًا سوف يبعث فى أرض العرب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور . وكانت هذه الإرهاصات والبشارات تستند إلى ما جاء بالكتب السماوية أولا وأخوا.

البئة السياسية:

كانت الكعبة المشرفة محورا لجميع الصراعات السياسية التي دارت في الجزيرة العربية ، سواء أكمان مصدر هذا الصراع داخليا أو خارجيا .

فمنذ القدم والصراع يدور حولها ومن أجلها ، والكل بحاول أن يستولى عليها وأن تكون له و لايتها . وقد بدأ هذا بالجراهمة الذين حاولوا السيطرة على إسماعيل عليه السلام تكون له و لايتها . وقد بدأ هذا بالجراهمة الذين حاولوا السيطرة على إسماعيل عليه السلام

بتزویجه من إحدى بناتهم ، ولكن العماليق سبقوهم إلى تحقيق ذلك فزوجوه من ابنتهم صدا التي ما لبشت أن تلمرت وأبدت السخط لانصر اف هاجر أم اسماعيل عليه السلام إلى العبادة ، ثم أساعت إلى إبراهم عليه السلام عندما جاءهم زائرا ، فطلقها إسماعيل وتزوج من شامة بنت مهلهل الجرهمي التي استقرت معه في حياة زوجية رضى عنها إبراهيم عليه السلام . وشامة هي أم أبنائه .

وعندما انتقل إسماعيل عليه السلام إلى جوار ربه ، كانت قبيله جرهم قد تكاثرت في شمال مكة حتى ملأت الفجاج وجعلتها تضيق على أصحابها الأصليين أبناء إسماعيل . وكان على رأس الجراهمة مضاض بن عسرو وكان رجلا قوى الشكيمة عنيف التعرفات ، كلمته بين قومه قانون غير مسجل . وكان العماليق قد تكاثروا هم أيضا حتى غطّوا جنوب مكة ، وكان على رأسهم البسيدع الرجل الطموح العصبي المزاج الذي يحقد على جرهم لصلة النسب بينها وبين إسماعيل وأولاده ، ويتحين الفرص للانقضاض عليم والفتك بهم .

وقد حوص و نابت » بن إصماعيل عليه السلام على بقاء الوثام بين القبيلتين بعد وفاة أيه ، التلا تسفك الدماء في البيت الحرام الذي جعل أمنا للناس ومثابة وحرم فيه القتل والقتال .

وظل الآمر هكذا حتى واقته المنية ، فأوصى بالولاية لأخيه 3 قيدر ؟ ، ولكن قيلر كان مدين وهنا ثار كان شيخا ضعيفا لم يقو على أمور الولاية فاستأثر بها مضاض بن عمرو الحرهمى . وهنا ثار السميدع وانفعل بالغضب وراح يترقب الفرص لانتزاع الولاية منه . ولما طال به الزمن دون أن تتاح له تلك الفرص، أخذ ينافسه منافسته الند للند . فلما بدأ مضاض يعشر النجارة التي يدخل أصحابها من الشمال لينفق منها على البيت وحجاجه ، صمم السجارة عمن يدخل مكة من جنوبها .

ولم يكتف السميدع بذلك بل بلأ إلى نوع من أنواع الحرب النفسية المبكرة والدعاية السيعة عن الجراهة بصفة عامة ، ومضاض بصفة عاصة ، وبلغت أنباء هذه المدعاية السيعة سمع مضاض فصمه على أن يقابلها باعاد أشدو أقوى ، فاستعمل نوعا آخر من الجانسين بحلاؤن جو الوادى من الجانسين بحلاؤن جو الوادى المقدس بحكايات ملفقة عخلقة وروايات صنعها خيالهم الجمنح . وكانت الفلبة لدعاوى مضاض في هذه الحرب النفسية : إذ استطاع دعاته أن يقروا في نفوس معظم الناس أن نسب الجراهمة يرجع إلى ملك من الملاتكة يقال له ٥ عرعر ٤ هبط إلى الأرض من المسماء ، فنزعت عنه روجانية الملاتكة وجعل في بعض خلق ابن آدم .

وقد راجت هذه الأسطورة وذاعت وانتشرت بين الناس انتشار النار في الهشيم ، وصدقوها بأن آمنوا بها ، وهكذا فتحت جرهم للشيطان بابا واسعا يدخل منه إلى القلوب التي آمنت بالواحد الأحد . وحاول السميدع أن يقضى على هذه الأسطورة ، واجتهد رجاله في سبيل ذلك ولكن جهودهم راحت أدراج الرياح وباءت عاولاتهم بالفشل . وهنا قرروا الانتقال من مرحلة الحرب النفسية والصراع اللحائي إلى مرحلة الصراع اللموى وحرب السيف ، وأخلوا يستعنون للصدام . والتقي الفريقان و دار تقال عنيف سفكت فيه اللماء وسالت على أرض أم القرى التي حرم الله فيها القتل والتقال . ثم التقى مضاض والسميذع في مبارزة سقط في نهايتها السميذع قتيلا ، ففر أصحابه هاربين . وهكذا سيطر مضاض وحده على مكة شمالا وجنوبا ، وقدوقف بعد الانتصار على الجبل يخطب في الناس ويقول :

وغن تتلنا سيد الحي عنسوة فأصبح فيا وهو حوان موجع وما كان يبغى أن يكون مواؤنا بها ملكا حتى أتاتا السميدة فلاق وبسالا حين حاول ملكنا وحساج مساغصة تتجسر فنصن عمرنا البيت كتا ولاته نلافع عنده من أتاتيا وندفع ومن كان يبغى أن يلى ذاك عزنا ولم يك حى قبلنسا ثم يمنسع وكنا ملوكا في الدهور التي مضت ورثنا ملسوكا لا ترام فتسوضع ونزلت جرهم من أعلل الجبال وراحت تطوف بالبيت وهي تنشد:

لا همّ إن جرهما عبــــادكا القــوم طوف وهــم قلادكا ورأى بنو إسماعيل الذين أحجموا عن الاشتراك في القتال لحساب أحد الطرفين، أن المشاحنات لن تنتهى بين القبيلتين وأن الفتنة قطل برأسها، فمشوا بالصلح بينهما واستجاب الطرفان للصلح . وقام مضاض فنحر وطبخ وأطعم كل من حضر ذلك الصلح. وهكذا استقرت الأمور لمضاض وانتهى أول قتال دموى وقع في الوادى

و لما خلا الجو لجرهم أفسندوا في الأرض وتمادوا في غيهم وضلاهم ، وأكلوا أموال ولما خلا الجو الموال الكعبة ، وفرضوا الإتاوات على الحجاج والمعتمرين والقوافل التجارية التي تمر بمكة . وأقامت جرهم على هذا الحال نحو ثلاثمالة سنة ولم ينازعها في ولاية البيت أحد ، إلى أن ملط الله سبحانه وتعالى عليها خزاعة فحاربتها وانتصرت عليها وأخرجت جبابرتها من مكة أذلة صاغرين . . وفي هذا يقول شاعرهم :

وقند شرقت بالدمنع منها انحاجس أنيس ولم يسمر بمكة سامسر يلجلجيه بين الجنساحين طائس صروف الليالي والجدود العواثير نطوف بذاك البيت والخير ظاهر كذلك بالأحوال تجرى المقادر بها حرم باد وفيها المشاعـــــــر

وقائلة والدمع سكب مسادر كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا فقلت لها والقسلب منسى كأنما يل غن كتا أهلها فأزالسا وكنا ولاة السيت من نابت أتى فأخرجنما منها الملميك بقسدرة فسحت دموع العين تبكي لبلدة كانت ولاية البيت بيد خزاعة ولكنها كانت تتوجس خيفة من قريش ، وتتوقع أن تنقض عليها وتنتزع الولاية منها ، فانتهزت أول فرصة للتخلص من رجالاتها وفرسانها ،

فجعلتهم في الصفوف الأولى من الجيش الذي خرج لصدّ تبع الأول وجيشه . وكان تبع الأول قد جاء يريد الاستيلاء على الكعبة والسيطرة على مكة ومنافذها . ولما التقي الجيشان هزم تبع الأول شر هزيمة ، وجاء من بعده تبع الثاني الذي لقي نفس المصير، وعاد رجالات قريش وفرسانها إلى الحرم وعقدوا الحلقات لدراسة الدين الحنيف .

وكان نفر من هذيل يحقدون على تبع الثالث ويتمنون زوال ملكه ، فذهبوا إليه وحرضوه على غزو الكعبة قاتلين ٥ أيها الملك ، هل ندلك على بيت مال دائر أغفلته الملوك من قبلك ؟ ، . فأجابهم « وما حاجتي إلى بيت أغفلته الملوك ؟ ، . فقالوا له و لو عرفت ما فيه أيها الملك و وقفت على حقيقة كبوزه وتحفه لما قلت هذا القول . . هذا البيت فيه نمن اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والـذهب والـفضة ، وفيـه من الهدايـا ما لا يستطيع حمله المتات من الرجال الأشداء ، .

وتساءل تبع الثالث عن البيت الذي يقصدونه بقولهم ، فدلوه على الكعبة قائلين ٥ إنه بيت بمكة يعظمه العرب جميعا ويضلون إليه وينحرون عنمده ويعتمرونــه ويحجونه .. وأنت أولى أن يكون ذلك البيت وشرفه وذكره لك ، واقتنع تبع الثالث بقولهم فخرج على رأس جيش ضخم يفوق في عدده وعدته جيش تبع الأول والثاني . وما كاد تبع الثالث يقترب من مكة حتى هبت عليه وعلى جيشه عاصفة هو جاء من تلك العواصف التي تحول بياض النهار إلى سواد ، فجعلته وجنوده يدورون حول أنفسهم في دوامات عنيفة رهيبة لا يستطيعون لها دفعا .

وانتهى الأمر بسقوطهمريضا بمرض!\ يعرف الأطباء له علاجا ، فاستقدم الأحبار يسألهم النصيحة فقالوا ٩ لقد أراد الهذليون هلاكك أيها الملك وهلاك جنودك ، فنحن لا نعلم بيتا لله أتخذه في الأرض لنفسه غير الكعبة التي تصمحوك بالعدوان عليها . واثنت فعلت لتبلكن وليلكن من معك جميعا ؟ .

واستجاب تبع الثالث لتصيحة الأحبار ، فذهب إلى أليت معظما مكبرا ، وحلق رأسه عنده، وأقام بمكة ستة أيام نحرفها للناس وسقاهم العسل واللبن، ثم أحضر أفخر الثياب وعمل منها كسوة للكعبة ، كما وضع لها أبوابا بمفاتيح تفتح وتفلق حسب الحاجة ، ثم قال شعرا منه :

وكان جدهم النصر بن كتانة قد اجتهد حتى جمعهم ولم هملهم ووحد صغوفهم وأعادهم مرة أخرى إلى بيت الله الحرام ، الذي كانوا قد تركوه تحت الضغوط التي وقعت عليهم من جرهم وغوها . وقد أطلق عليهم العرب منذذلك الحين كلمة قريش نسبة إلى تقريشهم ، أي تجميعهم .

وكان أبوهم مالك هو الذي واجه سابور ذى الأكتاف الذي كان اسمه يبعث الرعب في قلوب العرب جميعا . وقد ذهب إليه لبناقشه في عداوته للعرب فقال له 8 جعت أسألك لماذا تضطهد العرب ؟ ع فقال له سابور 8 ولم لا أفعل وقد أنبائي المنجمون أله سيظهر في العرب رجل يزول على يديه ملك فارس ويمحي ديها ؟ ٤ . فقال مالك 8 المنجمون لا يصدقون دائما ٤ . فعاد سابور يقول 8 ونبوءة ساسان ؟ ٤ فقال مالك 6 وماذا تقول نبوءة ساسان ؟ ٤ فقال مالك فارس ويصبح الرؤساء مرعوسين له ، ويضع مكان تماثيل الآلمة ومواقد النار المقدسة يتا معمورا بلا صور و بلا تماثيل ٤ . فقال مالك 8 إذا كانوا صادقين فلهقولوا من أية قبيلة ذلك الرجل ٤ . فضاح به سابور \$ لو عرفت في أية قبيلة سيظهر لأفنيت تلك الفيلة وحقت دماء العرب أجمعين ٤ . فقال مالك \$ لو أن ذلك مقدر وسوف يقع فهل سفكك لدماء العرب بحمع وقوعه ؟ ٤ فأعجب سابور بهذا القول الحكيم وقال هداد أوقفت القول الحكيم وقال

و لو أن حجب الفيب شقت أمام عينى سابور فى تلك اللحظات ، لقرأ فيها أن العربي الذى يخشى منه على ملكه هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك الواقف أمامه . ورغم محاولات خزاعة للنيل من مكانة قريش وزعامتها ، إلا أن العرب أقبلوا على قريش والتفوا حولها . . بل إن منهم من طلب إلها أن نحتل مكانها الأول ، وأن تستولى على ولاية البيت التي هي حقها الطبيعي . وقد أوغر هذا صدور خزاعة التي استعانت بيكر و شنت الحرب على قريش ومن حالفها . ودار القتال في منى ثم تدخلت القبائل العربية الأخرى في النزاع وعظموا عليهم سفك الدماء على الأرض الحرام ، وتم الصلح واستقرت شفون البيت في يد قصى . وهكذا عادت الكعبة إلى أبناء إسماعيل .

على هذا النحو كان الصراع السياسي يدور داخليا في مكة حول محور أساسي هو الكعبة المشرفة .. الصراع السياسي الخارجي الذي كان يدور حول الجزيرة العربية بين القوتين المظميين في تلك الحقبة الزمنية ـــ وهما الفرس والروم ـــ وكان محوره كذلك الكعبة المشرفة .

فقد كان د يوسطنيانوس ، قيصر الروم يطمع في أن تسيطر المسيحية على العالم ، وأن يرفرف الصليب على وجه الأرض من أقصاها إلى أقصاها. ففكر في أرسال أيرهة لغزو الحجاز لكى يتصل نصارى الحيشة واليمن بنصارى القسطنطينية عن طريق البر ولكى يؤمن حرية الملاحة في البحر الأحمر ، ولكى يتمكن أخيرا من مهاجمة الفرس مستجنا بالقبائل المعادية لهم .

(ایها الملك العظیم ، (یما كان اریاط عبله من عبیدك وانا ایضا عبد من عبیدك ، ولكننا اختلفنا فیما بیندا و كلنا حاجة للك ، إلا أننى كنت أقوى على حكم البمن منه و أصبط و أسوس لأهلها لملك من قبلك ، ولن أهدأ أو أستريم حتى أصرف حجاج العرب إلها ، وأجعلهم ينسون تماما أن في مكة بيتا يحج إليه » .

وصادف هذا القول هوى فى نفس النجاشى ، الذى كان يقلقه ويقض مضجعه كزعيم للدين المسيحى فى النطقة تهافت الحجاج العرب على الكعبة فى مكة المكرمة ، فوافق على ذلك وكتب إلى يوسطنيانوس يزف البشرى إليه ، فابتهج بدوره وأحس أن حلمه الكبير سوف يتحقق . وقام أبرهة بيناء كنيسة فخمة ضخمة نقل إليهاأروع ما حواه قصر الملكة بلقيس من أعمدة الرخام وأحجار المرمر وتحف الذهب والفضة ، وأطلق عليها اسم القليس . وانتظر أبرهة وانتظر معه النجاشي والقيصر أن يتحول حجاج العرب عن الكمية المعظمة إلى كنيسة القليس بصنعاء ، ولكن شيئا من هذا لم يتحقق .

وظلت الكعبة كما هى قبلة العرب ومعقد آماهم ، ولم يستطع القليس مع كل ما قاموا له به من دعاية وإعلان عنه أن يصرف العرب عنها . فاغتاظ أبر هة وأخذ يفكر ماذا يفعل ؟ ودله الشيطان إلى أن يدعى أن بعض العرب قد أحدثوا في القليس .. واتخذ من ذلك ذريعة يتذرع بها لكى يغزو الكعبة ويهدمها فلا يكون لها وجود ولا يكون على الأرض سوى القليس ..

وكتب إلى النجاشي مستفذنا في الخروج إلى مكة لهدم الكعبة ، فوافق وحصل له على تأييد القيصر ، ثم زوده بحيش ضخم وفيل كبير مدرب على اقتحام المعارك . وخرج أبرهة على رأس الجيش يتقدمهم الفيل متجها إلى مكة . وسمعت العرب بذلك فأعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم . وخرج رجل من أشراف أهل اليمن وأقيالهم يقال له ٥ ذو نفر ، ومعه قومه ، ودارت معركة انتصر فيها أبرهة وأسر ذا نفر فلما أراد قتله قال له . ٥ مهلا أيها الملك لا تقتلني ، فعسى أن يكون بقائي على قيد الحياة أفضل لكم من قتل ، وعسى أن يكون مقامي معكم خيرا من ذهابي عنكم إلى غير رجعة ٤ . فأبقى أبرهة على حياته ، واستأنف السير إلى أن وصل أرض ٩ خثعم ٤ . وهناك تصدي لهم 3 نفيل بن حبيب الخثممي ، في قبائل 3 خثمم وشهران وتاهي ،، ودارت معركة أخرى انتصر فيها أبرهة أيضا وأسر نفيلا ، ولما هم بقتله صاح به نفيل قائلا ٥ أيها الملك أبق على حياتي وسوف أكون دليلك بأرض العرب . . وهاتان يداي على قبائل خثهم بالسمع والطاعة ٤ . فعفا عنه أبرهة واتخذه دليلا حتى وصل الطائف. فخرج له ﴿ مسعود بن معتب ٤ في رجال ثقيف عند ﴿ اللات بيت عبادتهم ﴾ قائلا أيها الملك .. إنما نحن عبيدك سامعون لك مطبعون لأوامرك ، وليس لك عندنا خلاف، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد_ يعنون بين صنمهم اللات_، وإن شقت أرسلنا معك من يدلك عليه ۽ .

وتطوع أحدهم 3 أبو رغال 4 بأن يدلهم على مكة ويصل بهم إلى الكعبة ، وسار أمامهم يحدو لهم ويحمسهم حتى وصلوا مكانا يقال له 3 المفمس 2 على مقربة من مكة ، فهلك أبو رغال بداء غريب أصابه ودفن ينفس المنطقة وقدر جمت العرب قبره . وعسكر أبرهة في المغمس وبعث (الأسود بن مقصود) على خيل له حتى انتهى إلى مكة فاغتصب أموال أهل و تهامة) من قريش ، وأصاب فيها مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم و هو يومئذ رأس قريش وسيدها . وما أن علم عبد المطلب بذلك حتى جمع الناس بدار الندوة للتشاور ، وقد رأوا جميعا أن يخرجوا لحرب أبرهة وصده عن بيت الله . ولكن عبد المطلب خوفهم من ذلك وبين لهم أن المعركة لن تكون متكافقة ، و نصحهم بأنذ يتركوا الأمر لله وحده فهو رب البيت القادر على حمايته .

وقطعهم بمدير مو المو المو المواقع الم

وقبل أن يخرج عبد المطلب من مجلس أبرهة دخل إليه من يقول و إن بالباب سيد هذيل يعرض ثلث أموال تهامة ، على أن يرجع الملك فلا يهدم الكعبة » . ولا يقبل أبرهة هذا العرض وإنما يصبح في غرور وصلف وغطرسة و بل سأهدمها ولو عرضت على أموال الدنيا كلها .. لقد آن الأوان لحفف هذه الكعبة من سجل الوجود » . ولم يستطع أبرهة أن يجول شيفا من تهديداته إلى واقع ، كما لم يستطع أن يحقق حلم القيصر وأمل النجاشي . وانتهى بالمأساة التي حدثنا عنها القرآن الكريم في قول الله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم في ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ه ألم يجعل كميدهم في تضليل و وأرسل عليهم طورا أباييل » ترميهم بحجارة من سجيل » فجعلهم كمهمف مأكول في . الفيل ا . . . •

ويهذه المأساة التي لم تعرف البشرية لها مثيلا من قبل و لا من بعد ، تتضح لنا طبيعة . الصراع السياسي داخل الجزيرة العربية وخارجها ، وهمي صورة في مجملها تشير إلى المكانة المقدسة لمكة ... تلك المكانة التي استمدتها من وجود بيت الله الحرام فيها ... ذلك الميت العربيق الذي كان محور المكل الصراعات التي دارت في البيئة سياسيا واجتاعيا و فكريا واقتصاديا ، وشكلت بمقوماتها أيكولوجية الإعلام قبل الإسلام ، وسوف يكون لها تأثيرها في تكوين أيكولوجية الإعلام الإسلامي بعد مولد نبي الهدى محمد بن عبد الله عَلَيْكُ في نفس العام 3 عام الفيل ٤ حيث أخرج الإنسانية كلها من الظلمات إلى النور .

ويحدثنا التاريخ أن قريشا فرحت بما أصاب أصحاب الفيل ، وأقبلوا على الكعبة يطوفون بها شاكرين ربها وربهم الكريم الذي من عليهم بالنجاة وحفظ للبيت الحرام مكانته ، ولمكة زعامتها وقيادتها للعرب أجمعين ، وصاح شاعرهم ينشد :

فتنكلسوا عن بطن مكة إنها كانت قديما لا يرام حريمهمسما

بل لم يعش بعد الإياب سقيمها

سائــــل أمير الجيش عنها ما رأى ولسوف ينبى الجاهلين عليمهــــا ستون ألفا لم يؤوبسوا أرضههم

الفصت لالرابع

القرآن الكريم ونظرية الإعلام الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم . . ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق • خلق الإنسان من علق • اقرأ وربك الأكرم • الذي علم بالقلم • علم الإنسان ما لم يعلم • ﴾

بده الآيات الكريمة افتتحت الدعوة المحمدية، أو الرسالة الإسلامية التي حملها الله سبحانه وتعالى لرسوله الكريم محمد بن عبد الله عليه ، وكلفه بتبليغها للناس كافة والإعلام عن الدين الحق والإله الواحد الذي لا شريك له ولا ولد.

وكان ذلك فى ليلة القدر من شهر رمضان المبارك ﴿ إِنَا أَنْزِلُنَاهُ فَى لِيلَةَ القَمْرِ ﴿ وَمَا أَدُواكُ مَا لِيلَةَ القَدْرِ وَلِيَاةَ القَدْرِ خَيْرِ مِنْ أَلْفُ شَهْرٍ وَ تَوْلِ الْمُلاَكُةُ وَالروحِ فِيهَا بِإِذْنُ ربهم من كل أمر ه سلام هي حتى مطلع الفجر ﴾ سورة القدر .

وكان رسول الله عَلِيُّكُ قد خرج إلى غار حراء كعادته في تلك الفترة التي كان يعتزل الناس فيها، ويقضى الليالي ذوات العدد متعبدا متحنثا متأملا في الكون مناجيا من كوله سبحانه و تعالى . ففاجأه جبريل عليه السلام بأمر الله جلّ جلاله _قال رسول الله عليه (فجاءني جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب . . فقال (اقرأ) فقلت (ما أقرأ) قال (فغتني به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال (اقرأ) قلت (ما أقرأ) فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرساني فقال (اقرأ) فقلت (ما أقرأ) فغتني به حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال (اقرأ) فقلت (ماذا اقرأ؟) ما أقول إلا افتداء منه أن يعود لي بمثل ما صنع ني ، فقال ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ه علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ قال فقرأتها ثم انتي فانصرف عنى ، وهببت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتابا). قال رسول الله عليه (فخرجت حتى إذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء يقول (يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل) ، فرقعت رأسي إلى السماء أنظر فإذا جبريل في صورة رجل صاف قدميه في أفق السماء يقول (يامحمد أنت رسول الله وأنا جبريل) . قال عُلِيُّ (فوقفت أنظر إليه فما أتقدم وما أتأخر، وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك . . فمازلت واقفاما أتقدم أمامي و ماأرجع ورائي حتى بعثت حديجة رسلها في طلبي، فبلغوا أعلى مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني ذلك، ثم انصر ف عني). وقد أجمع المفسرون على أن قوله تعالى فو أقرأ باسم ربك ﴾ أى اقرأ مبتدئا باسم ربك و فو أقرأ وربك الأكرم ﴾ أى الذى لا يدانى كرمه كرما مهما كان ، و فو الذى علم بالقلم ﴾ أرشد ووفق إلى الكتابة به ، وفي هذا تنبه على فضل علم الكتابة ، فما دونت العلوم ولا ضبطت كتب الله تعالى المنزلة إلا بالكتابة ، ولولاها لما استفامت أمور الدين والمدنيا و فو علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ أى علمه ما لم يكن يعلم ، أو عرفه ما لا يستطيع معرفته بقواه البشرية المحدودة سو إن من ينظر إلى الكهرباء واللاسلكي والمصواريخ الموجهة والطائرات التي تخترق حاجز الصوت والإذاعات المرئية والمسموعة والأقمار الصناعة ورحلات الفضاء وكل وسائل الاتصال وغيرها من خوارق الصناعات والمعلومات والتكنولوجيا الحديثة ، يعلم حق العلم أن العقل البشرى مهما مهما وارتفع وتوغل في دنيا العلوم فهو عاجز قاصر لا يستطيع أن يحقق شيئا من المعرفة بغير إلهام وتعليم من العلم أن العقل البشرى المعرفة بغير إلهام وتعليم من العليم الخير عز وجلً .

ولا شبك أن افتتاج الرسالة المصدية بكلمة اقرآ يعنى التأكيد على اقتران العلم بالدين. وارتباطه بالدعوة والإعلام الإسلامي، وبيان أن العلم أساس للحقائق الكونية كلها. وأن العلم بالله أو معرفة الله سبحاته وتعالى هي رأس جميع الحقائق الكونية . إن الله يأمر بالقراءة التي هي أهم وسائل العلم وأولها، وقد كرر الأمر بالقراءة مرتين، وذكر العلم ثلاث مرات، وذكر القلم مرة في هذه السورة، ثم ذكره بعد ذلك عندما أقسم سبحانه قائلا ﴿ نَ والقلم وما يسطرون ﴾ .

والعلم فى الإسلام من وسائل تثبيت الإيمان، والعلماء هم أعرف الداس بالله وأكثرهم خشية له جل جلاله في إنما يخشى الله من عباده العلماء في وللعلماء عند الله مكانة لا يرق إليها غيرهم، فهو سبحائه يقول في شهدالله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم في ولقد أمر الله رسوله الكريم أن يلجأ إليه داعيا أن يزيده علما فقال في وقل ربَّزُدني علما في والآيات القرآنية في فضل العلم وفي الحض على التعلم وفي تقدير العلماء كثيرة.

والعلم الذي يدعو إليه الإسلام ليس قاصرا على الدين وحده، وإنما هو العلم بمعناه الواسع. والعلم الله المناسع. والله سبحانه وتعالى يدعونا إلى التأمل فى خلق السموات والأرض، وفيما سخره لذا من بحار وأنبار وجبال وسهول ووديان وأنعام وغيرها.. وهو يقول عز من قائل فرسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يفكرون ﴾.

و هكذا اقدرت الإسلام بالعلم منذ تلك الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن الكريم على محمد رسول الله علية.

والثابت أن العرب كانوا في جاهليتهم أميين أى بلاكتاب، ولم يكن فيهم من يعرف الكتابة إلا قلة قليلة لعلها كانت ممن تسلسل من ولد إسحاعيل عليه السلام. وقد وردت في الكتابة إلا قلة قليلة الأمي والأميين ووصف الرسول عليه الصلاة والسلام بالنبي الأمي، وقد وردت في صورة مكية ومدنية. فقى سورة الأعراف ٥٦٦ قال تعالى إلله المنابق يجبونه مكتوبا عندهم في السوراة والإنجيل في وفي البقرة الآية ٧٧ قوله عز شأته في ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمائي وإن هم إلا يظنون في وفي آل عمران الآية ٧٥ قال جلاله في . . ذلك بأنهم علينا في الأمين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون في .

ولعل هذا ما جعل بعض العلماء يقولون إن الأميين من لا كتاب لهم من الناس . ومن هؤلاء العلماء الطبرى الذى فسر الآية ١٩ من آل عمران ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى نله ومن اتبعنى وقل للذي أو توا الكتاب و الأميين أأسلمتم فقد اهتدوا وإن تولوا فإتما عليك البلاغ لإاله بصير بالعباد ﴾ بأن قال و المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى يقول يا محمد، قل للذين أو توا الكتاب من البود والنصارى والأميين الذين لا كتاب شم من مشركي العرب أأسلمته ٤ .

وهناك تفسير آخر يقول ستى (بالأمن) لأنه من أمة العرب التى لم تكن تكتب أو
تقرأ . وقد بعثه الله بالحق رسولا وهو لا يعرف القرآءة ولا الكتابة وهذه إحدى المعجزات ،
لأنه يقلق تلا القرآن على قومه كما أنزل عليه فلم يغير و أم يبدل لفظاأو حرفا و في ذلك يقول
العلى القدير هو ما كنت تتكو من قبله من كتاب في الضمير في قبله عائد إلى
وقال القرطبي : هو وما كنت تتلو من قبله من كتاب في الضمير في قبله عائد إلى
الكتاب أى القرآن المراك على عمد من الله من كتاب في الضمير في قبله عائد إلى
إلى أهل الكتاب _ بل أنزلنه إليك في غاية الإعجاز والتضمين للغيوب وغير ذلك . فلو
كنب عن يقرأ كتابا ويخط حروفا لارتاب المطلون أى أهل الكتاب _ وكان في في المناب عبدون في كتبهم أن عمدا
و كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن عمدا على لا يخط ولا يقرأ . فنزلت هذه
و كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن عمدا على لا يخط ولا يقرأ . فنزلت هذه
الآية ي . ولا شك أن نزو له دليل على نبوة عمد على لقريش لأنه لا يقرأ ولا يكتب ولا
يخالط أهل الكتاب ، ولم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب ، ومع ذلك فقد جاءهم بأعبار
الأنبياء والأم والأحداث التى وقعت في الأيام الموغلة في جوف الزمن .

وقد تعرض الجاحظ لهذا الموضوع أيضا فقال مقالا عن كلام شيخ من البصريين ه إن الله إنما جعل نيه أميا لا يكتب ولا يحسب ولا ينسب، ولا يقرض الشعر ولا يتكلف الخطابة ولا يتعمد البلاغة، لينفرد سبحانه بتعليمه الفقه وأحكام الشريعة و بقصره على معرفة مصالح الدين، دون ما تتباهى به العرب من قيافة الأثر والبشر ومن العلم بالأنواء و بالخيل وبالأنساب وبالأخبار وتكلف قول الأشعار، ليكون إذا جاء بالقرآن الحكم و تكلم بالكلام العجيب كان ذلك أدل على أنه من الله.

٥ وزعم أن الله تعالى لم يمنعه معرفة آدابهم وأخيارهم وأشعارهم ليكون أتقص حظا من الحاسب الكاتب ، ومن الخطب الناسب ، ولكن ليجعله نيها ، وليتولى من تعليمه ما هو أزكى وأنمى . فإنما نقصه ليزيده ، ومنعه ليعطيه ، وحجبه عن القبائل ليجلّى له الكثير ؟ .

وقد رد الجاحظ على كلامه هذا يقوله 3 وقد أخطأ هذا الشيخ وإن كان لم يرد إلا الخير وقال بمبلغ علمه ومتهى رأيه ولو زعم أن أداة الحساب والكفاية وأداة قرض السمر ورواية جميع النسب قد كانت فيه تامة وافرة و مجتمعة ولكنه على صرف عن الشمر ورواية جميع النسب قد كانت فيه تامة وأذكى بالدوة وأشبه بمرتبة الرسالة، وكان إذا احتاج إلى الحطابة كان أخطب الحطاباء، وأذا احتاج إلى الحطابة كان أخطب الحطاباء وأنسب من كل ناسب، وأقوف من كل قائف، ولو كان في ظاهره والمعروف من شأنه أنه كاتب عاسب، ومتفرس ناسب. ثم أعطاه الله برهانات الرسالة وعلامات الدوق. وما كان ذلك بمانع من وجوب تصديقه ولزوم طاعته والانقياد لأمره، على سخطهم ورضاهم، ومكروههم وعبوبهم. ولكنه أراد ألا يكون متعلقا عما دعى إليه حتى لا يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أعف في المتونة وأسهل في يكون دون المعرفة بحقه حجاب وإن رق، وليكون ذلك أعف في المتونة وأسهل في الحيدة. فلذلك صرف نفسه عن الأمور التي كانوا يتكلفونها ويتنافسون عليها ه.

وحديث الجاحظ هذا يذكر نا بالآية الكريمة فو وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن كريم في يس ٢٠ . كما يذكر نا بحادثين وقعنا لرسول الله عليه وهو فتى يرعى الغنم ، وكان مع زميل له ، فحدثته نفسه يوما أن يلهو كما يلهو الفتيان . فأفضى إلى زميله بذلك ذات مساء وطلب منه أن يقوم على حراسة أغنامه لكنه ماأن بلغ أعالى مكة حتى استرعى انتباهه حفل زواج ، فوقف عنده ثم ما لبث أن غلبه النوم . و نول مكة ليلة أخرى لهذه الغاية فامتلأت آذاته بأصوات موسيقية عذبة كأثما هي موسيقى السماء ، فبجلس يستمع ثم غلبه النوم حتى الصباح . وماذا عسى أن يكون الشعر والنير والموسيقى وكل المغريات بالنسبة لرجل أعده الله سيحانه وتعالى ليكون الإعلامي الأمثل ، والداعية الأول إلى دينه الحق؟ نعم لقد عصمه الله وصرف اهتمامه إلى ما هو أهم وأعظم . . إلى الرسالة التي أعده لحملها والقهام بتهاتهما .

وإذا كان القرآن الكريم قد بدأ بلفظ اقرآ ، فإن ذلك لدليل على حكمة بالفة الأهمية تبدف إلى حض الناس على التعلم والتثقف و الاستنارة . فالقراءة تفتح أمام الجاهل صفعحات جديدة للحياة الكريمة و تأخذ بيده إلى الحقائق . . بل تصل به إلى جوهر القيم و ضععه على المسار اتعالى في كتابه الحكيم هو جانب من جوانب إلا عجاز الإعلامي في القرارة الحكيم هو جانب من جوانب الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم ، ذلك الذي يمدد معالم نظرية إعلامية متكاملة تنضمن علم النبوة أو علم الرسائل الإلابية ، كا تتضمن علم المعجزات و تشبيد المجتمع الإسلامي على الصورة التي يريدها الله . فإنها تتضمن عددا من العناصر الاتصالية المتكاملة المتصلة الحلقات اعتمادا على نظرية الوحي ، حيث يوحي إلى الرسول عليه من عند الله فيقوم الرسول بالبليغ والإعلام . والرسالة القرآنية تعتمد على أسس وضعها الله سبحانه وتعالى للتأثير في نفوس الجماهير الذين يتلقون هذه الرسالة .

فالعنصر الأول وهو الوحى أشار إليه القرآن الكريم في أكثر من موضع، فقال تعالى في وأوجنا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويمقوب والأسباط ؟ النساء ١٦٣ . وقال سبحانه في أكان للناس عجبا أن أوجنا إلى رجل منهم أن أنقر الناس مج يونس ٢ . وقال عز من قاتل في نمين علياء أحسن القصص بما أوجينا إليك هذا القرآن في يوسف ٣ . وقال جل جلائه في وأوجينا إليه لتنبغهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون في يوسف ١٥ . في كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أم لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك وهما يدين يوسف يكان عمران به المرحم في الرعد ٢٠ . في والذي أوجينا إليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما ين يديه في فاطر ٣١ . في ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك في آل عمران ٤٤ . في قال أنا أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد في الكهف من ١١ . في والما تنتر تك مسلمون في الأنبياء ١٨ . في واتبع ما يوحي إليك من ربك إن الله كان بما تعلمون خيرا في الأحواب ٢ . في أن يوحي إلى إنما أنا تغير مبين في ص ٧٠ . في قل إنما أنا بشر مثلكم يوحي إلى أنما إله كم إله واحد في النجم يوحي إلى النجم إلى واحد في النجم يوحي إلى النجم يوحي إلى المناجم يوحي إلى أنما إلهكم إله واحد كي قصلت ٢ . في إن اتنج إلا ما يوحي إلى بالنجم ٤ . وان عوحي في النجم ٤ . وانا حقاف ٩ . في إن هو يوحي إلى النجم ٤ . وانا جم ٤ . وانا حم ٤ . وانا حم ٤ . وانا موحي إلى الما أنا إلا نغير مين كي النجم ٤ . وانا حم يوحي كي النجم ٤ .

وكل هذه الآيات الكريمة تؤكد أن عنصر الوحي في النظرية القرآنية للإعلام هو العنصر المعجز ، لأن ما يوحي به الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يأتي به بشر ، ومن هنا كانت معجزة محمد عليه الصلاة والسلام تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين . . فإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم كانت معجزاتهم معجزات حسية تراها المعين معجزة عقلية متعد عليه الصلاة والسلام كانت معجزة عقلية تعتمد علي التأمل و مخاطبة المقل و تش سبحانه وتعالى في ذلك حكمة معجزة عقيد عمله على في ذلك حكمة الحسية الملموسة ، في حين أنها في عهد محمد الحسية الملموسة ، في حين أنها في عهد محمد المحتفظة كانت قد بلغت درجة من الرق المقلى واللغوى تجملها في حاجة إلى معجزة عقلية و بلاغية تبهر عقولم ، وتكسمف شمس بلاغتهم . وقد أرسل الله إليهم القرآن الكريم معجزة المعجزات في اللغة والعمل متخديا الأجيال كلها أن يأتوا بمثله في قل في اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا في الإسراء ٨٧

اهران لا يانون بننه ولو على بسلم باسل على الله ومن القرآن الكريم بجده الله سبحانه على خلقه، وحجة النبي فى رسالته، ومرجع الشريعة المحكم فى بيانه، والفيصل عند الاختلاف، والمنبج السلم عندما تلتوى الطريق، والسراج المنير عندما يطبق الظلام.

سعدت الترمذى بسنده عن على بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال و سمعت رسول الله عليه يقول (ستكون فنن كقطع الليل المظلم) قلت و يارسول الله وما الخرج منها ؟ و قال (كتاب الله تبارك و تعالى .. فيه نباً من قبلكم وخير ما بعد كم وحكم ما يبتكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابنهى الهدى في غيره أضله الله . هو حيل الله المين ، و نوره المين ، و الذكر الحكيم ، و الصراط المستقم و هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه الماماء ، ولا يملم المؤلف عبدائيه . وهو الذي منه الماماء ، ولا يملم عبدائيه . وهو الذي منه الماماء ، ولا يملم الماماء ، ولا يخلق على كارة الرد ، ولا تتفضى عبدائيه . وهو الذي سبع علم علمه مسيق ، ومن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقم) ٤ .

يوس من معنى هذا الحديث الشريف روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال وفي معنى هذا الحديث الشريف روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال و إن هذا القرآن هو حبل الله والنور المبين والشفاء النافع، عصمة من تمسك به ونجاة من اتبعه لا يعوج فيقوم، ولا يزيغ فيستوعب، ولا تنقض عجائبه . فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ؟ .

ومن الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم نزو له منجما على مدى السنوات الثلاثة والمشرين التي هي مدة الرسالة المحمدية . فقد نزل على فترات غير محددة الأوقات ، ولم وينا دفعة واحدة كا نزل الأراور على وسي عليه السلام ، وكما نزل الزابور على داود عليه السلام ، وكما نزل الزابور على داود عليه السلام ، وتما نقل القريشيون عن السبب في هذا فقال تعالى فو وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا في المقرقان ٣٦/ وهذا الرد الإلهي قد تضمن ثلاث إجابات (١) تفسر السبب في نزوله منجما . أولها تئيت قؤاد الرسول بموالاة الوحى بالقرآن ، فإن موالاته فيها أنس للنبي عليه الصلاة والسلام وتثبت لعزيمته وتأييد مستمر له ، فيقوم بحق المحوة بالجهاد في سبلها . وإذا كان المرء يستأنس بوليه إذا داوم الاتصال به ، فكيف لا يستأنس رسول الله بلقاء الروح الأمن الذي يجيئه بكلام رب العاملين في موالاة مستمرة ؟

وثانيها أن تثبيت الفؤاد بنزول القرآن يكون بحفظ ما ينزل عليه جزءا جزءا ، ذلك أن هذا القرآن نزل ليحفظ في الأجيال كلها جيلا بعد جيل، وما يحفظ في الصدور لا يعتريه التغيير ولا التبديل، وما يكتب في السطور قد يعتريـه المحو والتحريف

ولأن الله تعالى كتب للقرآن أن يحفظ .. كان رسول الله ﷺ يحفظ جزءا جزءا، وكان حريصا على أن يحفظ حذءا وكان حريصا على أن يحفظه عند نزوله فكان يردد ما يتلوه عليه جبريل ويتعجل حفظه . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه في ذلك ﴿ لا تحركِ به لسائك لنعجل به ه إن علينا جمعه وقرآنه ه فإذا فرأناه فاتبع قرآنه ه ثم إنا علينا بيانه ﴾ القيامة ١٦ سـ ١٩ .

ونرى من هذا النص حرص النبي عَلَيْكُ على أن يحفظ ما يوحى إليه . . فيحرك به لسانه نستعجلا الحفظ، فينهه الله تعالى إلى أنه سبحانه يتولى جمعه والقراءة له ، وأنه مبينه وحافظه كما قال تعالى في إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون كه الحجر ٩ .

وثالثها ترتيل القرآن بصليم تلاوته، وأن هذا النص يستفاد منه أن تلاوة القرآن وطريقة ترتيله هي من تعليم الله تعالى . إذ أنه سبحانه وتعالى ينسب الترتيل إليه تعالت قدرته وسمت كلماته وعظم بيانه ، فنحن بقراءتناو ترتيلنا إن أحكمناه إنما نتيع ما علم الله تعالى نبيه من ترتيل محكم جاء به التنزيل ، وأمر به النبي عليه في قوله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ المزمل ٤ .

 ⁽١) عمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى للقرآن ، القاهرة ، دار الفكر العربي ١٩٧٠ ، ص ٢٦ وما
 بعدها .

وما كان تعليم هذا الترتيل المنزل من عند الله تعالى ليتوافر إذا لم ينزل القرآن منجما . فلو أنه نزل جملة واحدة ما تمكن النبي عليه السلام من تعليمه لقومه مرتلا وهم حملته إلى الأجيال من بعده .

وهناك سبب آخريراه الشيخ عمد أبو زهرة لتزول القرآن منجما نلمسه من حال المرب ومن شقونهم، ذلك أنهم كانوا أمة أمية والكتابة فهم ليست راتجة ، بل يندر فهم من يعرفها ، وأندر منه من يتفتها . فما كان في استطاعتهم أن يكتبوا القرآن كله إذا نزل جملة واحدة ، إذ يكون يسوره و آياته عسوا علهم أن يكتبوه ، وإن كتبوه لا يعدموا الخطأ والتصحيف والتحريف .

ونحن نرى أن التفسير الإعلامي لفائدة إنزال القرآن منجما ، أنه كان ينزل لمناسبات وأحداث ، نيكون في هذه الأحداث بعض البيان لأحكامه ، والمين الأول هو النبي في الله على ﴿ وأنزلنا الذكر لتين للناس ما أنزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ النحل ٤٤

وقد اهتمت الآيات المكية ... وهى التى نزلت قبل هجرة رسول الله عَلَيْكُ إلى المدينة ... المدينة ... ودعت إلى الله عَلَيْكُ إلى الله عَلَيْكُ إلى الله المدينة ، وركزت على عبادة التوحيد باعتبارها العبادة الحقة ، ودعت إلى الله الواحد الأحد الذى لا شريك له ولا ولد . ثم بينت ضلال الشرك وإثم الكفر وما حاق بالمشركين والكافرين فى مختلف العصور من عناب أليم مرير . وروت قصص الأنبياء وأخيار الأم الغابرة ، ثم حذرت من المحرمات .

أما الآيات المدنية، فيمكن القول أنها في مجموعها تشريع شامل كامل لم يترك صغيرة ولا كبيرة للدو لة الإسلامية المثالية كم يريدها الله سبحانه و تعالى للبشر .. فقد نظمت فيها العلاقات بين الناس ، وشرعت لهم النظم والقوانين التي تضمن لهم الحياة الكريمة المتعاونة ، وسنّت الأحكام الفاصلة بين الحقوق داخل المولة . كما وضعت أسس المعالقات اللولية ونظم الحرب ، وروعيت فيها حقوق الإنسان حتى المعدو في ساحة القتال و بعده . وأحسن مثل على هذا ما جايت به الآيات الكريمة التي تقول في إن الله يأمر بالعمل و الإحسان وليتاء ذي القرني وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم يأمر بالعمل و الإحسان وليتاء ذي القرني وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم مدنكر ون و وقوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ، ولا تكونوا كالتي نقضت غرفا من بعد قوة أنكانا تحذون أيمانكم و القيامة ما كنيم فيه تختلفون فيه النحل ٥٠ هـ ٩٠ ع

ولقد أحصى القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن الكريم السور المدنية ، فقال عن تتادة د نول بالمدينة من القرآن .. البقرة وآل عمران والنساء والمائلة والأنفال و براءة والرعد والنحر والحجرات والرحمن والحديد والنحر والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحمير والمحتحدة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والطلاق ويا أيها النبي للم تحرم إلى رأس المغر وإذا زلزلت وإذا جاء نصر الله ، أما بقية القرآن فقد نزلت سوره عكم على مرحلتي السر والعلن .

ولا ندري لماذا جعل سورة النحل من السور المدنية مع أنها نزلت في مكة كما تقول المصاحف التي بين أيدينا ؟ والمتبع لأسباب نزول الآيات القرآنية يرى أن كلا منها قد نزل لسبب قوى كان يحترنزول الآية بذاتها ، من ذلك مثلا قصة المجادلة خولة بنت ثعلب الخزرجية وزوجها أوس بن الصامت التي نزلت الآيات فيها تقول ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاور كما إن الله سميع بصير « الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسًا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير • فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتاسًا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب ألم ﴾ المجادلة ١ ــ ٤ وكان أوس قد حرم زوجته خولة عليه كما حرمت عليه أمه إذ قال لها ٥ أنت عليّ كظهر أمي ٤ . وكان الظهار من أشد طلاق الجاهلية لأنه في التحريم أوكد ، وفي قطع الصلة أبين . فأسقط في يد حولة و حارت في أمرها ، وعز عليها أن تنفصل عن أوس وهو زوجها الحنيب إليها وأبو أولادها، فذهبت إلى الرسول عليه تستنجد به ليجد لها مخرجا. وانتظر الرسول أن ينزل عليه الوحي يشيء في أمرها ليقضي لها ولكن الوحي تأخر عليه ، فَأَخَالَت خولة تلح وهي تبكي وحار الرسول الكريم ماذا يفعل أو يقول لها وهو لم يتلق وحيا بشأنها ، فقال لها (ما عندي في أمرك شيء) . فعادت خولة إلى الرسول شاكية متوسلة راجية أن يرحم حالها ، ففتحت لتوسلاتها أبواب السماء وسمع الله شكاتها فغشي الرسول ما كان يغشاه عند نزول الوحى ، ثم نطق لسانه بتلك الآيات الكريمة . و هكذا حلت المشكلة وجعل الله للمسلمين وسيلة يتحللون بها من تلك العادة الجاهلية الذميمة .

الغصيسال كحايس

محمد عليه الصلاة والسلام : الداعية والإعلامي الأمثل

والداعية الأول والأمثل في الإسلام هو محمد بن عبد الله مي الذي اختاره الله وأدبه وأهده الله عنائل الذي اختاره الله وأدبه وأهده الإعداد الهمالح اللازم للدعوة .. فكان مثلا في الأمانة والشجاعة والصدق و كريم الأخلاق. و يكفى أن الله سبحانه و تعالى وصفه في القرآن الكريم بقوله ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ . لقد كان خلقه القرآن، والله تعالى يقول ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ .

ولما كان رمول الله على قد تخلق بالقرآن ، فإن فعاله كانت تفسيرا له . ولما كان قد انقعل بالقرآن فإد الما كان تديرا عنه . وعلى المسلمين جميعا خاصة رجال الإعلام والدعاة والمستغلبن بالانصال الجماهيرى في اللول الإسلامية كافة ، أن ينسجوا على منواله وأن يسيروا على نهجه قدر استطاعتهم ، وأن يحلولوا الوصول إلى القمة الشامخة السامقة التي تربع عليها .

وأول ما اشتهر به رسول الله عليه هو الصدق والأمانة ؛ حتى لقد سمى بالصادق الأمين .. وحتى إن أعلماء من المشركين كانوا يشهدون له بالإجماع بهذه الصفات . ويذكر أصحاب الأخيار أن أبا سفيان الذي كان من زعماء الشرك في الوقت الذي جرى فيه حديث بينه وبين ه هرقل ٤ ملك الروم عن التي عليه ، وقد سأله عن نسبه الكريم قال ه إنه من أوسطنا نسبا ٤ . ولما سأله عن أخلاقه عليه قال ه لولا أنى أخشى أن يحفظ عنى كذبة في العرب لكذبت ، ولكنني أقولها ناصعة إنه الصادق الأمين في القول وفي النعار ٤ .

وى الما اختلفت قريش ووصل الخلاف بهم إلى حد التديد بسفك الدماء ، حكموا ينهم أول داخل من باب المسجد . فلما دخل محمد بن عبد الله صاحوا جميما و هذا هو الصادق الأمين ، وقد استطاع بعقله وحكمته وسلاد رأيه أن يفض النواع . و كثيرا ما احتكم إليه المتخاصمون من العرب قبل بعثه عليه وقد روى له و الربيح

و كثيرا ما احتدم إليه المتخاصمون من العرب فيل بعث ﷺ وقد روى فه الربيعة ابن خيثم » كان يتحاكم له رسول الله في الجاهلية قبل البعث ، وفلك لما عرف به من الصدق والأمانة و حبه للمدل وكونه لا ينطق إلا بالحق . ولقد بلغ من إحساسه ﷺ بالعدل و الأمانة أنه قام في مرض الموت وقد بلغ به الإعياء أشده وقال (أيها الناس من كنت جللت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتد منه ، ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضى فليقتد منه ، ومن أخلت منه مالا فليأخذه منى ولا يخشى الشحناء فإنها ليست من شأكى . ألا وإن أحبكم لى من أخذ منى حقاإن كان له ، أو حللنى فلقيت ربى وأنا طيب النفس .

ولقد كان عليه الصلاة والسلام ينهى عن الظلم ويحض على العدل. وكثيرا ما نبه أصحابه والمسلمين إلى العدل وقال (انقوا دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب). وقال (من مشى مع ظالم ققد سعى إلى النار). وقال أيضا (لا يأخذ الله تعالى العامة بظلم الحاصة إلا إذا رأوا ولم يتكروا). وقال كذلك (والله لتأمرن بالمعروف ولتبون عن المنكر و لتأخذت على يد الظالم ولتأطرن على الحق أطرا ، أو ليضرين الله قلوب بعضكم بعض ثم تدعون فلا يستجاب لكم).

ويقول القاطى عاض في فعضل عقل الرسول عليه و آثاره في الدعوة الإسلامية وإنما وفور عقله وذكاء لمه وقوق حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شائله فلا مرية أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ، ومن تأمل تدييره أمّر بواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة العامة والخاصة مع عجب شائله و بديع سيره ، فضلا هما أفاضه من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب منه . مم يحتر في رجحان عقله و تقوب فهمه لأول بدية ، وهذا ما لا يحتاج لي تقريره لنحققه . ولقد قال و يحد في جميعها أن الله تعالى عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا . وفي رواية أعرى فوجدت في جميعها أن الله أم يعط جميع الناس من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جدب عقله عليه الله عقل من يين رمال الدنيا إلى انقضائها من العقل في جدب عقله عليه المعلى من ين رمال الدنيا إلى انقضائها من العقل في

أما بلاغته على النواحي أيضا . وقد وصف الجاحظ بلاغته فقال الكلام الذي قلّ مثلا يحتذى في هذه النواحي أيضا . وقد وصف الجاحظ بلاغته فقال الكلام الذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه ، وجل عن الصفة وزه عن التكلف . استعمل المبسوط في موضع البسط ، والمقصور في موضع القصر ، وهجر الغريب الوحثي ، و إخب عن المجين السوق ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، ولم يتكلم إلا بكلام حف بالمصمة وشد بالتأييد ويسر بالنوفيق . وهذا الكلام الذي ألقي الله تعالى المجبة علمه ، وغشاه بالقبول ، وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين حسن الإلهام وقلة عدد الكلام . وهو مع استغنائه عن إعادته ، وقلة حاجة السامع إلى معاودته ، لم تسقط له كلمة ، ولا زلت له

قدم ، ولا بارت له حجة . ولم يبرز له خصبه ولا أفحمه خطيب ، بل يبدأ الخطب الطوال بالكلام القصير ، ولا يلتمس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الحصم ، ولا يحتج إلا بالصدق ، ولا يطلب الفج إلا بالحق ، ولا يستمين بالخلابة ولا يستعمل المواربة ، ولا يهمز ولا يلمز ، ولا يبطئ ولا يعجل ، ولا يسهب ولا يحصر ، ثم لا يسمع الناس بكلام قط أثم نفعا ، ولا أصدق لفظا ، ولا أعدل وزنا ، ولا أجمل مذهبا ، ولا أمين عن فحواه من أحسن موقعا ، ولا أسهل مخرجا ، ولا أفصح في معناه ، ولا أبين عن فحواه من كلامه عليها . .

وقالت عائشة رضى الله عنها فى وصف كلامه على الله المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة المنافقة والمنافقة المنافقة المنافق

ومن الذين وصفوه وصفا دقيقا صادقا ٤ أم معبد ٤ فقد قالت تُحدث زوجها عنه
٤ مر بنار جل مبارك ، ما مسح ضرع الشاة الجاف بيده حتى تفاجت و درت وأشترت ،
٤ مر بنار جل مبارك ، ما مسح ضرع الشاة الجاف بيده حتى تفاجت و درت وأشترت ،
قاتيت له بالإناء فحلب فيه فجّه حتى غلبه الثال ، وقد شربت حتى رويت فسقى صاحبيه حتى رويا و شرب هو آخرهم ٥ . وقالت في وصف النبي ٤ هو رجل ظاهر الوضاءة ، منابح الوجه ، حسن الخلق ، وسم قسم ، في عينه دعج ، وفي صوته صحل ،
يس بالطويل الممفط و لا بالقصير المتردد و لا بالجعد القطط و لا السبط ، شديد سواد الشعر ، في عنفه سطع وفي لحيته كتافة . إذا مشى تقلع كأنما يمشى في صبب ، وإذا الشعر ، في عنفه سطع وفي لحيته كتافة . إذا مشى تقلع كأنما يمشى في صبب ، وإذا خمر ، منابع فصل لا نشر و لا هلو ،

وإذا كانت نظريات الإعلام الجديثة تؤكد على ضرورة وجود الثقة كاملة بين المصدر والمتلقى بل إن النتائج التي وصل إليها الباحثون أحيرا في جامعة بيسل Yale تشير إلى أن أهـــم مكونـــات تصديــق المصدر تعلــخص ف ثلائــة أشيــاء هى: النية والخيرة والثقة .. فإن هذه الصفات كانت من أسس الدعوة المحمدية قبل هذا بأربعة عشر قرنا من الزمان . فقد كان عَلِيَّة على خلق عظيم حبب الناس فيه وجعلهم ينقد ن به ثقة كاملة .

وقد قال عن نفسه (إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق) . وقد وجهه الله سبحانه وتعالى إلى أسلوب الدعوة القائمة على الحلق العظيم فى قرآنه الحكيم ﴿ فَهَا رَحَمَّة مِنَ اللهِ لئت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ .

ولقد كان العفو من الصفات التي جمعت القلوب على حب رسول الله على ا وألفت بين النفوس وجعلت الناس يحبونه إلى درجة جعلتهم على استعداد لفدائمه بأرواحهم . ولم يخرج على هذا الإجماع إلا من ركب الشيطان رأسه فطفي وبنى واستكبر ، وآثر الضلال على الهدى .

يقول هند بن هالة ريب رسول الله عليه وصفه و وإن من أول صفات محمد بن عبد الله عليه أنه يجون لسانه فلا يظهره إلا لخير يرتميه .. فلا يشجع على نفرة ، بل إنه لا ينطق إلا فيما يعنى اللين يخاطبهم ويفيدهم ويكون فيه تأليف لقلوبهم ، وتقريب لنفوسهم ، وتأنيس غريبهم ، ويأمر بإعطاء ذى الحق، ولا يتكلم في مراء ، ولا يذم أحلا سولا يكثر في قول خشية سقط اللسان . لا يعبب الحرمات ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يشبع نهمة القول ، فإذا تكلم هو كان كلامه فصلا ، وكان قوله حكما » ومن أخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام التي كان لها أثرها الكبير في الدعوة الإسلامية ، أنه كان يأتلف مع أصحابه ، ويوزع عبته ينهم . وكان متواضعا ، فإذا دخل على جماعة يجلس حيث ينتهى المجلس ، وقد حث أصحابه على ذلك . وإن أرشد دخل على جماعة يجلس حيث ينتهى المجلس ، وقد حث أصحابه على ذلك . وإن أرشد ففي رفق يكتفى معه بالإشارة ، فإن لم يكف كان التيه في تعميم . فإذا رأى بعض الناس يميء فلا يواجهه بالإساءة ، بل يقول ما بال أقوام بفعلون كذا وكذا ؟ ومن ذلك ما قاله يوم خوج على الناس بعد قصة الإفل فقال رأيها الناس .. ما بال رجال يؤذونني في أهل ويقولون عليهم غير الحق . والقم ما علمت منهم إلا تحيوا ، ما بال رجال يؤذونني في أهل ويقولون عليهم غير الحق . والقم على يوقى إلا وهو مهى ؟ وقد ذكروا رجلا ما علمت منه إلا خيرا وما يدخل بينا من يوقى إلا وهو مهى ؟ ولم يكن عليه ينا من المول حياته عن اللم إلا وشعوله الم يقتلم بالكناية .

روى عروة بن الزبير عن عالته أم المؤمنين عائشة أنها قالت في أعلاق محمد ما الله من المؤلفة عمد ما الله عليه المؤلفة و ما ضرب رسول الله عليه عنده خادما قط ولا امرأة ، ولا ضرب يبده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله . وما خير بين شيئين إلا كان أحبهما إليه أيسر هما إلا أن يكون إثما ، ولا انتقم لنفسه من شيء يؤتى إليه حتى تتبك حرمات الله فينتقم لله عز وجل ه . وقد وصفه أبو هريرة رضى الله عنه فقال 8 كان يقبل جميعا ويدبر جميعا . بأبي وأمى ...

و من هذا الوصف يتضم لنا أنه على كان يحسن استقبال الناس فيقبل على الواحد منهم إقبالا كاملا ، وإذا تركه فإنه لا يتركه إلا بعد أن يتم حديثه وينتهى راضيا مستريح النفس ، وأنه عليه في لم يكن ينطق فحشا أو يستعمل ألفاظا ناية ، أو يصخب أو يفاضب أو كانت بالراحق الله المناسبة والمناسبة المناسبة الم

وروَّى أبو أمامة رضى الله عنه قال 3 خرج علينا رسول الله تَلَيُّكُم مَتَوَكَنا. على عصما فقمنا له ، فقال (لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضا) . وقال (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد) .

وفى حديث لعمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وال (لا تطروفى كما أطرت النصارى ابن مريم .. إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله) . وقال ﷺ (إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد) .

وقد أجمع الرواة على أنه ع أنه م أنه منه ته وكانت له هينة ترهب الكفار والمشركين وتمالة تويدهم إيمانا به الكفار والمشركين وتملأ قلوبهم رعبا وهلما .. وهمى للمؤمنين رحمة تزيدهم إيمانا به وحبا له .

ومما يرويه ابن إسحق أن رجلا من أراش قدم إلى مكة بإبل له ، فاشتراها منه أبو الحكم عمرو بن هشام 3 أبو جهل ٤ ثم ماطله في الدفع. فأقبل الأراشي حتى وقف بدار الندوة ورسول الله علي بناحية من المسجد جالس، ققال الأراشي و يامعشر قريش من رجل يؤديني على أبي الحكم ، فإني رجل غريب ابن سبيل وقد غلبني على حقى ؟ ؛ فقال له أهل ذلك المجلس و أترى ذلك الرجل الجالس؟ وأشاروا إلى رسول الله و هم يهزعون به لما يعلمون بينه وبين أبي جهل من العداوة ٥ اذهب إليه فإنه يؤديك عليه ٤ . فأقبل الأراشي على رسول الله وروى له القصة ، فقام معه رسول الله عَلَيْكُ . مُلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم ٥ اتبعه فانظر ماذا يصنع ٥ . و خرج رسول الله حتى جاء بيت عمرو ابن هشام فضرب عليه بابه ، فقال عمرو بن هشام ، من هذا ؟ ، قال الرسول (محمد . . فاخرج إليّ) . فخرج إليه وما في وجهه من رائحة قد انتقع لونه . فقال له الرسول (أعط هذا الرجل حقه) . قال عمرو ؛ نعم . . لا تبرح حتى أعطيه الذي له ، . فدخل وعاد بحق الرجل فدفعه إليه ، ثم انصرف رسول الله وقال للأراشي (البحق بشأنك) . فأقبل الأراشي حتى وقف على الندوة وقال ﴿ جزاهُ الله خيرا فقد و الله أُعذ لي حقم ﴾ . و جاء من بعده الرجل الذي بعثوا به معه فسألوه عما رأى فقال 3 عجبا من العجب .. والله ما هو إلا أن ضرب عليه بابه فخرج إليه ومامعه روحه » . وروى لهم ما حدث ، ثم لم يلبث أن جاء عمرو بن هشام فقالوا له « ويلك .. مالك؟ واللات ما رأينا مثل ما صنعت قط ، قال « ويحكم ! واللات ما هو إلا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملفت رعباء ثم خرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل مارأيت مثل هامته ولا قصارته ولا أنيابه لفحل قط .. واللات لو أبيت لأكلني ، .

و تروى لأنى جهل قصة مماثلة ، فقد حاول يوما أن يضرب رسول الله بحجر ضخم أعده لذلك عندما يسجد للصلاة ، ولكنه ما كاد أن يرفع الحجر ويهم بإلقائه فوق رأس رسول الله عليه حتى انتابه الفزع وألقى بالحجر بعيدا ، ثم أسرع إلى أصحابه وهو يرتعد . فسألوه ما به فروى لهم القصة وقال و وما إن همت بإلقاء الحجر حتى وجدت يبنى و يون محمد فحلا بشع الصورة مكشرا عن أنيابه يريد أن ياتهمنى ، فنجوت بنفسى . 3 .

ومن الأمور التي تؤكد ما كان لرسول الله ﷺ من هيبة ومهابة بين أصحابه وصف الواصفين لمجلسه، فقد أجمعوا على عظيم مهابته وشدة وقاره وصمته وقالوا و إن مجلسه كان يحفه الوقار، لا يتكلم فيه أحد إلا إذا أذن له الرسول في القول، وإذا صمت عليه السلام صمتوا جميعا في هدوء واطمئنان . ولهذا عجب عمر بن الخطاب رضى الله عنه أشد العجب عندما دخل يوما إلى رسول الله فوجد بعض النسوة يتسابقن فى سؤاله ويتصابحن عليه. وما كذن يربن عمرا حتى سكتن جميعا . فابتسم رسول الله كلي الله شنك يارسول الله . ما الذى أضحك الله ؟ و قفال عليه الصلاة والسلام (هؤلاء النسوة كن يتصابحن على ، فلما رأينك سكتن) . فقال عمر و أى عدوات أنفسهن ، أتبنتى ولا يتين رسول الله ؟ ٥ . فقالت إحداهن و ولكنك أفظ وأغلظ ؟ . فأسكتها الرسول وقال نافها الغلظة عن صاحبه (لا . . إن الشيطان لا يسير في عمر) .

ويروى عمرو بن العاص أن السي عليه كان يطوف بالبيت والملأ من قريش جالسون في فناته ، فكلما مر النبي عليه عنوا بالقول فيبدو ذلك في وجهه . وكرروا ذلك سبعا حتى أتم الطواف ، ثم التفت إليهم وقال لهم في قوة المؤمن وهيته (يامعشر قريش شاهت الوجوه ! وأرغم الله هذه المعاطى ! لقد جئتكم بالذبح). أو كما قال عليه الصلاة والسلام . فما كان منهم أحد إلا كان يقابله بأحسن القول ويقول و اذهب أبا القاسم مف وا ، ما علمنا غليك شرا قط .

وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال 1 دخلت السوق مع النبي عليه فاشترى سراويل، وقال للوزان (زن وأرجع) . فوثب التاجر إلى يد النبي يقبلها، فجذب يده وقال (هذا ما يفعله الأعاجم بملوكهم ولست بملك، إنما أنا رجل منكم) . ثم أخذ السراويل فذهبت لأحملها، فقال عليه في (صاحب الشيء أحق بشيعه أن يحمله) . مكنا كان رسول الله من حيث التواضع والوقار والهية وهو على نفس الدرجة من الرجة والشفقة والرأفة . . وقد وصفه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله في لقد

الرحمة والشفقة والرأفة .. وقد وصفه الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز بقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعتم حريص عليكم بالمؤمنين رعوف رحيم ﴾ وقال جل شأنه ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ .

سأله أصحابه يوما قاتلين ﴿ يارسول الله ، أكثرت من ذكر الرحمة .. ونحن نرحم أزواجنا وذريتنا ﴾ . فقال ﷺ (ما هذا أريد .. إنما أريد الرحمة بالكافة) .

و مما يروى عن رحمته عليه السلام أن أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا، فأعطاه ثم قال له (أأحسنت إليك ؟). قال الأعرابي و ولا أجملت ٤ . فغضب الحاضرون من المسلمين و قاموا إلى الرجل . فأشار الرسول لهم أن كفوا . . ثم قام عليه الصلاة والسلام و دخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابي وزاد شيئا، ثم قال (أأحسنت إليك ؟) قال ه نعم . . فجزاك الله تعالى من أهل و عشيرة خيرا ٤ . فقال عليه الصلاة والسلام (إنك قلت ما قلت و في نفس أصحابي من ذلك شيء . فإن أحبيت فقل ما قلت ين يدى حتى بلهب ما في

صدورهم عليك). قال 3 نعم 3. فلما كان العشى جاء فقال عَلَيْكُ لأجمحابه (إن هلنا الأعرابي قال ما قال فزوناه، فزعم أنه رضى بذلك). قال الأعرابي 3 نعم فجزاك الله تعالى من أهل وعشوة خبوا كلى ققال النبي عَلَيْكُ (مثل ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فأتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحبها: خلوا بيني وبين ناتشي فإلى أرفق بها منكم وأعلم. فتوجه لها بين يديها فأخلها من قعام الأرض فردها حتى جاءت إلى و استناخت، و شدعليها رحلها واستوى عليها. وإلى لو تركنكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار).

هذه صورة من صور الرحمة عندر سول الله على ، وهي تبين لنا كيف كان رحيما مع المسلمين رعوفا بهم حريصا على صالحهم ، وكيف كان قلوة لهم وأسوة حسنة كما قال الله سبحانه و تعالى في لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر و ذك الله كتان اكل .

وهناك صور أخرى كثيرة - تين كيف أن الرحمة عند رسول الله علي على حكمة الدعوة والإرشاد والهلمانية إلى الحق .. تقرب الشارد وتصلحه ولا تعاقبه أو تنفره . وتسوس النفاس وتحولها من الباطل إلى الحق وتضعها على الجادة بندون عنف أو عقب أو عقب أو يقدرة . وفي ذلك كمال التبليغ للدعوة الإسلامية وبيان للإعلامين والدعاة يشرح هم كيف أن الرحمة وسيلة الوصول إلى النفوس والاستثنار بالقلوب وإقباع المعقول.

و تتجل الرحمة في أرق صورها وألطف مشاهدها بين الرسول وأهل يبته .. يبنه و بين أو لتحرين المسلم أو المسلم أو للأده وأحفاده . فقد كان يسمع بكاء الطفل وهو يصلى فيخفف في صلاته ليكون بحوار الطفل من يرحم بكاءه . وقد روت لنا الكتب أن أحد السيطين كان يركب على ظهره وهو ساجد، فكان عليه السلام يطيل السجود حتى لا يزعجه . ويستمر الطفل برتحلا ظهر جده الرعف الرحم حتى يتركه .

وعندما أرسلت إليه ابنته زينب الكبرى لتقول إن ولدها يحتضى ، أرسل إليها عليه الصلاة والسلام يقول (إن فله ما أخذ وما أعطى ، وكل شيء عنده مسمى فلنحتسب لنمتر) . فأصرت زينب على أن يحضر وأقسمت عليه . فقام علي وهمه من بحضرته من الصحابة ، فلما رأى الطفل حمله ثم وضعه في حجره و نفس الطفل يخرج ، ففاضت عيناه عليه الصلاة والسلام . فقال فه سعد بن أين وقاص و ما هذا يار سول الله ؟ ، قال (هذه وضعها الله في قلوب من شاء من عباده ، ولا يرحم الله من عباده إلا الرحماء) . وكا كان علي المادة المدادة بين الآباء والأبناء ولا الرحماء). ولم ساميا رفيها . و قد بلغ من تقدير القرآن لقوة هذه . والرسالة المصدلية تأخذ وضعها ساميا رفيها . وقد بلغ من تقدير القرآن لقوة هذه

العلاقة أن قال تعالى ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهم أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماه واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ الإسراء ٢٢. ٢٥.

ولم يسمح الإسلام للابن بأن يعق أبويه حتى ولو كانا مشركين، ولكنه أباح للابن الا يطبح أبويه في الشرك دون أن يهدر حقهما عليه، وأن يصاحبهما في الدنيا معروفا. ﴿ روصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصيره وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا ﴾ لقمان 18، ه 1، ه .

وقد قدم الرسول ﷺ برّ الوالدين على الجهاد فى سبيل الله. جاء إليه رجل فقال 8 جنت أبايوك على الهجرة وتركت أبوى بيكيان ٤. فقال ﷺ (ارجع إليهمنا فأضحكهما كما أبكيتهما).

وجاءه صحابي يسأل الإذن في الجهاد، فسأله الرسول (ألك أبوان ؟). قال وجاءه صحابي يسأل الإذن في الجهاد، فسأله الرسول (ألك أبوان ؟). قال و تمم ؟ . قال (فضيما فجاهد) . وحدث الصحابي ؟ معلوية بن جاهمة السلمي ؟ قال التي رسول الله عليه معلى أسلام الله واللمار الآخيرة ؟ . قال (ويحك أحيَّة أمك ؟) . قلت ؟ نعم ؟ . قال (ارجع فيرها) . ثم أتيته من الجانب الآخرة قلت ؟ يا رسول الله . . إن كنت أردت الجهاد ممل أبتهني وجه الله واللمار الآخرة ؟ . قال (ويحك أحيَّة أمك ؟) . قلت ؟ نعم يا رسول الله . . قال (فريحك أحيَّة أمك ؟) . قلت . نقال رسول الله . . وأعدت ما قلت . . فقال رسول الله . وأعدت ما قلت . . فقال رسول الأم ويحك أحيَّة أمك؟) . قلت ؟ نعم يا

وعن أبي أمامة أن رجلا قال (يا رسول الله ما حتى الوالدين على ولدهما ؟ ، . قال (هما جنتك و نارك) .

وإذا كنا فيما تقدم قد تحدثنا عن الرحمة وصلة الرحم وعن الصلة بينهما وبين مفهوم الاتصال، فإن الإعلام الإسلامي أيحرص على أن تكون الرحمة بجميع أشكاها وصورها إحدى وسائله وأساليه في الاتصال بالجماهير. وكذلك العفو والتسامج وهما صفات رسول الله من في قد المره الله سبحانه وتعالى بهما في قوله الكريم في خد العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين كه . وفي قوله أيضا في ولا تستوى الحسنة ولا السيعة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي يبنك وينه عماوة كأنه ولى حمم كه . فقل و أنس بن مالك ع : كنت أمشى مع النبي علي وعليه برد عليد الحاشية ، فأرد كه أعراني فحبذ برد عليد الحاشية ،

السبلام فقال له و إن الله تعالى قد سمع قولى قومك لك وماردوا به عليك ، وقد أمر ملك الجبال لتأمره بما شفت فيهم » . فناداه ملك الجبال وقال « مرنى بما شفت . . إن شفت أن أطبق عليهم الأحشيين » . قال النبي , ونفسه تقطر رحمة و سماحة (اللهم اغفر لقو مي

فإنهم لا يعلمون).
وعن السمياحة والعفو عند رسول الله على تعدشا القصة التالية وقد وقعت يوم الفتح وعن السمياحة والعفو عند رسول الله على تعدشا القصة التالية وقد وقعت يوم الفتح الأبلع في المحمة وهو يقول (خلوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. مفتاح الكعبة وهو يقول (خلوها يا بني أبي طلحة تالدة خالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم. يا عيان ، إن الله سبحانه وتعالى استأمنكم على يبته فخلوها بأمانة الله عز وجل). قصة. فقد كان الرسول بكي لعيان ابتسامة ذات معنى ، فأطرق عيان في خجل وكان لذلك قصة. فقد كان الرسول بكي قد قال لعيان يوماه هو يدعوه للإسلام (لعلك سترى هذا المفتاح يوما يبدى أضمه حيث شفت). فقال له عيان يومهاه قد هلكت قريش وذلت ». فأجابه الرسول الكريم عليه أزكى الصلاة والسلام (بل عزت و عمرت يومغذ يا عيان). هكذا عفا رسول الله عن معاني وعنه في لحظة كان فيها هو المنتصر الذي يبده أن يمنع وعنح ، وكان فيها يستطيع أن يفعل بعيان ما يشاء . ولكنه رسول الله ونبيه الكريم الذي يجرع على خطة كان فيها عرصول الله ونبيه الكريم الله يجرع على خطة بكري على مكارم الأخلاق .

وفى نفس اليوم - يوم الفتح - بعد الخطبة ، التفت رسول الله م الله الدين عادوه وحله بكل الدين عادوه وحله بكل وحشية وشراسة وبللواكل ما في طاقتهم لكي يقضوا عليه وعلى دعوته ، وقال لهم (ماترون أنى فاعل بكم؟) . قالوا وهم ير تعدون و خيوا . . أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال عليه الإيان . فقال القوم وتسابقوا إلى الدخول في الإسلام ، وباتت مكة ليلتها وقد رفوف عليها الإيان .

نستخلص من هذه القصص التي تؤكد ما كان عليه رسول الله من عفو و سماحة ، أن الداعية الإسلامي يجب أن يظهر نفسه من كل حقد وغل حتى ولو كان لقابلة إصاءة قديمة بطلها ، أو الانتقام لموقف سبق أن تعرض له على يداحد اللين يدعوهم . وأن يظهر نفسه أيضا من الأنانية والأثرة ، ولن يكون له ذلك إلا بالإيثار والفناء في دعوته . ولقد قالت عائشة رضى الله عنها في هذا المعنى ه إن النبي عليه لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ٤ .

ومن الصفات التي زاتم رسول الله على صفة الحياء. وقد قال أبو سعيد الحدرى رضى الله عنه و كان رسول الله على أشد حياء من العذراء في حدرها ، وقال القاضى عياض في كتابه الشفاء و كان النبي على أشد الناس حياء، وأكثرهم عن العورات إغضاء ».

وقد تمثل القاضى عياض بقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وإن ذلكم كان يؤذى النبي فيستحى منكم ﴾. وقد نزلت هذه الآية لأن بعض أصحابه كانوا يستغلون كرمه الشديد وحياءه الشديد أيضا، فكانوا يجلسون في بيته فيتاولون الطعام ويأخلون في المحادث مما يؤدى إلى إضطراب في بيته وإقلاق لراحة أهله. ولم يكن التبي لفرط حياته يأمرهم بالكف عن ذلك أو يطلب إليهم الحروج، فتولى الله تعالى ذلك عنه وعلم المؤونين الأدب في هذا المقام، وأعفى رسوله من هذه المهمة التي تجعله يخرج عن طبيعته في الحياة ، فقال تعالى ﴿ ولا أيها اللين أمنوا لا تدخلوا بيوت النبي لإ أن يؤذن لكم إلى طعام غير اظرين إناء ولكن إذا دعيم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشرو الرابي الأحراب ٥٠ من المنافق في الأحراب ٥٠ من المنافق في الأحراب ٥٠ من الموسول على المنافق والمسالة، وهو سؤال حول صلة الحياء والمسعلين بوجه عام يقول و إن خلق الذعي يجلب إلى موضوع الدعوة، فلو كان الداعى فحاضا، أو يقبل عليه أن يلوم و تقرع عباراتُه، لَتُمَّرُ منه الناس وما استجاب له إلا أهل الحرف الذين لا يهمهم لها ،

وإذا كان الحلق الطيب يجلب النفوس ويوجهها نحو الحقى، فإن الحياء أشد الأخلاق المجتلفا اللنفوس، فإن الحياء بجمل صاحبه لا يفجأ الناس بما لا يسرهم بل يجيء إليهم من جانب ما يألفون فلا تنشعب عن الحق. وإن عنف الملاعى وتفحّش قوله يعوق دعوته ويكون استثقاله مرديا إلى رده، وإذا كان مع الحياء لين في الطبع من غير ضعف، وقوة في الحتى، وصل إليه في مداخل سهلة لينة. ولقد قال في وصفه على بن أبي طالب لا كان أوسم الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ؟. ولقد كان لالتقاء الحلق الحسن اللطيف المعشر مع الحياء والاستمساك بالحق مزيجا من أخلاق كريمة جعله لا يترك التبيه إلى الحق في رفق، وجعله يصل إلى ما يريد من إيغاله في القلوب.

وقد ذكر ابن عباس صفات رسول الله على فقال 8 كان أجود الناس بالخير ، وأجود السلم بالخير ، وأجود ما يكون في شهر رمضان . وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الربح المرسلة ٤ . ولقد قالت له خديمة رضى الله عنها 3 أبشريا بن العم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إلى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة . ووالله لا يخزيك الله أبدا . . إنك نتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكلّ ، و تقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق ٤ . وقد وقد عرف عن النبي على أنه ما كان يرد أحدا ، وأنه كان يجود بالموجود كله . وقد ذكر أن رجلا جاءه يسأله حاجة ، فقال (ما عندى شيء ، ولكن اتبع على فإذا جاءنا شيء قضيناه) .

ولقد قال عمر رضى الله عنه وقد رأى الرسول الكريم يتحمل ثمن البيعات ليؤديه إذا . لم يكن معه ، فقال له 8 ما كلفك الله تعالى ما لا تقدر عليه ٤ . فكره عليه الصلاة والسلام من صاحبه ذلك لأنه لا يريد أن يحول أحد بينه وبين سجيته التي فطره الله عليها . وقد لاحظ أنصارى كان في حضرة الرسول وصاحبه فقال 8 يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذى العرش إقلالا ٤ . فتبسم رسول الله عليه بعد إذ كره وعرف البشر في وجهه ، وقال (بهذا أدرت) .

والمعروف أنه كان يأمر بلالا قائلا (أنفق بلال ولا تخش من ذى العرش إقلالا) . ويقول عليه الصلاة والسلام (ما من يوم يصبح إلا وملكان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا) .

والمطلع على السيرة النبوية بجد أن من شمائل الرسول عَلَيْكُ ا**لوفاء بالمهد ورعايته ،** وأوضح مثل على ذلك وفاؤه بأم المؤمنين خديجة إلى درجة جملت عائشة رضى الله عنها تغار من كارة ذكره لها و يره لمن كان بحلى صلة بها ، فقالت و هل كانت إلا عجوز إ بدلك الله خيرامنها ٤. فقال (والله ما أبدلني خيرامنها . آمنت بى إذكفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستتى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى منها الولد دون غيرها من النساء).

و من ذلك بره بحليمة السعدية وأولادهاء وبره بأم أيمن التي كان يقول عنها (هي أمر بعد أمي).

ولما كانت الشجاعة إحدى الصفات التي يتحتم وجودها في الداعية بصفة خاصة، ورجل الإعلام بصفة عامة، فإنها كانت في أعظم صورها إحدى صفات الرسول مللية. ولم تكن شجاعة حسية فحسب وإنما اجتمعت عنده عليه الشجاعة الحسية مقتونة بالشجاعة المعوية، وسلامة التصرف وسداد الرأى والإقدام حيث يتحتم الإقدام والمبدرة حيث تكون إحدى الضرورات التي يفرضها الموقف.

ولیس أدل على ذلك من تصرفاته قبل البعث حیث كان لا يحفل بأصنام القوم ولا یسجد لها ولا يعترف بها ، وهو يعلم خطر ذلك عليه وأنهم جميعا يفرضون احترامها و تبجيلها . ولم يكن ﷺ يحلف بها ، ويروى أنه في إحدى رحلاته اختلف مع الباتع على النمين ، فطلب منه البائع أن يحلف باللات والعزى فرفض .

وعندما اشتد الخلاف بين القبائل القرشية، وأصرت كل واحدة منها أن تستأثر بشرف وضع الحجر الأسود إلى مكانه من جسد الكعبة، واشعلت الخصومة و تطاير الشرر ينذر باقتراب حرب طاحة تأكل الأخضر واليابس، وبقيت قريش أربع ليال والخطر يتهددها، وراح الكل يستمد ويعد العدة للقضاء على الآخر، وحاول المقلاء والكبار من رجالات قريش أن يحسوه الأمر قائلين و إن رفع الحجر لم يكن ضمن الاقتواع عند البناء، وأنه يمكن الاقتراع عليه من جديد ، ولكن محاولتهم كلها راحت عبدا إذ استمر الحلاف واستحكم وبلغ أشده، وجاءت بنو عبد الدار بحفية ملية بالدماء وصاح كبيرهم و يا عبد الدار هله جفتنا قد امتلات بالدماء فعها واقعسوا أيديكم فها ولتحاق على الموت إن فاتنا شرف وضع الحجر الأسود مكانه ، وجاء بنو عبد مناف وقالوا و لن يفوتنا هذا الشرف . الموت لنا إن فاتنا ، وصاح بنو أسده و نحن بنو طعد المسرو عند بنو أسده و نحن بنو طعد أسدو معنا بنو عبد أسده و وغن بنو طعدا مناف وقالوا و لن يفوتنا هذا الشرف . الموت لنا إن فاتنا ، وصاح بنو أسده و نحن بنو طعدا منطمه بطون الوحوش في الجبال ،

وهنا تقدم منهم أبو حذيفة المخزومي وقال ٥ كفي يا معشر قريش. لقد أردنا البرولم نرد الشر! فلا تحاسدوا ولا تنافسوا فإن فعلتم تشتت أموركم وطمع فيكم غيركم. حكموا يينكم أول من يدخل من هذا الباب يفصل في خلافكم. فوافقت القبائل كلها على ذلك وتعلقت أعينهم بالباب الذى أشار إليه أبو حديفة ، تترقب الناخل المجهول للحكم بينهم ويفض خلاقهم ، وإنهم لكذلك إذ يدخل محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فهتفوا جميعا و هذا الأمين .. هذا محمد بن عبد الله الماشي . قد رضينا بحكمه ، وأقبلوا جميعا عليه وشرحوا له ما كان من أمرهم ، فطلب ثوبا ثم وضع الحجر بيده الكريمة فيه ، وقال علي لا يأت والمأت من كل ربع من أدباع قريش رجل) . فكان في ربع عبد مناف عتبة بهن ربيعة ، وفي الربع الثاني أبو زمعة بن الأسود ، وفي الربع الثالث العاص ابن وائل ، وفي الربع الزابع أبو حديقة المخزومي نفسه . ثم قال علي لا الجدر ورفع القوم له الركن ، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده الكريمة في مكانه . وهكذا حلت المركن ، حتى إذا بلغوا موضعه وضعه بيده الكريمة في مكانه . وهكذا حلت المشكلة العويصة وحقت دماء قريش .

قبل رسول الله على الحكم في هذا الخلاف المستحكم المشعل بشجاعة ، ولم يجفل أو يتردد مع علمه أن هذه القبائل قد جبلت على المشاكسة وحب السيطرة و الاستغثار ، وأن إرضاءهم جميعا أمر من الأمور التي تكاد تكون مستحيلة . ولكنه أقدم وحكم بشجاعة ، فكان أن وفقه الله و جعلهم جميعا يرضون عن حكمه .

وبعد أن بعثه الله تعالى بدعوة التوحيد تجلت شجاعته فى المجالين ــــالمعنــوى والحسي ـــــ فى معارك الرأى ومعارك السيف.

عن على رضى الله عنه قال (٧٠) و لقد رأيت يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي عَلَيْكُ وهو أقربنا إلى العدو ، وكان من أشد الناس يومقد بأسا » .

وعنه أيضاً أنه قال 2 كنا إذا حمى آلبأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله عليه ، فما يكون أحد أقرب إلى العدو مند(٢) ٤.

وعن سعد بن عباض الشمالي قال و كان رسول الله عليه قليل الكلام قليـل الحديث، فلما أمر بالقتال تشمّر وكان من أشد الناس بأسا ».

وحينا بلغ الخامسة عشرة من عمره ثارت حرب اشتركت فيها قريش وهي حرب الفتركت فيها قريش وهي حرب الفجار ، عالى المركة المدركة ولا معركة من المجارك المركة من المجارك المربكة وكانوا قد حدوا له دوره في المعركة وهو أن ينبل على أعمامه ...أي يمدهم بالنبال ...ولكن ما إن بدأت المعركة وحمى وطيسها حتى جاوز هذه المهمة وأخذ يرمى بالسهام والنبل .

⁽۱)، (۲) الحافظ أن محمد عبد الله الأصبهاني المتوفى سنة ٣١٩٩ هـ كتاب أخلاق النبي عَلَيْتُهُ وآدابه (غطوط) ، حققه (حسن محمد مرسي) ، وراجعه (محمد عبد الرحمن عنهان) ، القاهرة ، مؤسسة الأهرام ٢٠١١ هـ .

لقد غلبته شجاعته ودفعته إلى أن يكون مقاتلا على الرغم من عوده الأحضر وسنه .

وهو الذى حدث فيما بعد يقوله (لِس من اللهو محمود إلا ثلاثة : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته أهله ، ورميه يقوسه ونبله ، فإنبن من الحق . . ومن ترك الرمى يعد ما علمه رغبة فإنها نعمة تركها) .

وليس من شك في أن هذه الأمثلة _وغيرها كثير _ للشجاعة النادرة تتيح لصاحبها أن يبلغ الدعوة وأن يؤدي الرسالة غير هياب ولا وجل ولا متردد.

وقد فرض الجهاد في الإسلام بهدف تبليغ الدعوة، وكان ذلك بعد أن حاول الرسول بالحكمة والموعظة الحسنة، ويعد أن جادلهم بالتي هي أحسن ولم يبق إلا أن يستعمل السنيف.

يقول الدكتور إبراهم إمام و الأصل في الجهاد أنه يهد الطريق لحرية الإحلام الإسلامي، ويتيح الفرصة أمام رجاله كي يبلغوا الرسالة ويؤدوا الأمانة، لأنه و بعث الإسلامي، ويتيح الفرصة أمام رجاله كي يبلغوا الرسالة ويؤدوا الأمانة، وأنه و بعث الديانات السائدة أتذاك تفرض الطاعة المطلقة لكل طاغية، غير أن تبليغ الرسالة والإعلام باللين الحق أسمى واجبات المسلمين مهما كانت العقبات التي تكتشف الطريق، ومهما كانت الصعوبات التي تواجه المؤمنين. وقد وعد الله سيحانه وتعالى رسوله الكريم، بأنه يعصمه من الناس في سبيل الدعوة إلى الحق في يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين. في الناس إن الله لا يهدى القوم

وقد نشط الطفاة والأباطرة للقضاء على دعوة الإسلام ورسوله، فأرسل كسرى من يقتل النبي عَلَيْكُ قتل العديد من المؤمنين. وقد حاول بعض الهود أن يقتلوا الرسول وأصحابه وحاولوا أن يفتنوه وأن يسحروه، ولكنهم فشلوا في ذلك فشلا ذريعا.

ولقد كان الجهاد في وقت من الأوقات هو الوسيلة الوحيدة لتعبيد الطريق وتمهيده أمام الإعلام الإسلامي، وتبيئة المناخ اللازم لإبلاغ العباد كلمة الله العليا ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإذا انتبوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾.

قالمسلمون يجاهدون بالسيف لرفع كلمة الله ، ويقاتلون لإزاحة العقبات عن طريق الدعوة إلى سبيله . وهم يؤمنون بأن حرية الإعلام هي القاعدة الأساسية التي يختار على هديها الإنسان دين الحتى . فليس القتال لإزهاق الأرواح وإنما رغبة لإشاعة جو الدعوة إلى التوحيد، وإعلام الناس بحقائق الدين القائم على الحتى والحرية والعدل والإيمان (ح ٨ ٨ ــ نظرية الإعلام) بالواحد الأحد ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحيوا شيئا وهو شر لكم والله بعلم وأنتم لا تعلمون ﴾.

فالإعلام الإسلامي ضرورة حتمية لكمال الرسالة حتى تصل حقائق الإسلام إلى كل إنسان ، فإذا كفر فقد كفر عن بينة وبذلك يتحقق قوله تعالى ﴿ وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا ﴾ الإسراء ٥٠ .

ولا يتحقق مغزى بعث الرسول إلا إذا تم التبليغ، وحمله الدعاة والإعلاميون والمرشدون والمفسرون كما حمله الرسول عليه الهملاة والسلام. وقد أوصى الرسول من بعده بأن يخلفوه في حمله .. وهذه رسالة الإعلام الإسلامي . فلقد خاطب النبي عليه الصلاة والسلام من عاصروه من العرب ومن جاورهم من دول أخرى ، و كان من أسس الدعوة مطالبة الأجيال كلها في مشارق الأرض ومفاريها بالاقتداء بمنهج الرسول الكريم ، من أجل الإنسانية كلها .

﴿ لَقَدَ كَانَ لَكُمْ فَى رسول اللهُ أُسوة حسنة لن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله

كثيرا ﴾. فالإعلام الإسلامي مهمة مستمرة دائبة في كل زمان وفي كل مكان . لذلك كان هذا

فالإعلام الإسلامي مهمة مستمرة دائبة في كل زمان وفي كل مكان . لذلك كان هذ التكليف موجها إلى الأمة الإسلامية جميها .

وقد اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية، وكان ذلك الاتفاق إجماعا انعقد فى عهد الصحابة وفى عهد التابعين رضى الله عنهم. والإجماع لا ينقض بتخلى المسلمين عنه أو عدم القيام يه.

الغصرال ادش

الأشكال الاتصالية في الدعوة الإسلامية

اتسمت الأشكال الاتصالية في صدر الدعوة الإسلامية بالطابع الشخصى والجمعى والحضارى . وقد تحدثنا عن رسول الله علي كداعية أمثل في إطار نظرية الوحى التي تمثل نظرية متكاملة للاتصال . وسوف نتحدث هنا عن الاتصال الشخصى الذي يتحقق في الجماعات الأولية التي يرتبط أفرادها بعلاقات شخصية ويتم فيها الاتصال بالمواجهة ــ سرية كانت أو علنية .

الاتصال الشخصي ف الإعلام الإسلامي:

الأبرار رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين .

ذلك أن الرسول مَعَالَمُهُ لَمْ يجهر باللدعوة إلا بعد أن أمره الله سبحانه وتعالى بأن ينذر عشيرته الأقريين . وكان بين ما أحفى رسول الله مَعَالَيْهُ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ، ثلاث سنوات تمثل المرحلة السرية في الاتصال الشخصى بعد نزول الوحى .: إذ قال عز وجل فو فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ وقال جل حلاله فح وأنذر عشيرتك الأقريين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل إلى أنا النيز المبين ﴾ الحجر ١٥ .

و من ذلك يتضح أن هاتين المرحلين السرية والعلنية ، كانتا تستدان إلى الاتصال المشخصي الذي يتكون بطبيعته بين أفراد العشيرة والأقربين من الأهل والصحاب . فقد اعتمد رسول الله على الاتصال الشخصي بمن يتى وبطمئن إليهم ، كزوجته خديجة رضى الله عنها ، وابن عمه على كرم الله وجهه ، وصديقه ألى بكر ، ومولاه زيد بن حارثة ، وعثان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد ابن ألى وقاص ، وطلحة بن عبد الله مو أبو عبدة بن الجراح ، وألى سلمة بن عبد الأسد، وزوجته أم سلمة ، والأرقع بن ألى الأرقم ، وعثان بن مظعون ، وغيرهم من الصفوة وزوجته أم سلمة ، والأرقع بن ألى الأرقم ، وعثان بن مظعون ، وغيرهم من الصفوة

ولقد كان الاتصال يتم خفية وبعيدا عن أعين المشركين من قريش . وظل كذلك سنوات ثلاثا أثمرت فيها الدعوة غرسها ، وأصبح حول رسول الله واحد وخمسون مسلما يمثلون أوائل الدعاة في الإسلام والإسلام ، وهم الذين نزلت فيهم الآية الكريمة ﴿ والسابقون السابقون أولئك المَقربون ﴾ الواقعة ٥٦

وقد تضمنت المرحلة السرية هذه صفحات مشرقة لكل واحد من هؤلاء . فأول من أسلم كانت أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وأرضاها . وقد احتضنت اللحوة في بدايتها منذ هبط الوحى على النبي عليه . وكلنا يعرف موقفها حيها جاءها وهو يرتجف فطمأته ، ثم آمنت به وصدف بما جاءه من عند الله ، و آزرته على أمره فخفف الله بللك عن نبيه عليه . وقد أرسل إليها سبحانه وتعالى تحية طبية مباركة من السماء ، فقد أمر نبيه أن يخبرها على لسان جبريل بأنه عز وجل يقرئها السلام وأن لها بيتا في الجنة من قصب لا صخب فيه و لا نصب .

أما على بن أبى طالب فكان فى حجر رسول الله على قبل الإسلام . ويذكر ابن هشام أن رسول الله كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه على بن المسالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها . فإذا أمسيار جعا فمكنا كذلك ما شاء الله أن يكتا . وقد عثر عليهما أبو طالب يوما وهما يصليان فقال لرسول الله و يا بن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ ، فأجابه على أن أى عم . . هذا دبن الله ودين ملاتكته ودين رسله ودين أبينا إبرهم ـــ أو كا قال على الله به بدل بدل الله بدل الله يا العباد . . وأنت أى عم أحق من بذلك له النصيحة ودعوته إلى الهذى وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه) فقال أبو طالب و أى أبن أخى إلى لا يخلص إليه وأعانني عليه) فقال أبو طالب و أى أبن أخى إلى لا أستطيع أن أفارق دين آيائى وما كانوا عليهءولكن والله لا يخلص إليك بشيء تكرهه ما بقيت » .

وقال ابن هشام إن أبا طالب قال لابنه على و أى بنى ما هذا الدين الذى أنت عليه ؟ ، فأجابه 8 يا أبنى ، آمنت بالله و برسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته ، فقال أبر طالب 8 أما إنه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه » .

وأما زيد بن حارثة فقد أسلم كذلك فور نزول الوحى على الرسول الله وصل معهد . يقول ابن هشام إن زيدا كان رقيقاً على عادة الجاهلية اشتراه حكيم بن حزام ، ثم وهمه لعمته خديجة رضى الله عنها فوهبته بدورها إلى زوجها قبل البعث . فأعتقه عليه وتعناه إلى أن أنزل الله عز وجل ﴿ ادعوهم لآبائهم ﴾ وقد بلغ من حب رسول الله لزيد أن ناداه الناس . يجب رسول الله أن ٤ . وقد دخل زيد في الإسلام فور دعوة رسول الله له ؟ فكان من الأوائل الذين صدقوا ; به و آمنوا معه .

وكان أبو بكر بن أنى قحافة التيمى صديقا حميما لمحمد ﷺ ، وكان بقدر أماتته ونزاهته وصدقه وحبه للمدل والحق . وكان رسول الله يبادله الحب والتقدير ويعتز بصداقته ويفضى إليه بأسراره ، ولذلك كان أبو بكر أول من تلقى تفاصيل الوحى من رسول الله ﷺ.

ولم يتردد أبو بكر لحظة واحدة فى التصديق والدخول إلى الدين الحق . وقد أعلن إسلامه ودعا إلى الأه وإلى رسوله ، وقد استجاب الكثيرون إلى الإسلام بدعوته لأنه كما يقول ابن هشام كان و رجلا مألفا لقومه محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بقريش وما كان فيها من خير و شر ، وكان رجلا تاجرا فا خلق ومعروف ، وكان رجلا قاجرا فا خلق ومعروف ، وكان رجلا قدم يفدون إليه ويألفونه لفير واحد من الأمر _ لطمم وتجارته وحسن مجالسته _ فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ونجلس إليه .

أما الاتصال الشخصي في المرحلة العلنية فقد توسل بالقرآن الكريم والقدوة الحسنة" إلى جانب الأحاديث النبوية الشريفة .

يقول الرواة: إن النبي على بعد أن أمر بالجهر وإنذار عشيرته الأقريين وخفض المجاهد للمؤمنين، جمع بني عبد المطلب وهم يومقد أربعون رجلا فيهم أعمامه أبر طالب وحمة والعبراس وأبه لهب بالمطلب وهم يومقد أربعون رجلا فيهم أعمامه أبر طالب المحرة والعباس وأبه لهب إلى الكلام القرة التوم حتى ما لهم يشيء حاجة. ثم أراد رسول الله أن يكلمهم فبدوه أبو فهب إلى الكلام مرة أخرى، فحضروا وأكلوا هنيا وشربوا مربعا، ثم تكلم رسول الله فقال (يا يني عبد المطلب إنى والله ما أعلم رجلا في العرب جاء قومه بأفضل كما جتنكم به. إلى قد جتنكم بحير النبي والميما المثال (يا يني عبد المطلب إنى والله ما أعلم رجلا في العرب جاء قومه بأفضل كما جتنكم به. إلى قد جتنكم بحير السالم المؤلف المؤلف

وهكذا يتبين لنا أن الرسول عَلَيْكُ قد توسل بكل الوسائل التي تحقق أهداف الاتصال الشيخصي ، فقد دعا قومه إلى طعامه مرتين ، وأقام لهم حفلا وتحدث إليهم بلطف ولين ، ولم يكن فظا غليظ القلب . ثم قدم لحديثه بأستلة يعرف إجابتها مقدما ، وذلك ليستدرج القوم لما يريد ويمهد للأمر في نفوسهم .

ولولا معارضة أنى لهب له لانصاع الناس لقوله وآمنوا جميعا به . ولكن هذه المعارضة فى حد ذاتها جاءت لتؤكد أن الأمر ليس أمراً عائليا أو عصبية أسرة أو إجماع قبيلة تريد أن تسود وأن يكون لها الأمر الدنيوى ، ولكنها رسالة رب العالمين إلى الناس كافة .

وروى مسلم عن أن هريرة أن رسول الله علي الله عليه قوله تعالى فو أنلر عليه قوله تعالى فو أنلر عشير تك الأقرين في الآيات ، وقف وقال (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا . . يا مين عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا . . ياصفية عمة رسول الله المنى عنك من الله شيئا . . يا فاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مال لا أغنى عنك من الله شيئا) . وهذا الحديث غرج على شرط البخارى ، وروى مثله الإمام أحمد في مسئله ،

ولقد جاء في التاريخ الكبير لابن الأثير و لما أنول الله تعالى على رسوله فو أنلر عشيرتك الأقريين في الشعراء ٢١٤ ، اشتدذلك على النبي عليه وضاق ذرعا فجلس في عشيرتك الأقريين في الشعراء ٢١٤ ، اشتدذلك على النبي عليه وضاف ذرعا فجلس في عشيرتى) . فقلن له و فادعهم و لا تدع أيا لمب فهم فإله غير مجيبك . فدعاهم ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف فكانوا محسة وأربعين ، فيادرهم أبو لهب فقال و هولاء عمومتك و بنو عمك ، فتكلم و دع الصبأة ، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة وأناحق من أخلك فحيسك . وإن أقمت على ماأنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يب بك يطون قريش وغيرهم من العرب . فعارأيت أحداجاء على بني أبيه بشر مما جنتهم به ٤ . فسكت رسول الله على العرب قالمراح . ولا المجلس .

وكان رسول الله على حكيما غاية الحكمة ، مدركا تمام الإدراك لأبعاد الموقف الاتصالى وما تمثله معارضة أبى لهب من معوقات اتصالية أمام الدعوة الجديدة . لهذا بادر بالصمت وأرجاً الحديث إلى مجال آخر لا يكون فيه هذا الجو الذي شحنه أبو لهب بالمعارضة .

ظماً أتبحت له الفرصة وتبيأ له المجال الاتصال المناسب ، قال عَلَيْكُ (الحمد الله المحمد الله وأسمينه وأثن به وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) . ثم قال (إن الرائد لا يكذب أهله ، والله الذي لا إله إلا هو إنى رسول الله إلى عاصة وإلى الناس كافة . والله تتوتن كما تنامون ، ولتبعث كما تستيقظون ، ولتحاسين بما تعملون ، وإنها للبجة أبدا أو للبار أبدا) .

ولقد أفحم أبو ضب بهذا القول فلم ينطق بحرف ، وتكلم أبو طالب فقال 8 ما أحب إلينا معاونتك وأقبلنا لنصيحتك وأشد تصديقا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعين وإنما أنا أحدهم ، غير أنى أسرعهم إلى ما تحب فامص لما أمرت به ، فواتش لا أزال أحوطك وأنفمك غير أن نفسي لا تطلوعني على فراق دين عبد المطلب » . وهنا استغز أبو ضب فقال 8 هذه واللات السوأة . . خلوا على يديه قبل أن يأخذه غيركم » . فأجابه أبو طالب بإصرار 8 والله تحتيمً ما يقينا » .

و تعتبر الأحاديث النبوية الشريفة الدعامة الثانية للإعلام الإسلامي بمدالقرآن الكريم . ذلك أن القاعدة الأساسية فى نظرية الإعلام الإسلامي تقوم على أساس من النبات فى الأصول والتطور فى الفروع .

الأحاديث النبوية الشريفة في الاتصال الشخصي والجمعي والحضاري :

والأحاديث النبوية الشريفة تمثل بطبيعتها وسيلة من أهم وسائل الإعلام الإسلامي ذلك أن و الحديث ؟ من حيث المني هو أداة اتصالية ، فقد كان لكلمة الحديث معنى عام هو الحير أو المحادثة ـــ دينية كانت أم غير دينية ـــ ثم أصبح لها معنى خاص هو ما ورد عن النبي عليه من قول أو فعل بروى عنه .

وتأسيسا على هذا النهم فإن الحديث أصبح يطلق عند المسلمين على ما يروى عن الرسول ، ويطلق على العلم المخاص به علم الحديث .

الرسول ، ويقلق على إبطام الحاص به علم الحديث . وإذا كنا قد تحدثنا في الفصل السابق كذلك عن الرسول عليه ، كمبلغ للدعوة وقاهم بالاتصال فيما يصدر عنه من قول وما يروى عن أفعاله إنما يمثل الرسالة الإعلامية ، والتي نعني بها في هذا الصدد الأحاديث البوية الشريفة ، والتي كان لها طابعان:

أولا : طابع التعليم والتوجيه والإرشاد .

ثانيا : طابع الإعلام والدعوة والتبليغ .

وهذان الطّابعان بمثلان الوظائف الأساسية للإحلام بوجه عام ، وللإعتلام الإسلامي بوجه خاص .

ومن أحاديث الرسول عليه جمعا نجد تحقيقا لهذه الوظائف ، سواء أكانت تستهدف التنشئة الاجتاعية أو التوجه أو الهداية على النحو المستفاد من الدلالة التي ترتبط بلفظ السنة ذاته ، والتي كان المقصود بها عندالعرب و النهج القدم المأثور الذي يعتاده المرء في كافة المعاملات ، وهذا اللفظ كان له احترامه عند الجاهلين الذين يعتبرون السنة فضيلة من الفضائل(1) .

⁽۱) ص ٤١ ، ج ١ ، تعليق ٨

و لما جاء الإسلام ، كان في جوهره نورة على السنن الجاهلية وما يرتبط بها من وثنية وعادات سيفة وتقاليد ضارة بالمجتمع . وقد استبدل الإسلام سنن الجاهلية وعاداتها وتقاليدها بسنن قوية وعادات سليمة وتقاليد مفيدة يترسمها المجتمع الإسلامي في كل زمان ومكان . ذلك أن اللرس المستفاد من الأحاديث النبوية ، إلى جانب ما أوضحه القرآن الكريم حول الدعوة والتبليغ أن الإعلام الإسلامي إنما هو فريضة واجبة يتوجه بها إلى العالم كله ، لا إلى أمة بعينها . وقد جاء عن النبي عليه أنه قال (نصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتى أدر كنه الصلاة فليصل . وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبل ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يعيش لقومه خاصة وبعث للناس عامة) (١) .

وقد أحد القرآن الكريم هذا المعنى في أصول الإعلام الإسلامي ، إذ قال تعلى ﴿ قَلَ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَم اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ علام القالمين بالإعلام الله الله الله الله الله على القالمين بالإعلام الإسلامي أن يتخلوا من شخصية الرسول و الله ، وشخصيات صحابته و الله على على الله على يترسمونها و يحتلون خطواتها في أداء رسالتهم الخالدة العامة .

وإذا كان الصحابة رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين ، قد بذلوا كل ما في طاقتهم في سبيل جمع أحاديث الرسول وأخباره لتكون نبراسا للإعلام الإسلامي في كل العصور ، فإن هذه الأحاديث والأخبار ذاتها كانت في حينها تمثل رسالة إعلامية مباشرة للقوم اللهرين تخاطيهم ، وقد استمرت فعاليتها إلى يومنا هذا ، وسوف تستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وينقسم الحديث إلى : حديث إلى وهو الحديث القدمي الذي يرويه النبي عليه عن ربه عز وجل ، وحديث لبوى وهو ما تحدث به رسول الله وما روى عد ما الله عن ربه عز وجل ، وحديث لبوى وهو ما تحدث به رسول الله وما روى عده ما الله ومن الرحال النبوعال المسلمية المفسرة المقرآن الكريم ، وقد توسل بها الرسول مولية في كل مراحل الدعوة الإسلامية . وقد طبعت بعاليم الانصال الشمعي المنه يا لكن يوكد علماء الإعلام أنه ناجع في الإقناع ، لأنه يتلافي سلبيات الإعلام الأخرى وخاصة مقلومة المستقبل التي تضعف بدورها تأثير الإعلام . الإنسال الشفهي يتسم بالحوار والإقداع وتبادل الأفكار ، ودحص الحجج والبراهين ، وعاولة التغلب على كل أساليب الاحتجاج بما يجمل المستقبل يؤمن تأمينا قلبيا على الرسالة التي تلقاها . بل إنه يصبح في أغلب الأحوال داعية لنفس الرسالة بين قلبيا على الرسالة التي تلقاها . بل إنه يصبح في أغلب الأحوال داعية لنفس الرسالة بين

⁽١) رواه البخاري ومسلم.

جماهير أخرى لا يلبث بعضهم أن يتحول بدوره إلى دعاة كذلك . وهكذا تدور الدورة الاتصالية فى الإعلام الإسلامي .

لذلك لم يكن غريباً أن يتوسل الرسول على بالاتصال الشخصى في مراحل الدعوة المختلفة وتبليغ رسالة ربه إلى الناس . ولقد نجع المختلفة وتبليغ رسالة ربه إلى الناس . ولقد نجع المسلمين وكل من تصدى لدراسة حياته والكتابة عنه . وتقول دائرة المعارف البريطانية في مادة قرآن و جاء محمد بدعوة جديلة هي دعوة الإسلام . وكان هذا الرسول أفضل الأنبياء والشخصيات المدينية وأكارهم حظا من النجاح ، فقد أغيز في عشرين عاما من حياته ما عجزت عن إنجازه قرون من جهود المصلحين عيودا أو نصارى ب الذين كات تؤيدهم السلطة الزمنية . ورغم أنه كان أمام ذلك الرسول تراث أجيال من الوثية والخواة والجهل والبغاء والربا والميسر ومعاقرة المخدور واضطهاد الضعفاء والحروب والمخاور واضطهاد الضعفاء

. وهذا التأكيد من دائرة المعارف البريطانية الذي نقلناه بنصه يوضع ما نعنيه بنجاح الاتصال الشخصي في دعوة الرسول يريك ، في مراحلها التي أشر نا إليها .

الأتصال الشخصي بالقبائل العربية :

ومن وسائل الاتصال التي لحاً إليها الرسول عَلَيْ لتبليغ دعوة الإسلام ، عرض نفسه على القبائل المربية الوافدة إلى مكة للحج أو العمرة أو التجارة ، كما كان يحرص على خضور الأسواق خاصة في المواسم والأعياد . ويروى أنه عَلَيْ كان يقف على منازل القبائل من العرب فيقول (يا بني فلان إني رسول الله إليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيفا . وأن تخلعوا ما تعبدوا من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به) .

و كثيرا ما كان أبو لهب يحرك العوامل الوسيطة عند هذه القبائل بأن يتبع ابن أخيه فيقول معقبا على قوله ﷺ 3 يا بنى فلان .. إن هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من المدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه » .

العوامل الوسيطة ومقاومة الدعوة :

وإذا كان علماء الإعلام في عصرنا هذا يقولون إن الاتصال قد ينجع مرة وقد يفشل أحرى أو يحقق عكس المطلوب منه ، فإننا استطيع أن نستقرئ هذا من المواقف التي عرض فيها الرسول ـــ علي ـــ انفسه على القبائل ، وما لقيه من نجاح أو فشل بسبب محاولات أبى هب المضادة والتى كانت تثير العوامل الوسيطة فى اللغوس وتستهويها استبواء عكسيا . ولم تكن المقاومة قاصرة على أبى لهب ، بل كانت تشتمل الكثير من سادة قريش وأصحاب الرأى والجاه والمال فها من الذين غلبت عليهم الضلالة فلا يتبعون الحق لذات الحق . وهؤلاء هم الماندون المكابرون الذين عميت قلوبهم وكان على إدراكهم غشاوة .

يقول ابن كثير إن رسول الله عليه و استمر يدعو إلى الله تعالى ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، لا يصرفه عن ذلك صارف ، و لا يرده عن ذلك راد ، و لا يصده عن ذلك صاد ، يتبع الناس فى أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم ، و فى المواسم ومواقف الحمج يدعو من لقيه من حر وعبد وعبد وقوى وغنى وفقير ، جميع الخلق فى ذلك شرع سواء . وتسلط عليه وعلى من اتبعه من أحاد الناس من ضعفاتهم ، الأشداء الأقوياء » .

وكان أشدهم قسوة وضراوة بعد أبي لحب أبي جهل عمرو بن هشام المعروف بأني الحكم ، والذي كان فاجرا في القول والعمل ، ولم يدخر وسعا في مقاومة الدعوة واضطهاد كل من آمن بها خاصة الضعفاء ومن لا حول ولا قوة . أما أبو لهب فهو كا تقدم قد احتار لنفسه موقعا يناوئ منه الدعوة الإسلامية . وقد يكون سادة قريش هم اللهي وضعوه في هذا الموقع استفلالا منهم للصلة القرية بينه وبين ابن أعيه ، مما يجعله مصدر ثقة وعاملا من العوامل الوسيطة الفمالة في مقاومة الدي عليه . وإضعاف حجته وإصابته بالإحباط وإيلامه في نفسه ، لأن انظلم هنا يقع من أقرب المقريين إله ، وهو واسانته بالإحباط وإيلامه في نفسه ، لأن انظلم هنا يقع من أقرب المقريين إله ، وهو الله ين يفتوش فيه أن يكون أول المثريين والمسائدين لدعوته .

قال ابن إسحاق و كان رسول الله عليه كله اجتمع له الناس بالموسم ، أتاهم يدعو القبائل إلى الله ويلي الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة . وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم و شرف إلا تصدى له فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عبده » .

وقد لقى رسول الله قوما من الخزرج فى أحد المواسم عند العقبة فقال لهم (من أنه ؟) . قالوا و نفم » . قال أنم ؟) . قالوا و نفم » . قال أنم ؟) . قالوا و نفم » . قال (أفلا تجلسوا معه فلحاهم إلى الله عز وجل (أفلا تجلسوا تكلمكم ؟) . قالوا و بلي » . فجلسوا معه فلحاهم إلى الله عز وجل وحرض عليهم الإسلام والله المقبور والله عليهم البه المهود فلما دعاهم إليه والله أنه للنبى المذى توحد كم به اليهود فلا يسبقونكم إليه » . فأجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا و إنا قد تركنا قومنا ولا قوم عليهم من الإسلام ، وقالوا و إنا قد تركنا قومنا ولا قوم عليهم عليهم في المحدود الله بينهم عن المعالمة والبشر ما بينهم ، فعدى أن يجمعهم الله بك . فسنقلم عليهم

فندعوهم إلى أمرك وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ٤ . ثم انصر فوا راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا .

وكانت هذه بداية نجاح الاتصال الشخصي بين رسول الله عليه على ، وانتصاره على مقاومة العوامل الوسيطة التي أزكاها أبو لهب وغيره من أشباهه .

وإذا كان لفظ الجمع في اللغة العربية يمني تأليف المتفرق ، فإن الاتصال الجمعي كما يذهب إلى ذلك علماء الإعلام يكتسب من هذه الدلالة اللغوية خصائصه ومفهومه من

حيث اعتاده على التفاعل المباشر بين الجماعة والداعية أو المرسل. .

الاتصال الجمعي :

ولما كان الإسلام هو الدين القائم على جمع الناس تحت راية واحدة هي راية لا إله . إلا الله ، وتوحيد صفوفهم وبث التواد والتراحم والتآزر والتضامن في نفوسهم ، كان الاتصال الجمعي من أهم عيزات الإعلام الإسلامي .

قال تعالى ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ . آل عمران ١٠٣ وقال سبحانه ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا ﴾ . الأعراف ١٥٨ وقال عز شأنه ﴿ قُلْ يَجْمِع بِينار بِنامْ يفتح بِيننا بالحق وهو الفتاح العلم ﴾ . سبأ ٢٦ وقال جل جلاله ﴿ لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ الشوري ١٥ هذه الآيات وغيرها تؤكد على أهمية الاتصال الجمعي في الإعلام الإسلامي لما تتضمنه من التأكيد على الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله والاعتصام بحبله سبحانه . وهو الذي يقول عنه المفسرون إنه السيب الموصل إلى البقية والحاجة ، ولذلك سمى الأمان حبلا لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر _ كما كره الله الفرقة وحذر المسلمين منها ونهاهم عنها .

وقال رسول الله عَلَيْجُ (إن بني إسرائيل افترقت على إحدى وسبعين فرقة ، وإن _ أمتى ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحلة ﴾ . قيل 3 يارسول الله وما هذه الواحدة ؟ ٤ . فقبض يده وقال (الجماعة) . ثم استشهد ﷺ بالآية الكريمة ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ .

ولقد شرع الإسلام صلاة الجماعة في المساجد لحكمة بالغة هي التأليف بين قلوب المسلمين وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم وتحقيق المساواة بينهم. والتمرس على المشاركة العملية والوجدانية ، والتدرب على العمل تحت قيادة واحدة . ثم إن صلاة الجماعة فيما حركة السعى إلى المساجد ، وفيها سهولة إعلام الناس بالأمور العامة والأحداث الهامة ولذلك أكد الرسول الكريم على طلب صلاة الجماعة التي أصبحت سنة مؤكدة وشعيرة من شعائر الإسلام ، بل دعامة من أهم دعائمه . وقد داوم على إقامتها رسول الله من والخلفاء والتابعون من بعدهم ، وما زالت إلى يومنا في كل مجتمع إسلامي ، وستظل إلى يوم الدين بإذنه تعالى .

قال ﷺ (صلاة الجماعة تعدل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة) . متفق عليه . وقال (ما من ثلاثة فى قرية و لا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان . فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) . رواه أبو داود بإصناد حسن .

أما صلاة الجمعة فقد قال الله عز وجل بشأنها ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وفروا البيع ﴾ . الجمعة ٥٠ وقال رسول الله عليه الله على الله الكتايين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصر فوا عنه ، وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الأمة وجعله عبدا لهم ، عنه أولى الناس به سبقا وأهل الكتاب لهم تبع) . متفق عليه ، وقد أهم المسلمون كافة على وجوب صلاة الجمعة التي ثبتت فريضتها بالكتاب والسنة .

ومن مظاهر الاتصال الجمعى فى صلاة الجمعة الخطبة ، وهى الرباط الروحى للمصلين والمخبر الإعلامى للمسلمين ، ومن خلالها يمكن توجيه الناس وإرشادهم وإعلامهم والأعمد بأيديهم إلى خير السبل وأسلمها .

الخطب النبوية والاتصال الجمعي :

ويقول ابن القيم الجوزى عن خطب النبي عليه انها كانت تقريرا الأصول الإيمان بالله وملاكته وكنيه ورسله ولقائه . وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته ، وما أعد الله لأعدائه وأهل معصيته ، فيملأ القلوب من خطبه إيمانا و توحيدا ومعرفة بالله وأيامه . لا كخطب غيره التي تفيد أمورا مشتركة بين الخلائق ، وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت ، فإن هاما أمر لا يحصل في القلب إيمانا بالله ولا توحيدا له ، ولا معرفة خاصة ، ولا تذكيرا بأيامه ، ولا بعثا للنفوس على صبحبته والشوق إلى لقائه ، فيخرج السامعون ولم يستغيدوا فائلة غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم ويبلى التراب أجسامهم . فياليت شعرى أي إيمان حصل بهذا ، وأى توحيد وعلم نافع يحصل به ؟ ومن تأمل خطب النبي عليه وخطب أصحابه ، وجدها كفيلة بيبان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله ، وأصول الإيمان الكلية والدعوة بيبان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله ، وأصول الإيمان الكلية والدعوة

إلى الله وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه ، وأيامه التي تخوفهم من بأسه ، والأمر بذكره و شكره الذى يحببهم إليه ، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه ، ويأمرون من طاعته و شكره وذكره ما يحببهم فينصرف النسامعون وقد أحبوه وأحبهم . ثم طال المهدو خفى نور النبوة وصارت الشرائع والأوامر رسوما تقوم من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها ، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والأوضاع سننا لا ينبغى الإخلال بها ، وأخلوا بالمقاصد لا ينبغى الإخلال بها فرضعوا الخطب بالتسجيع والقِقر وعلم البديع فنقص .. بل عُدِم حظ القلوب منها و فات المقصود بها ؟ .

أما النووى فيقول (يستحب كون الخطبة فصيحة بليفة مرتبة مبينة من غير تمطيط ولا تقمير ، ولا تكون ألفاظا مبتذلة ملفقة لأنها لا تقع فى النفوس موقعا كاملا . ولا تكون وحشية لأنها لا يحصل مقصودها . بل يختار ألفاظا جزلة مفهمة .

أما الخطابة النبوية الشريفة فيتمثل فيها الاتصال الجمعى في أسمى معانيه ، فقد كانت أداة الدعوة ، واللسان الناطق بالرسالة الإسلامية ، وأداة الاتصال والتعبير في مجالات المقيلة والشريعة والأعلاق . فإذا كانت الكتابة غير شائعة في هذا العصر ، فإن الحقابة كانت تمثل الوسيلة الأساسية للاتصال الجمعى ، ولذلك اعتمد عليها النبي على دعوته عشيرته الأقريين ، وفي اتصاله بأحياء العرب وبالأسواق العامة ومواسم الحيح ، فكان عليه السلام يخطب ويقول (قولوا لا إلله إلا الله تفلحوا) . ثم انتقل إلى يغرب يدعو إلى الله على بصيرة ، ويقوم في مجتمعات جديدة يشرح لهم بييانه وفصاحته يغرب يدعو إلى الله على بصيرة ، ويقوم في مجتمعات جديدة يشرح لهم بييانه وفصاحته رسالة الإسلام ، وهي فصاحة فطر عليها وقواها تلمذته للقرآن الكريم . سأله أبو بكر رضي الله عنه مرة و لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك ، فمن أدبك ؟ » . قال (أدبني رفي فأحسن تأديبي) . وفي الخطابة النبوية الشريفة تتجلي قيمة الحرية في الانصال المصمى ، فكان عليه السلام يقول بعد المتاء والتشهد (أما بعد) . وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ، ويأمرهم ويناهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى .

فالاتصال الجمعى - كما يتضح من دراسة الخطابة النبوية الشريفة - لا يتم من جانب واحد ، وإنما كان يتاح فيه للمتلقى توجيه الأسئلة والتفاعل الذى يتبحه رجع الصدى من المستقبل إلى الرسول عليه ، وهى الميزة التي يفقدها الاتصال الجماهيرى المعاصر . ذلك أن الرسول عليه كان يقطع خطبته للحاجة تعرض ، والسؤال لأحد من أصحابه فيجيه ثم يعود إلى خطبته فيتمها . وكان عليه فيمرية ثم محقد الى فيطبته ،

فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها . ولم يكن يأخذ بيده سيفا أو خلافه ، وإتما كان يعتمد على عصا أو قوس قبل أن يتخذ المتبر ، وكان يخطب للنساء على حدة في العيدين ويحرضهن على الصدقة .

ولقد كانت الخطابة من أهم وسائل الرسول عَلَيْكُ في الانصال الجمعى في الإعلام الإسلامي بعد الجهر بالدعوة مباشرة ، حين صعد على الصفا حاملا عبء الجهاد من حين نزل قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ . ويذكر ابن كثاهر أن أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله بعد النبي عَلَيْكُ هو أبو بكر رضى الله عنه .

و لما كانت أول جمعة للنبي عَلَيْثُهُ بالمدينة ، خطب المسلمين فكان مما قال :

(الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستعفره وأستهديه ، وأومن به ولا أكفير ،
وأعدى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبله
ورسوله أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلاله
من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الأجل . من يطع الله
پتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى
الله ، فاحلروا ما حدركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك ذكرا . وإن تقوى الله
يوق مقده ويوق عقوبته ، وإن تقوى الله يعنى الوجوه ويرضى الرب ويرفع المدجة ،
خلوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليملم
خلوا بحظكم ولا تفرطوا فى جنب الله ، قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليملم
جاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وسماح المسلمين ليلك من هلك عن بينة ، ويحيا
من حى عن بينة ، فأكاروا من ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه
من حى عن بينة ، فأكروا من ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم ، فإنه من يصلح ما بينه

ر وذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه ، ويملك من الناس ولا يملكون منه ، الله أكبر ولا قوة إلا بالله) .

خطبة الوداع وحقوق الإنسان :

ومن الخطب النبوية الرفيعة تحطبة حجة الوداع ، وهي مشهورة وتعد بعد القرآن الكريم أقدم وثيقة عالمية بمحموق الإنسان .

قال رسول الله ﷺ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

(أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف

أبنا . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من التمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ولكن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربًّا ، وأن ربا العباس ابن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وأن أول دما تكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وكان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس فإن الشيطان قد يفس من أن يعبد بأر ضكم هذه أبدا، و لكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به بما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم . أيها الناس إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عنة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله و يحرموا ما أحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض. ، وإن عدة الشهور عند الله اثناعشر شهرا منهاأربعة حرم ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادي و شعبان . أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا . لكم عليهن ألا يوطفن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فإن انتين فلهن رزقهن و كسوتين بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوال لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانــة الله واستحلم فروجهس بكلمات الله . فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا .. أمرا بينًا كتاب الله وسنة نبيه . أبيا الناس اسمعوا قولي واعقلوه .. تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم. اللهم هل بلغت ؟) . فقال . الناس و اللهم نعم ، . فقال رسول الله (اللهم اشهد) .

ومن خطبة الوداغ استخلص دستورا للإعلام الإسلامي ينص على الدعوة إلى التوحيد الخالص ، والإيمان بالله ، كما ينص على الدعوة إلى وجوب احترام حقوق الإنسان وبخاصة في النقس والمال والعرض ، وإلغاء التعامل بالربا ، وتأكيد حقوق المرأة ووجوب رعايتها ورعاية العلاقة الزوجية والأسرية ، وصيانة الروابط الدينية والأعوية والاتصالية بين المؤمنين . كما تنص هذه الخطبة على إعلان المساواة التامة بين بني الإنسان في الحقوق والواجبات مساواة تامة ، بغض النظر عن اللون والجنس ، وهذا النص يمثل عمادا من أعمدة الإعلام الإسلامي الذي أكلت عليه حطبة الوداع . وهي الخطبة التي

أرست كذلك من مبادئ الإعلام الإسلامي .. التحلير من فتن الشيطان ، والتنبيه إلى وجوب الترام اليقظة ، والحذر من وسائل إفساده للأخوة ، وللاتصال بين المسلمين وتفريق صفوفهم . وكذلك الدعوة إلى وجوب التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، لأنبا الهذي الذي لا يضل من تمسك به .

وقد نصت خطبة الوداع صراحة على أن الإعلام الإسلامي إنما يقوم على أساس من تبليغ الرسالة للناس كافة ، وهذا الأساس يمثل جوهر الإعلام الإسلامي .

صلاة العيدين والاتصال الجمعي :

وصلاة العيدين شعيرة تمثل الاتصال الجمعى فى أروع مظاهره ، فالأعياد بطبيعتها مواسم إعلامية ، والعيدان الكبيران فى الإسلام هما عيد الأضحى وعيد الفطر ، وأنهما هو وأكبرهما هو الذى يأتى بعد مشقة الحيج والتقرب إلى الله سبحاته وتعالى ، وثانهما هو الذى يأتى بعد شهر الصيام ، ويحشل به الصائم وقد راض نفسه على مغالبة الجوع والظمأ وغالفة العادات التى جرى عليها فى سائر الشهور ، وكلاهما _ كم يقول العقاد _ رمز واضح إلى فضيلة التضحية وفضيلة ضبط النفس ، أو إلى الفضيلة الإنسانية الجامعة لكل الفضائل ، وهى حرية الاختيار والقدرة على مغالبة الغرائز والأهواء والعادات .

وصلاة الميدين سنة مؤكدة وشعيرة من شعائر الدين ، وفيها نسمع التكبير ثلاثا نسقا ، فنقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحان الله بكيرة وأصيلا . لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . وفي هذا التكبير تلخيص لرسالة الإعلام الإسلامي حيث يتم التواصل بين المسلمين ودينهم على أتم ما يكون التواصل ، وتصبح الأعياد الإسلامية تجديدا للمودة و الألفة والتعارف بين المسلمين .

فالعيد إذن وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الجمعى فى الإعلام الإسلامى . وقد تكون كلمة العيد باللغة العربية أصدق الكلمات دلالة على ما نعيه . فالعيد يعود كل سنة فى موعد محدد ومعروف ، كما أنه سيوجب مجتمعا مستقرا له دينه ونظامه الاجتماعى القائم على أسس راسخة .

وهذه النورية للعيد أى عودته سنويا فى الموعد المحدد ، صفة من أهم صفات الإعلام بوجه عام . والعيدان الإسلاميان _ وهما عيد الفطر وعيد الأضحى _ كان لهما أصل قديم قبل الإسلام ، فكان العرب يصومون من أسبوع إلى أسبوعين في موعد الانقلاب الصيفى الذي يوافق شهر القيظ ، أو شهر رمضان . وكانوا يحجون إلى الكحبة ويقدمون الذي يوافق شهر القيط عراة القرايين إلى أربابهم عند منصرفهم من الطواف ، وكانوا يؤدون شعائر الحج عراة إلا من الكساء الذي يخصصه السدنة للحج في جوار مكة . فلما كاء الإسلام هذب هذي العيدين وأزال عنها بقايا الصبغة المادية وحوها إلى العيادة الإلهية ، وساعد على زوال الأثر المادي منهما أن الإسلام حرم النسيء ، وهو زيادة شهور على السنة كل بضعة أعوام لإعادة التاريخ القمري إلى الحساب الشمسي الذي تنتظم عليه مواسم الزراعة والتجارة .

الحج والاتصال الإعلامي :

ويمثل الاتصال الإحلامي شكلا من أشكال الاتصال في الدعوة الإسلامية ، إذ يعنى الاتصال على مستوى الأمة ، الأمر الذي يتفق مع جوهر الإسلام كرسالة للناس كافة وليس لقبيلة أو شعب معين ، وهو الأمر الذي لاحظه الأستاذ مو تتجمرى وات عميد قسم المراسات العربية الأسبق بجامعة « أدنيرة » في كتابه و الإسلام والجماعة المتحدة » ، حين ذهب إلى أن فكرة « الأمة » كما جاء بها الإسلام هي الفكرة البديعة التي لم يسبق إلها ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلها ولم تزل إلى هذا الزمن ينبوعا لكل فيض من فيوض الإيمان يدفع بالمسلمين إلى « الوحدة » في « أمة » واحدة ، تحتفي فيها حواجز الأجناس واللغات أمته على أقوام من العرب والفرس والهنود والسينين والمقول والبربر والسود والبيض علي تباعد الأقطار و تفاوت المصالح ، ولم يخرج من حظيرة هذه الأمة أحد لينشق عليها تويز وحدتها ولم شملها ونفي الغرباء عنها .

ويُدَّهُ المَقَادُ(١) إِلَى أَنَّ مُوتَنجِمِرى قد أصاب في التنويه بمعنى و الأُمّة ، في المقيدة الإسلامية ، واعتباره أنه معنى فريد خلقته العقيدة الإسلامية ولم يكن له مرادف في لفة من اللغات قبل و لا بعد الإسلام .

فكلمة Nation التي تقابل هذه الكلمة باللغات الأوربية ، مأخوذة في أصلها من مضى الولادة ، ومفادها أن الولادة في مكان واحدهي الرابطة التي تكسب أبناء الوطن

 ⁽١) عباس محمود العقاد: المجموعة الكاملة ، م ٦ ، الإسلاميات ٢ ، ص ٢٥٠
 (م ٩ ــ نظرية الإعلام

حقوق هذه الوحدة الاجتاعية . وكلمة People تقابل عندهم كلمة الشعب أحيانا باللغة العربية ، وترجع في أصلها إلى السكن والإقامة . وكلا المعنيين ــ معنى الولادة ومعنى السكن ــ قاصر عن الدلالة على و الأمة ؛ التي جاء بها القرآن الكريم في معارض كثيرة تفيد معنى الجماعة الكبرى التي تحيط بشعوب كثيرة ، ويلزم من دلالتها وحدة الوجه الإسلامية في نهاية الأمر .

وإذا كان الاتصال الإعلامي بالمعنى الحديث، وبشكله التكنولوجي، يتجاوز اللقاء المباشر والتفاعل المواجهي ، فإن الحج يمثل قمة الاتصال بين المسلمين الذين يلتقون فيه من كل فيج عميين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولفاتهم ، وتتحقق فيه الدلالة الإسلامية لمعنى و الأمة ، على أفضل نحو ، حيث جعل الله البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وجعل الحج من بين أركان الإسلام ومبانيه عبادة الممر و ختام الأمر وتمام الإسلام وكان الدين فيه ، على حد تعبير الإمام الغزالي رضى الله عنه ، وقد أنول الله عز وجل قوله فإ اليوم أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا كا المائدة ؟ .

وَقَالَ الله عز وجل ﴿ وَأَذَن فَى النَّاسَ بِالحَجِ يَأْتُوكُ رِجَالًا وَعَلَى كُلُّ صَامَرٍ يَأْتِينَ مَن كُلُّ فَحَ عَمِيقَ ﴾ الحج ٢٧ .

وقال قتادة : لما أمر الله عز وجل إبراهيم على وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج ، نادى : بها أيها الناس إلى الله عز وجل بني بيتا فحجوه . وقال تمل في ليشهنوا منافع لهم في الحج ٢ . قبل التجارة في الموسم والأجر في الآخرة . وهذه المنافع تنضمن فوائد إعلامة يطبيعة الحال من حيث تبادل الأفكار والمعلومات في إطار القيم الإسلامية . وقد جعل رسول الله على طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحجج ، والمماراة تناقض طيب الكلام . ولقد اختار الله سبحانه وتعالى أن تكون مكة المكرم منزل الوحي والدعوة الإسلامية الأولى ، وجعلها مصدر الإعلام العربي على قدر ما عند العرب من معزقة ، وبها حج بيت الله الحرام ، ومثبتي العرب في موسمه ، ومنبا أسواق الأدب التي يتبارى فيها الشعراء والحطباء في عكاظ وذي مجاز وعبنة . وبها أسواق الأدب التي يتبارى فيها الشعراء والحطباء في عكاظ وذي مجاز وعبنة . ولا المحلمة ودعوة النبي عليه إلى المحد العرب ، ومنها سار خبر الرسالة الإسلامية ودعوة النبي عليه إلى المون الكرب على العرب من كان يجئ إلى مكة المكرمة بهدف التعرف على أمر ذلك الرسول الكربيم عليه في الدي يوال الذي عليم قول الله تعالى الذي عليهم قول الله تعالى الذي عليهم قول الله تعالى الذي يتعرف ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي على الا عليم قول الله تعالى الذي يتعرف ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي على الا عليم قول الله تعالى الذي يتعرف ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي على الا عليم قول الله تعالى النبي عليه قول الله تعالى المعرب ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي على المعرب ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي على المنا على المنا حضروا وسألوا الذي على المعرب على المنا عشروا وسألوا الذي يتعرف ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي يقائم المنا عشروا وسألوا الذي يتعرف ما يدعو إليه ، فلما حضروا وسألوا الذي عقول الناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناسوالي الدي إلى المناس المناسوالي الدي المناس المناس المناسوالي الدي إلى المناسوالي الدي إلى المناسوالي الدي إلى المناسوالي المناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي المناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي المناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي المناسوالي المناسوالي الناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي الكرب المناسوالي المناسوالي

إن الله يأمر بالعلل و الإحسان وإيناء ذى القرنى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون في . فلما بلغه ما تلا عليهم الرسول على قال : إنه إن لم يكن دينا فهو خلق . الناس أمر حسن ، يابَنى كونوا في هذا الأمر أولا ، ولا تكونوا آخرا . وقد أسلم أبو ذر الغفارى بهذا الإعلام العام الذى اشتبرت به دعوة الني على . كا أسلم على هذا النحو الطغيل بن عمرو إذ جاءه النبأ بدعوة الني على في أرجلا شريفا شاكرا ، وكذلك فعل الجارود بن المعلى وغيرهم من زعماء القبائل الذين دخلوا في الإسلام .

الاتصال الحضاري في الإعلام الإسلامي :

والاتصال الحضارى من أهم أشكال الإعلام الإسلامى ، لأنه يقوم على أسس إسلامية مستقاة من القرآن والسنة ، ويرتكز على التوحيد والإيمان والتسليم والطاعة تله رب العالمين ، ويتفيا الأمر بالمعروف والنبي عن المنكر .

فإذا كان مقياس المدنية الغربية هو التفوق المدى ، فإن الحضارة الإسلامية تقوم على حرية الفكر ، ودعم حرية الإنسان وكرامته ، وتشجيع المعرفة والنظام والمساواة بين الناس في ظل إخاء شامل ، وعلل تام وروحانية صافية واعتزاز بالمثل العليا والقيم الأعلاقية . ذلك أن الحضارة الإسلامية قد استمدت مقوماتها من الإسلام ذاته ، الذي أم صقل الأمة العربية والإسلامية وتهذيبها ، وأودع في شعوبها طاقات جديدة ، وصفى طاقاتها الموروثة فاستأصل منها الغريب والشاذ ومالا يتلاءم مع طبيعة المجتمع المثالى الذي يريده الإسلام .

فالاتصال الحضارى في الإسلام لم ينسخ النظرة الواقعية ، بل اهم بتطويرها ودعا الناس إلى الاهتام بدنياهم إلى جانب الاهتام بدنيهم . كذلك وجه عنايته إلى رفاهية المسلمين ، وتكامل سعادتهم بسعادة الروح والجسد فسعادتهما مكفولتان في الإسلام ولا يطغى حق واحد منهما على الآخو . وهذه التعادلية في الاتصال الحضارى الإسلامي بين المادة والروح ، بين الدنيا والآخوة ، بين العقل والقلب ، مسايرة لطبيعة الإنسان وخلقه ، فهو مادة وروح ، جسد وقلب . ولقد كان المجتمع العربي قبل الإسلام يحيا على واحدة منهما ويهمل الأخرى ، فكانت التيجة الانضاس في الفوضى الوصول إلى هدف منشود .. وتكفل التعادلية بين القوتين في الاتصال الحضارى البقاء للإنسانية والسير قدما ، فالقوانين المادية الوضعية وحدها لا تفي برفاهية الخلق ، ولا تنهض وحدها بحل مشكلات الإنسان .

والمجتمع المتحضر هو المجتمع الأعلاق أو 9 المدينة الفاضلة 8 بتعبير الفاراني . وهنا يغدو الاتصال الحضارى وسيلة لجمل أمور الحياة خاضعة لقانون الأخلاق النابع من جوهر الإسلام ، كدين إنساني عام يخاطب الأم جميعا فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو الملون أو اللغة . فكل إنسان في جوانب الأرض أهل لأن يأوى إلى هذه الأخوة الإنسانية حيث شاء وحين يشاء ، قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نديا كه .

هكذا أعلنها القرآن الكريم دعوة عامة منذ ألف وأربعمائة سنة، وهكذا أعلنها النبي عليه السلام وخلفاؤه الراشدون وتابعوهم الأبرار في صدر الإسلام . ولم يمضر بعقرت من التاريخ الهجرى حتى قامت بينات الواقع على حقيقة الاتصال الإنسانى في الدعوة الإسلامية ، فنان بالدين الجديد أناس من جميع الأقوام والسلالات ، ولم تنقض على الهجرة ثلاثة قرون حتى كان في عناد المسلمين ساميون وآريون وحاميون وطورانيون ، عرب وفرس وترك وهنديون وصيبون وأفريقيون من السود الأثيويين . . وهكذا يتأكد لنا أن الاتصال الحضارى في الإعلام الإسلامي يتسم بالشمه في في عاطة الناس جميعا بلا تفرقة .

يقول العقاد :

وإن دينا من الأديان الأخرى لم يكسب أمة ذات كتاب عريقة في الحضارة ، وإنما
 كانت الأديان مقصورة على العصبية القومية ، أو على تحويل الوثبين الذين درجوا على
 عبادة الأصنام وما يشبه الأصنام من رموز القوى الطبيعية .

ظالوسوية قصرت دعوتها على العبريين أو الهود ، ولما قام المكايبون ليكرهوا قبائل البادية على قيود الشعائر اليهودية كانت هذه القبائل وثنية مغرقة في الجهالة ، وكان المكايبون يؤمنون بالإلله ويهوا ، ملكا تجب له الطاعة على رعاياه ، وكانوا من أجل ذلك يسمون أمراعهم رؤساء كهان ولا يسمحون لهم بلقب الملك وشاراته ومراسمه ، فإكراه القبائل على قبول سلطان و يهوا ، إنما كان عندهم بمثابة الخضوع السياسي الذي يلزم الأحة وأهل السلالة .

والبرهمية ظلت ديانة قومية عنصرية حتى خرجت منها النحلة البوذية ، فنجحت في تحويل الوثيين إليها في الصين والمسيحية تحويل الوثيين إليها في الصين والمسيحية حولت إليها الرومان وغيرهم من الغربين أو الشرقيين ، ولكنهم كانوا جمعا من الغربين أو الشرقين ، ولكنهم كانوا جمعا من الوثنيين اللين وقفوا عند خطوات الدين الأولى ولم يجلوزوها إلى عقائد أهل الكفاب .

أما الإسلام فقد حول إليه على خلاف ذلك أعرق الأم فى الحضارة وفى الإيمان بالعقيلة الكتابية ، فأسلمت فارس وأسلمت مصر وهما على التحقيق أعرق أم العالم يومقذ فى تاريخ الحضارة ، وأولاهما كانت تؤمن بالله واليوم الآخر والحساب والعقاب وغلبة الخبر على الشر وخلود الروح ، وثانيهما كانت تدين بالمسيحية وتحمل لواعها فى العالم القديم .

منه المزية ينفرد بها الإسلام بين جميع الديانات ، وهي آية العالمية والصلاح لدعوة الأمم جمعاء ، سواء منها الأمم المغرقة في الحضارة والدين ، أو الأمم التي لم تبلغ بعد مبلغ الارتقاء في التحضر والاعتقاد (1) .

فالاتصال الحضارى فى الإسلام إذن اتصال موجه إلى الإنسانية جمعاء على توالى المصور واختلاف الأزمان ، وهو ملتزم بما أنزله الله للإنسانية ، وهو سبحانه وتعالى بكل شيء عليم وبعباده رعوف رحيم ، وهو يهدى الناس إلى صراط مستقيم(٢) .

قال تمالي ﴿ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ الأنعام ١٥٣

وقد اشتمل التشريع القرآل على معالم هذا الاتصال الحضارى من مبادئ وقيم تصلح للإنسانية جمعاء ، فالأخوة الإسلامية أصبحت هى الأساس فى الاتصال الحضارى بدلا من العصبية ، والاتحاد أصبح هو العماد الذي يقوم عليه هذا الاتصال الحضارى ، والحياة التي تقوم على الخير هى الهدف المنشود من هذا الاتصال ، وتسمثل هذه الأسسى فى الآيات الكريمة :

﴿ وَلَكُنَ مَنكُمُ أَمَةَ يَدَعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وِيَأْمُرُونَ بِالْمُعُرُوفُ وَيَنْهُونَ عَنِ الْمُنكُرُ وأُولِئكُ هم المُفَلِحُونُ ﴾ آل عمران ١٠٤

﴿ وتعاونوا على المر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد

العقاب في الماثلة ٢

﴿ وَالمَّوْمَنُونُ وَالمُؤْمِنَاتُ بِعَضْهِمَ أُولِياءَ بِعَضْ يَأْمُرُونَ بِالْمُعُرُوفُ وَيَهُونَ عَالَمُنَكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أو لتك سير جمهم الله إن الله عزيز حكم ﴾ التوبة ٧١

وإن كان التشريع القرآني قدرسم على هذا النحو الأسس التي يقوم عليها الاتصال الحضاري القويم، فقد أكد أن تنكّب هذا الطريق واختيار السير في طريق الفساد إنما

⁽١) العقاد: الجموعة الكاملة ، م ٨ ، الإسلاميات ٤ ، ص ٢٣٥

⁽٢) د . إبراهم إمام : الإعلام الإسلامي ص ٥٥

ينتهي بهدم البناء الاجتاعي والحضاري وتقويض أسسه ، ويتمثل هذا الإنـذار للحضارات المنحرفة في الآيات الكريمة :

﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يَغِيرِ مَا يَقُومُ حَتَّى يَغِيرُوا مَا بَأَنْفُسِهُم ﴾ الرعد ١١

﴿ فَلُولًا كَانَ مَنَ القَرُونَ مَن قَبِلُكُمْ أُولُو بِقِيةً يَنْهُونُ عَنِ الفساد في الأرض إلا قليلا ممَّن أتمينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ه وما كان ربك ليهلك القدى يظلم وأهلها مصلحون ﴾ هود ١١٦ - ١١٧

في يعتم والله تستمون في الرود ١٠٠٠ من المام الله المام ا

تدميرا ﴾ الإسراء ١٦

والأمثلة على انهيار الحضارات كثيرة ، فها هو محمد إقبال يقول و مثلت حضارة القرب دورها وقد شاحت وهرمت ، أينعت كالفاكهة وحان قطافها ، وسوف ينهار العالم الذى حوله مقامرو الغرب إلى حالة من الفساد ، ولقد رأت أوربا بعينها النتائج المنيقة لمثلها الاقتصادية والأخلاقية والعلمية ، ولسوف تتمخض الإنسانية عن عالم جديد ، وهذا العالم لا يحسن تصميمه إلا من بني للبشرية البيت الحرام ، وورث محمدا وإبراهم قيادة العالم » .

ولقد تنبأ المؤرخ الإنجليزى توينى بانهيار حضارة الغرب المعاصرة كما انبارت حضارة روما ، ويذهب كولن ويلسون إلى أن عالم اليوم بمر بنفس الظروف الني مرت بها حضارة الرومان . وكتب و جيبون ، في كتابه وانهيار الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ، يقول و إن روما تحولت إلى حضارة لا تفكر إلا في الجنس والحرب ،

والتشريع القرآني بين الأسس القويمة للاتصال الحضاري السوى كما بين عوامل هدم الحضارات المنحرفة ، ويذكّر المؤمنين على الدوام بنعمة قيام الأمة المتحدة المؤتلفة بعد تنازل ، ويحلر من الجاهلية التي تعيد الفرقة بعد الوحدة ، ويتضمح ذلك في الآيات الكريمة :

﴿ يَا أَيَّا اللَّذِنِ امَنُوا اللَّهُ اللَّهِ حَلَى تَقَاتُهُ وَلا تَمُونَ إِلَّا وَأَنْمَ مسلمونَ ه واعتصموا يحيل الله. جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ آل عمران ١٠٢ ــ ١٠٣

﴿ وَأَطْيِعُوا اللّٰهِ وَرَسُولُهِ وَلا تَنازَعُوا فَتَقَشَّلُوا وَتَذْهُبُ رَيْحُكُمُ وَاصْبُرُوا إِنَّ اللّهُ مَع الصابرين ﴾ الأنفال 21

وتأسيسًا على هذا الفهم تحاول استخلاص مظاهر الاتصال الحضاري في الإعلام الإسلامي فنجد أنه يقوم على الشوري والعدل كركنين أساسيين للوسلة والهدف. وتبين الآيات الكريمة هذا التحول من النظام القبلي إلى الاتصال الحضارى في الإعلام الإسلامي :

ً ﴿ يا أَيَّهَا الذَّنِينَ آمَنُوا أَطْيِعُوا اللَّهِ وَأُطْيِعُوا الرَّسُولُ وأُولَى الأَمْرِ مَنكُم فإن تنازعم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ النساء ٩ ٥

﴿ فَهَا رِحْمَة مِن الله لنت هم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله في آل عمران ١٥٩ و الوالسلام في تجدده وتجديده وانطلاقه وامتناده ليس إلا تفسيرا حقيقيا للطبيعة المتجددة والطبيعة الممتندة في الحياة ، فالله جل شأته قد مد الظل ولو شاء لجعله ساكتا ، كا قال في محكم آياته . والله لم يجعل الليل سرمدا ولم يجعل النهال سرمدا ، ولكن جعلهما ليل تالم وقت الكون عند نها دائم وحسب أو ليل عمو عليه الأحياء .

والإسلام من طبيعته التجديد وليس من طبيعته الجمود ، وآية ذلك دعوته الدائمة إلى العلم وحثه عليه . وقد أعلى الإسلام من شأن العلم ولم يساو بين عالم وغير عالم ، لأنه يريد للناس والإنسانية أن يتجددوا مع الحياة ، ولا يقفوا بها عند حد معين .

ولعل إيراد بعضى آيات من مادة و العلم ع في القرآن يساند هذه القضية ، فالقرآن يقول في يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أو توا العلم درجات كي ، ويقول في بل هو آيات بيئات في صدور الذين أو توا العلم كي ، ويقول في شهد الله أنه إلا هو والملاكة وأولو العلم قائما بالقسط كي ، ويقول في وزاده بسطة في العلم كي ، ويقول والملاكة وأولو العلم قائما بالقسط كي ، ويقول في وزاده بسطة في العلم كي ، ويقول لي لملمون كي فالعلم متخير ، متجدد ، قابل للنطور والارتفاء ، وليس كذلك العبادات . ومن هنا كانت دعوة الإسلام إلى العلم ، لأنها دعوة إلى التجديد في الحياة .

وليس المقصود بالعلم هنا هو علم الدين كما فهمه بعض الجامدين من المسلمين ، وجاراهم فيه خيثاء المستشرقين والباحثين في الإسلام عمن أمثال و سيكار ، الفرنسي الذي ملاً مجلة ومراكش الكاثوليكية ، في الثلاثينات من هذا القرن بادعاءات وطعون في الإسلام زعم فيها أن الإسلام لم يدع إلى العلم بمفهومه العام ، ولكنه دعا إلى علم الدين ، وذلك ليجرد الإسلام من فضيلة اللحوة إلى العلم مطلقا والحث عليه .. ونسى المسكين الحديث النبوى (اطلبوا العلم ولو في الصين) فلو كان العلم هنا دينيا ما دعا النبي إلى طلبه في الصين ، لأن أهلها من عباد الأوثان .. وهذا الحديث عما رواه العقيلي ، وابن عدى ، واليهقي وابن عبد البرعن أنس . والإسلام _ في دعوته إلى التجديد والانطلاق في آفاق الكون ، والنظر في ملكوت السموات والرُّرض ، وعلم الجمود عند حد معين _ لم يجر على سنن غريب عليه ، وليس منه . . فهو في ذاته مجدد مصلح منذ أن دعا النبي إلى سبيل ربه . . وهو أبو التجديد ورائده . . وخاصة في كثير من شفون التشريع ، فقد أتى على نظم الجاهلية وأدخل عليها من التجديد والإصلاح ما جعله حريا بأن يوصف بالتجديد لا بالجمود . .

لقد قلل من تمدد الزوجات وكان مطلقا بلا قيود ، وجعل نظام المواث يتسع ليقبل المرأة والصغار من أيناء الميت . فقد روى عن ابن عباس أنه قال « لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها للولد الذكر والأنثى والأبوين كرهها الناس وقالوا : تعطى المرأة الربع والتمن ، وتعطى الإبنة النصف ، ويعطى المعلام الصغير ، وليس من هؤلاء أحد يقاتل القوم ولا يحوز المنهمة » . وهذا يدل على أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغار من أباء الميت ، وإنما يدل على أنهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا المعلم من أبداء الميت ، وإنما يورثون من يلاق العدو ويقاتل في الحروب .

وإذا كان الإسلام قرينا للتجديد وداعيا له ، فما بال المسلمين قد تأخروا وخاصة و القرون الأخيرة إلى البوم ؟ الحق أن هذا التأخيرة إلى البوم ؟ الحق أن هذا التأخريس من الإسلام ، ولكنه من المسلمين حين جدوا وركنوا إلى التوقف ، بل مالوا إلى معاداة العلم وعاربة الإصلاح وسدوا على أنفسهم باب الاجتهاد . وإلا فكيف نعلل ازدهار الإسلام وقوة المسلمين وتقدمهم فى القرون الأولى للإسلام ، وتأخرهم وهوانهم على الناس وعلى أنفسهم فى العصوور الأخيرة ، مع أن الدين واحد والعبادات واحدة ؟ الحق أن طرائق المسلمين الآن غير طرائق المسلمين التن المراق مسبيل الله .

الغصير لالسابع

الدعوة الإسلامية وتطور الإعلام الإسلامي

عاول فى هذا القصل أن نعرض عرضا سريعا لتطور الإعلام الإسلامي، فى إطار منهج الدعوة الإسلامية عبر التاريخ فيما بعد البعثة النبوية المباركة.. فى محاولة لتحليل الموسائل التى اتبعت فى نشر الإسلام بالإعلام وحمه ، ودور الدعاة والتجار فى هذا المجال أن انتشار الإسلام لم يتم بالفتح وحمه ، لا سيما فى الشرق الأقصى على شواطئ المحيط الهادى ، وأو اسطو جنوب إفريقيا . ولذلك نحاول أيضاأن نعرض عرضا خاطفا لكيفية دعول عشرات الملايين فى الإسلام بدافع الاقتناع الذاتى عبر وسائل الإعلام المختلفة باختلاف العهود والعصور.

منهج الإعلام الإسلامي:

ذلك أن القرآن الكرم قد حدد منهج الدعوة الإسلامية ، وهو المنهج الذي يدحض حجح بعض المستشرقين حول كون القوة عاملا هاما في انتشار الإسلام . فالمهج القرآني في الإعلام الإسلامي يتضح من الآيات الكريمة التالية:

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ البقرة ٢٥.

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ النحل ١٢٥.

﴿ لَكُمْ دَيْنَكُمْ وَلَى دَيْنَ ﴾ الكافرون ٦.

﴿ فَإِنَّا عَلِيكَ البَّلاغِ وعلينا الحساب ﴾ النحل ١٤٢.

﴿ فَذَكَر إِنَّا أَنت مَذَّكُم ، لست عليهم بمسيطر ﴾ الغاشية ٢١ ، ٢٢ .

وهذا المنهج القرآني هو الذي جعل الكثير من الناس يدخلون في الإسلام حبا وطواعية واقتناعا لا خوفا من السيف، بل إنهم احتملوا السيف في سيل الله على نحو ما نعرف عن مسلمي مكة. أما مسلمو المدينة فقد أقبلوا على الإسلام معتقين مقتنعين، ذلك أن الإيمان بالله وحده هو أساس قيام المجتمع الإسلامي في الماضي والحاضر والمستقبل. وعن هذا الإيمان تتحقق أهداف الإعلام الإسلامي في تقوية أواصر الترابط وحسن العلاقات بين الأفراد والشعوب، والاستعداد والإعداد للدفاع عن الحق والمثل العليا.

الدعوة الإسلامية لم تتصر بالسيف:

من أجل ذلك لم تتصر الدعوة الإسلامية في غزوة أو معركة فحسب، وإنما انتصرت انتصارا كونيا غير مجرى التاريخ، ونظم مسيرة الإنسان في العالم، ولقد سئل رسول الله على الله على العالم، ولقد سئل رسول الله على الله على الله عقال للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى، فمن في مبيل الله ؟ . وقال (من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو في سبيل الله) . ومن هذا الحديث ومن منهج القرآن في الدعوة الإسلامي في الإنسام في الإنتاع بالحجة والمجادلة والموطقة الحسنة . ذلك أن الحروب والفتوحات في الإسلام لم يقصد منها إكراه أحد على الدعول في الإسلام ، وبلالك استبعد الإسلام و وبلاتها لا في الحروب والفتوحات التي تثيرها المصبية الدينية بهذا المعنى ، والتي ذاق العالم من و وبلاتها لا في الحروب الصليبية المعروفة فحسب ، ولا في الاضطهاد الأسباني للمسلمين في الأندلس فحسب ، بل في كثير من بقاع الأرض، وفي كثير من أدوار التاريخ ، والتي في الأندلس فحسب ، بل في كثير من الموار التاريخ ، والتي غير عنوان التعصب الديني (1) .

و لقد تبين في الفصل السابق كيف أن الإعلام الإسلامي إعلام إنساني ، يستبعد من حسابه الحروب كما يستبعد سيادة عنصر أو تغليب جنس. فالناس قد جعلوا شعوبا وقبائل ليتعارفوا، لا ليستلل بعضهم رقاب بعض ولا ليسود جنس أو شعب. ومن ثم يتعين باعث واحد وهدف واحد للفتح الإسلامي هو الذي قال عنه الرسول مَلْقِيْكُمْ (لتكون كلمة الله هي العليا).

ويتضمن هذا المنهج الإسلامي في الإعلام أن يصبح الإسلام نله هو دين البشرية كافة، يقول الله تعلل فح إن الدين عند الله الإسلام في، فح ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه في. وما كان الجهاد إلا سبيلا لبلوغ تلك الغابة السامية، بعيدا عن الإكراه في الدين. يقول الله تعالى فح أمانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ? في . فالاختيار والجرية من الفؤاهر الإنسانية في الإعلام الإسلامي، والإكراه والقسر من الوسائل الاستهدادية التي تتنافى وطبيعة الإسلام التي تكفل حرية الفرد فيما يعتقد، كما تكفل حرية الإعلام الإسلامي. لأن الإكراه على الإيمان يضاد طبيعة الحياة التي يعيشها الإنسان على الأرض، كم يضاد طبيعة الإنسان ذاتها التي يخاطبها الإعلام الإسلامي. وهذه الطبيعة الإنسانية هي التي كرمها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم حين قال جل

⁽١) سيد قطب: دراسات إسلامية ، ص ٣٨

شأنه ﴿ وصور كم فأحسن صور كم ﴾. غافر ٢٥ ، كا زود الله سبحانه وتعلل الطبيعة الإنسانية بالإمراك والشعور ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطقة أمشاج نبتايه فجعلناه سميعا بهسرا ﴾ الإنسان ٢ . وهذا الإدراك الإنساني هو الذي يتعامل معه الإعلام الإسلامي، تاركا للإنسان الحكم على ما يرى أو يسمع أو يفكر ، وأن يرجح بين أشياء أو أطراف ويخار ما يرجح بين أشياء أو أطراف ويخار ما يرجح لديه بأنه أصوب أو أفضل.

فالإكراه مرفوض في الإسلام الأمر الذي يجعل الإعلام الإسلامي ناهضا على أسس من الحرية الإنسانية في الاعتقاد والإيمان، وهو لذلك يتوسل إلى الطبيعة الإنسانية بالإقناع الإنساني المهلب الذي حدد منهجه القرآن الكريم في الدعوة بالحكمة والموعظة الحياة والمجادلة التي هي أحسن.

والجهاد فى الإسلام يمهد الطريق لحرية الإعلام الإسلامي ، بقوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ﴾ . ذلك أن الجهاد يتبع الإعلام الإسلامي أداء الرسالة من خلال مقاومة القوى المادية التي تتمثل فى الجبابرة والطفاة والأكاسرة ، لتهيئة مناخ حرية الدعوة وحرية الاعتقاد وحرية الإعلام الإسلامي . فكل قوة مادية تقوم فى وجه هلم الحرية هي قوة معتدية ، وفي هذا السبيل كان الجهاد وكانت الفتوح الإسلامية فى عهدها الأول حيث انتشر الإسلام فى داخل الجزيرة وخارجها . ولم يتقرر الجهاد إلا في حالة من حالين : الوقوف بالقوة المادية فى وجه الدعوة السلمية والإعلام الإسلامي ، أو الاعتداء على حرية العقيدة وفتة المسلمين عن دينهم أفرادا أو جماعات .

الفتوحات الإسلامية وانتصار الدعوة:

فالفتوح الإسلامية إذن كانت تستهدف تحقيق رسالة الإسلام ليكون هو دين البشرية كافة، لا عن طريق الإكراه، ولكن عن طريق الدعوة والإقناع والإعلام. 3 وضمانا لحرية الدعوة، ولحرية العقيدة، ساقت الجيوش وخاضت المعارك، وقنحت البلاد بعد أن قدمت الدعوة بين يديها وأعلنت أنها الفاية الأولى والأحيرة.

ومن ثم تنهاوى جميع الأباطيل والمفتريات التى تقوَّها الغربيون على الفتوحات الإسلامية. طبيعتها ويراعثها، والتى نشأ بعضها عن التعصب الدينى ضد الإسلام والمسلمين، ونشأ البعض الآخر عن سوء النفسير بسبب قياس المؤرخين الغربيين لفتوحات الإسلام على فتوحاتهم هم، وقياس بواعث الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الإسلامية على الفتوحات الإسلامية على

⁽١) سيد قطب : الرجع السابق ، ص ٤٢

وقد نحيح الإعلام الإسلامي في أداء رسالته النابعة من الإسلام كعقيدة يقوم عليها نظام اجتماعي متميز عن سائر النظم الاجتماعية التي عرفتها البشرية، ومن خصائص الإسلام التي أدت إلى نجاح الإعلام الإسلامي أن الإسلام عالمي مبرأ من العصبية المنصرية ومن التعصب الليني، ومن ثم فهو يسمح لكل إنسان أن ينضم إلى موكبه في يسر ، وأن يتمتع فور اعتناقه بكافة الحقوق التي يتمتع بها أول مسلم من أي جنس ومن أي قبيلة . ﴿ يا أيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنشي وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن آكرمكم عند الله أتفاكم ﴾ الحنجرات ١٣

ومن الصور الرائعة في الإقناع عند الدعاة الأوائل في الإسلام ما يرويه المؤرخون حول قصة خالد بن الوليد والرومي جورج أو جورجة كا يرد في بعض المصادر الإسلامية القديمة . وهي قصة تتضمن ثلاثة دلالات لها صلة بموضوعنا هذا من قرب ، وتعني . أولا حان الدعاة المسلمين على الرغم من أنهم قدا كرهوا على القتال فؤنهم أيلوا بلاء حسنا وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ، وفي الوقت نفسه لم يضرهم النصر بالسيف ويدفع بهم إلى الإممان في القتال ، بل كانوا يؤثرون الدعوة السلمية بالإقناع والمجادلة والمبادلة الحسنة على الاستمرار في القتال .

ثانيا _ أن موقف خالد مع القائد الرومى كشف عن منهج الإعلام الإسلامى من حيث الندرج في الإقناع والصبر عليه والصدق فيه، الأمر الذي يجعل المتلقى في هذه الحالة يقبل على الدعوة الإسلامية إقبال الشب المقتنع الذي يتحول إلى مدافع عنها بكل ما يملك من غال ونفيس.

ثالغاً _ أن الحوار والجدل بين حالد وبين القائد الرومي جورج انتهى بالتأكيد على ما سبق أن ذكر ناه حول عالمية الإسلام وتبرئته من المصبية العنصرية والدينية ، فأكرم الناس حد الله اتقاهم في الإسلام.

فالقائد الرومي جورج يخرج من ممسكره متحديا أمير جيش المسلمين خالد بن الوليد أن ييرز له . فلما برز له وتقاربا بجواديهما وقد أمن كل منهما صاحبه دار الحوار الآتي بصوت خفيض:

_ أصدقني ولا تكذبني يا خالد فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع.

ـــ فيم يا جورج؟

_ مَلْ أَنْوَلَ اللهِ عِلى نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه ? فلا تسله على قوم إلا هزمتهم ؟

- ـــ لا والله.
- _ لماذا سميت بسيف الله إذن؟
- _إن الله سبحانه بعث فينا نبيا دعانا، فنفرنا و نأينا عنه، ثم إن بعضنا كذبه وباعده. و قاتله .
 - _ وهل كنت من ذلك البعض؟
 - ـــ نعم، ثم إن الله أخذ بقلوبنا فهدانا به فتابعناه.
 - _ أهو الذي سماك سيف الله؟
 - _ نعم. قال (أنت سيف من سيوف الله سله على المشركين).
 - ــ وإلام تدعوني ؟
- _إلى شهادة ألا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله .
 - ـــ وما منزلة من يدخل فيكم اليوم؟
 - ـــ منزلتنا واحدة فيما فرض الله علينا شريفنا ووضيعنا، أولنا وآخرنا.
 - ـــ وهل لمن دخل فيكم اليوم مثل ما لكم من الأجر؟
 - ـــ نعم وأقضل.
 - _ كيف يساويكم وقد سيقتموه ؟
- _ إنا دخلنا في الإسلام وبايعنا نبيه وهو حي بين أظهرنا تأتيه أعيار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات .. وحتى لن يرى مار أينا ويسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع . وأنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحبيعيج .. فمن دخل اليوم في الإسلام بقيقة و فية صادقة كان أفضيا . منا .
 - _ والله لقد صدقتني. أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.
- بهذا التدرج فى الإنتاع يتضح ما نعنيه بإنسانية المتبح فى الإعلام الإسلامى. واعتباره أن السيف تجرد وسيلة لتهيئة المناخ الملائم للدعوة التى تعتبر هى الأصل، والسيف هم الاستثناء.
- بل إن الصلبيين حينا جاءوا إلى الشرق إبان ضعف الخلافة العباسية بهدف محاربة . الإسلام والقضاء عليه، لم يتحقق لهم حلمهم، وإنما اعتنق الإسلام جموع كثيرة منهم

انخرطت فى صفوف المسلمين تحارب أبناء دينها الأول من الصليين . يقول تو ماس أراؤ لذ اجتذبت الدعوة المحمدية إلى أحضانها من الصليين عندا مذكورا حتى المهد الأول ، أى فى القرن الثانى عشر ، ولم يقتصر ذلك على عامة النصارى بل إن بعض أمراتهم وقادتهم انضموا أيضا إلى المسلمين حتى فى ساعات انتصار المسيحين ٤ . وحينا تعرض الإسلام فجمات المغول الضارية وقف رجاله فى مواجهتها بالعقيدة ، وسرعان ما دخل المغول فى الدين الذى حاربوه ، يقول سور تو ماس أر نولد الا يعرف الإسلام من بين ما نزل من خطوب وويلات خطبا أعنف قوة من غزوات المغول ، فلقد انسابت جيوش جدكيز خان ، واكتسحت فى طريقها المواصم الإسلامية وقضت على انسابت جيوش جدكيز خان ، واكتسحت فى طريقها المواصم الإسلامية وقضت على ما كان بها من مدنية وحضارة ، على أن الإسلام لم يلبث أن نهض من رقدته وظهر من بين الأطلال ، واستطاع بواسعلة دعاته أن يجلب أو تحك الفاتحين البرابرة و يحملهم على اعتلاله ٤٠٠

ويذهب المؤرخون المنصفون (١) ، إلى أنه لا علاقة بين انتشار الإسلام وبين حروب المسلمين مع الفرس والروم ، فقد كانت الحروب تشتمل وكان المسلمون ينتصرون ، ثم تتوقف الحروب وتتوارى السيوف ، وحيتلا يتقدم النحاة ورجال الإعلام الإسلامي فيشرحون نظم الإسلام ومبادئه ، وكانت هذه الدعوة السمحة تجلب لها الناس وبخاصة عندما رأت الشعوب المغلوبة الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه ، وبين بساطة عمر ابن المخطل وسماحته و تواضعه ، وبالدعوة والإعلام الإسلامي دخل الناس أفواجا في الدين الجديد ، فمنهم من أسرع في اعتناقه ، ومنهم من دخل بعد عام أو محسة أعوام أو

ويقول أحدهم و إن غالية أهل الشام ومصر السفلي في القرن التاسع الميلادي كانت لا تزال مسيحية ، على الرغم من أن الإسلام كان قد مضى عليه في هذه البقاع أكثر من فرنين ٢٠١٥).

فالإسلام لا يكره أحدا على اعتناقه ، ولذلك يجيء الإعلام الإسلامي ليقوم بالإفناع والموعظة الحسنة ، على نحو ما نعرف من دعول الإسلام إفريقية كل يقول أحد المستشرقين ذلك أن الإعسلام الإسلاميي قد توسل بالثقافيسة والفكسر والدعسوة ، فانتشر الإسلام بين شعوب البرير ، وقامت خلف الصحراء دول إسلامية لعبت في التاريخ دورا كبيرا (٣) .

 ⁽١) عرا) د . أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ج ١ ، ص ٢٧٩
 (٣) د . أحمد شلبي : المرجع السابق ، ص ٠ ٣٨

وعن انتشار الإسلام في إفريقية يقول الكاتب المسيحي الفرنسي هويير ديشان حاكم المستعمرات الفرنسية بإفريقيا حتى سنة ١٩٥٠ (١٠).

و إن انتشار دعوة الإسلام بإفريقيا لم يقم على العكس وإنما قام على الإقتاع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق بدينهم، وكثوا ما اعتقت انتشر الإسلام بالتسرب السلمى البطيء من قوم إلى قوم ، فكان إذا ما اعتقت الأرستقراطية وهي هدف الدعاة الأول تبعنها يقية القبيلة . وقد يسر انتشار الإسلام أمر أحمر هو أنه دين فطرة بطبيعته ، سهل التبلول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التيلول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التيلول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التيلول ، لا لبس ولا تعقيد في عباد التيكيف والتعليق في عناد الشخص لإعلان إسلام موى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين . وقد حبب الإسلام إلى الإفريقيين مظاهره البعيدة عن التكلف ، مثل الثوب المضفاض والمسبحة و الكتابة العربية والوقار الديني وشعائر المصلاة ، نما يضفى على المسلم مكانة مرموقة وجاذبية ساحرة ، فالذي يدخل في الإسلام ولو في الظاهر يشعر بأنه أصبح ذا شخصية عترمة ، وأنه قد ازداد من القوة والحيوية » .

تلك شهادة شاهد من أهلهم تؤكد الحقيقة التاريخية للانتشار الإسلامي بالإقناع والإعلام ، وتدحض ما يزعمه الزاعمون حولر انتشار الإسلام بالسيف .

الإعلام الدولي والاتصال التدويني في عهد الرسول :

و هكذا دخل الناس ويدخلون إلى ما شاء الله في الإسلام أفواجا ، فحينا كان الرسول وللمسلخ في حياته أكثر من مائة وللمسلخ في حجمة الوداع آخر سنة عشر من الهجرة ، دان بالإسلام في حياته أكثر من مائة ألف ، واللدين لم يكونوا معه في هذه الحجة أكثر منهم أضعافا مضاعفة ، فلقد تمكن الإسلام من أنفس هؤلاء جميعا ، ولما كان الإعلام الإسلامي عاما بنعش القرآن الكريم ، توسل الرسول و المحمى والاتصال الشخصى والمحمى ، فأرسل كتبه ودعاته إلى الملوك ورؤساء الأثم يدعوهم إلى الإسلام حتى لا يكونوا من يصد عنه أو يقف في سبيل دعوته .

وقد اختار عليه السلام من أصحابه رسلا لهم معرفة وخيرة بالإعلام الإسلامي وأرسلهم إلى الملوك ، فاختار دحية بن عليفة الكلبي رسولا إلى ملك الروم وكتب له كتابا هذا نصه :

 ⁽۱) هوبير ديشان : الديانات في إفريقية السوداء ، ص ١٢٨ -- ١٣٩ -- د . أحمد شلي : المرجم السابق ، ص ١٨٨

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن تتول فإن إثم الأكارين عليك) .

وتحفل المصادر بروايات عنلفة عن كيفية استبال هرقل لدحية ، وإن كانت تجمع بمعا على الأثر الإنجابي لرسالة النبي عليه ، ومن ذلك أن هرقل بمجرد أن قرأ الكتاب استدعى أعوانه ودعاهم إلى اتباع ما يشر به كتابهم المقدس من قبل من أمر محمد الوارد في الإنجيل ، وكان رد الفعل من جانبهم مباشرا و مخالفا لما أراد ، فما كان منه إلا أن رجع عن ولته الأولى وخاطبهم بقوله إنه إنما قال ليتأكد من مدى اقتناعهم بدينهم ، وقد تين له ذلك بما لا يدع عمالا للشك .

و تذكر رواية أخرى عن ابن إسحاق ، أن هرقل قال للحية حين بلغه الكتاب و ويمك ! والله إلى أعلم أن صاحبك نبي مرسل ، وأنه اللني كتا نتنظره و مجده في كتابنا ، ولكني أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لا تبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر له كني أخاف الروم على نفسى ولولا ذلك لا تبعته ، فاذهب إلى ضغاطر الأسقف فاذكر لله ي . قال فجاء دحية فأخيره بما جاء به رسول الله عقلية إلى هرقل و بما يدعوه إليه ، فقال ضغاطر : صاحبك والله نبي مرسل نعرفه بصفته ونجده في كتابنا باسمه . ثم دخل الكتيسة فقال : يا معشر الروم إنه قد جاءنا كتاب من أحمد يدعونا فيه إلى الله عز وجل ، وإلى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن أحمد عبده ورسوله . قال فوثبوا عليه وثبة رجل واحد فضر بوه حتى قتلوه . فلما رجع دحية إلى هرقل فأخيره الخير قال : قد قلت لك إنا نخافهم على أنفسنا ، فضخاطر والله كان أعظم عندهم وأجوز قولا مني .

واجتمع الروم على حرب المسلمين حينا بلغهم مجىء زيد بن حارثة ومن تبعه وكانت وقعة مؤتة ، كأنهم أرادوا أن يستأصلوا الأمر قبل استفحاله . ولكن القرآن الكريم كان قد جلث المسلمين من قبل عن هزيمة الروم و سورة الروم ١ ، وفي ذلك صورة من صور الإعجاز الإعلامي في القرآن الكريم ، وإخباره عن أمور وقعت في المستقبل وما كان لأحد أن يعلمها إلا من قبل العليم الحكيم اللطيف الخير الذي لا يغيب عن علمه شيء في السماء ولا في الأرض . ومن ذلك إخبار القرآن الكريم عن هزيمة الفرس بعد غلبم ، فقال سبحانه ﴿ ألم ه غلبت الروم في أدني الأرض وهم من بعد غلبم ميظبون ، في بضع سين ﴾ الروم ١ - - ٤

وقد حدث ما أخير به القرآن .. فقد دارت رحى الحرب من بعد ذلك و هزم الفرس فى بضع سنين ، وما كان النبى عليه من حضر هذه الحرب و عرف سبب الغلب وما يتوقع من بعده .

ولقد توسل النبي على الإعلام التنويني في الدعوة الإسلامية والاتصال الدولي ، فيمت عليه السلام شجاع بن دهب من بني أسد بن خيمة الماللة بن الحارث بن شحر الفسانى صاحب دمشق وكتب إليه (سلام على من اتبع الهداي و آمن في . إنى أدعوك إلى الفسانى صاحب دمشق وكتب إليه (سلام على من اتبع الهداي و آمن في . إنى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحمله الكتاب قال 8 من بنزع ملكى منى ؟ أنا سائر إليه ٤ ، ولم يسلم . و بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملكى منى ؟ أنا سائر إليه ٤ ، ولم يسلم . و بعث عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي بكتاب يدعوه فيه إلى الإسلام و يطلب منه أن يرسل جنفرا ومن معه من مهاجرى الحيثة . ففعل النجاشي ما طلب منه فأرسل جعفرا وأجاب إلى الإسلام . كما أعلن بكتابه ، ولما إلم الرسول وفائه صلى عليه بالملدينة .

كم بعث عبد الله بن حلماقة السهمي إلى كسرى ومعه كتاب فيه (بسم الله الرحن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى و آمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا . أسلم تسلم فإن أبست فإنما عليك إثم الجوس) .

فَعْرَق كسرى كتابه ، ولما المغذلك رسول الله على المراق الله ماكه) . ثم كتب كسرى إلى باذان عامله على اليمن : ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جلدين فليأتياني به . فاختار باذان رجلين من عندك وبعثهما بكتاب إلى رسول الله يأمره جلدين فليأتياني به إلى رسول الله يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى . فلما قدما المدينة وقابلا النبي على قال أحدهما و إن شاهنشاه ملك الملوك كسرى قد كتب إلى الملك باذان يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك كسرى قد تمم على أليه فقتله وأخذ الملك الذات الموقت كان شهرويه بن كسرى قد قدم على أليه فقتله وأخذ الملك انفسه ، وعلم رسول الله الخبر من الوحي كأخيرهما بذلك فقالا و هل تدرى ما تقول ؟ إنا قد نقمنا عليك ما هو أيسر من هذا ، أفكتب هذا عنك وغيره الملك ؟ ٩ قال (نعم أخبراه ذلك عنى ، وقولا له إن أسلمت أعطينك ما تحت يدك وملكتك على قومك من الأبناء) . فخرجا من عنده حتى قدما على باذان فأخبراه الخبر ، وبعد قبل جاء كتاب بقتل شهرويه لأيه من وقال له شيرويه في عاباذان فأخيراه الرجل الذي كان كتب فيه أنى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أنى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أنى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أنى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أنى إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أن إليك فلا تهجه حتى يأتيك أمرى ٤ . و كان كتب فيه أنه إلى خارى ما إلى نوم الأبناء .

(م ١٠ ــ نظرية الإعلام)

وبعث حاطب بن أنى بلتعة إلى المقوقس عظيم مصر فلم يسلم ، وهو الذي بعث إلى رسول الله على الله عن الله رسول الله على المعرب وأهل مصر . وبعث سليط بن عمرو العامرى إلى هوذة بن على الحنفى ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جيفر وأخيه عباد الأ: دين .

بذلك كان عليه السلام قد بلغ الدعوة إلى أكثر ملوك الأرض يعانهم بدعوته ويطلب منهم اتباعه ، وكان هذا الإعلان سببا في إجابة البعض وشاغلا لفكر الآخرين . فلم يلحق بربه إلا ومعظم الجزيرة العربية قد دخلت في الإسلام ، ومعظم الناس في البلدان الأخرى قد بدأوا يفكرون في هذا الدين الجديد ويتناقلون أخباره ، إلى أن تحت الفتوحات فدخلوا فيه أفواجا إذ كانوا قد هيئوا لذلك من قبل .

و هكذا يمكن القول إن انتشار الإسلام لم يتم بالفتح وحده ، وإنما كان الفتح بمنابة
تمهيد الطريق أمام حرية الإعلام الإسلامي وإتاحة الفرصة أمام رجاله ليبلغوا الرسالة
ويؤدوا الأمانة ، لأن الرسول عَلَيْقُ بعث رحمة للعالمين . وكان العالم في تلك العصور يغن
تحت نير ظلم الطفاة والأباطرة المستبدين الذين لا يقرون حرية الإعلام الإسلامي ، ولا
يكنون الرسول عليه الصلاة والسلام من أداء رسائته ، ومن هنا كانت في يعقمة الجهاد .
يقول الله تعالى في كتابه الكريم ﴿ الذين آمنوا يقاتلون في صيل الله والذين كفروا
يقالون في سيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا ﴾

الجهاد وحرية الإعلام الإسلامي :

فحرية الإعلام الإسلامي تقتضي الجهاد بهدف الحفاظ على الإيمان بالله ونشر كلمته . يقول الله تعالى فكابه الكريم ﴿ إن الله يمافع عن الذين آمنوا إن الله لا بحب كل خوّان كفور ه أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير ه الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولو لا دفع الله الناس بعضهم بمعض لهدمت صوامع وبيّع وصلوات ومساجد يُذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز ه الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المذكر ولله عاقبة الأمور ﴾ الحج ٣٨ ــ ١ ٤

فوعدالله سبحانه و تعالى المؤمنين بنصره أمر قرره القرآن الكريم، ويصفهم الله تعالى بأنهم إذا مكّن لهم في الأرض وهياً لهم حرية الإعلام الإسلامي حققوا إيمانهم بالله فى مظاهره من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأداء رسالة الإعلام الإسلامى من أمــر بالمعروف ونهى عن المنكر . يقول الله تعالى فى كتابه الكريم ﴿ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلى الكبير ﴾ الحبع ٢٢

ومن هنا كانت الفتوحات الإسلامية تمهيلا لحرية الإعلام الإسلامي ، فأقبل الناس في مشارق الأرض ومغاربها على اعتناق الإسلام لقوته الفاتية ، وما يتضمنه من مبادئ كريمة ومثل عليها . وكان أمام رجال الإعلام الإسلامي في عهد الرسول عَظْمُهُ ومن بعده، في حياته أسوة حسنة، وما تدل عليه من دلالة عميقة في مسيرة الدعوة الإسلامية . . الدعوة إلى هداية الله . وليس هناك تعبير عن الإخلاص الكامل لله أبلغ من أن تكون حياة صاحب الدعوة إليه كلها وقفا على عبادته والتوجه إليه ، بحيث يصبح صاحب الدعوة المثل الأول للإنسان المؤمن منهجا وتطبيقا . ظهر هذا المغزى العميق في انتشار الإسلام داخل الجزيرة العربية أولا ، ثم ما سمع عنه الفرس والروم وعن انتصاراته وعن مبادئه السمحة بعد ذلك ، لأنهم لأول مرة يسمعون عن دين يدعو إلى المساواة بين الناس ولا يجعل فضلا لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. فكان الفرس يدركون أن جنودهم يحاربون دون رغبة حتى اضطر القائد الفرسي في نهاوند أن يقيد جنوده بالسلاسل حتى لا يفروا ، وسميت هذه الموقعة ؛ موقعة ذات السلاسل ؛ . وفعل الروم مثل ذلك أيضا ، وانتشر في فارس مبدأ الحق الإلهي المقدس، وكانوا معالروم في معارك متصلة. وكانت الشعوب تضج تحت حكم الرومان ، ولذلك كثيرا مارحبوا بحكم المسلمين وانضموا إليهم في الكفاح . يروى البلاذري أن المسلمين بعد أن أحذوا حص أعد الرو مان جيشا كبراً ليستعيدوا به هذه المدينة، ولكن أهل حمس انضموا للمسلمين وقالوا ٥ لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كتا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة معكم ع . وأقسموا ألا يدخل عامل هرقل المدينة إلا إذا غلبوا . ويقول كيوك Kirk (١) و إن غمار أهل المدن و الريف في دول الشرق الأو سط الخاضعة للروم كانوا يعيشون في ضنك من جراء ثقل الضرائب الباهظة و فساد الموظفين ، فلم يدينوا بشيء من الولاء لمذا الحكم، ومن جهة أخرى نجد الكنيسة المسيحية باصطباغها الصبغة الرسمية دخلت في دور الجمود المسيطر على رجال الحكم، ولم يبق في الكنيسة شيء من الإخاء الذي امتاز به صدر المسهجية ، وحصل انشقاق في الكنيسة كان عامل الوطنية من أسبابه ولو أنه اتخذ شكلا دينيا حول تفسير طبيعة المسيح. ولم تثمر محاولات

⁽١) موجز تاريخ الشرق الأوسط، ص ١٤ ـــد. أحمد شلبي : المرجع السابق، ص ٣٩٤

التقريب بين الطوائف المسيحية لأن الكنائس الملية بلول الشرق الأوسط كانت تبغض الأباطرة وحكوماتهم، فكانت التيجة أن توقفت محاولات الأباطرة لاسترضاء شعوب الشرق الأوسط وحلت محلها اضطهادات شنيعة وحشية ، فاتسعت الهوة بذلك بين الفريقين إلى الأبد. وتطورت الأمور في بلاد شرق البحر الأبيض المتوسط حتى بلغت الحد الذي يجعلها لقمة سائفة لأى فاتح يعرض عليهم من الحرية في شفونهم ما لم ينالوه على يد أباطرة الرومان .

و كانت الفرس تستعمر بلاد العراق ، وكان الاضهاد الديني ببلاد الفرس على أشده . وضعف سلطان الساسانيين الذي امتد حوالي أربعة قرون ، وزال حكم يزدجرد الثالث آخر ملوكهم وكان شابا في الحادية والعشرين قليل التجارب ورث دولة ضعيفة لا يستطيع المسيو بها في ركب الحياة » .

وفي ضوء هذه الاعتبارات كانت الفتوحات الإسلامية سبيلا لتوفير حرية الإعلام الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم ، ونذكر هنا ما قاله الدكتور حتى في تكبه تاريخ العرب :

« كان السوريون والمصريون يعتبرون العرب الفاتحين قوما من بنى جنسهم يربطهم ما ما الماسيين . يبهم ما لا يربطهم بأولفك الحكام السابقين الذين كانوا من الأجانب الخاصيين . فالفتوحات الإسلامية من هذه الوجهة هي عند التحقيق انقلاب اجتاعي سياسي استرد به الشرق الأدنى بجده السامي الغابر ، فقت جاء الإسلام مهيبا بالشرق إلى النبوض من كيوته بعد ألف سنة اجتاحته فيها سطوة الغريب ، فاستطاع الشرق بالإسلام أن يهيد قيادته الفكرية ، عشي له يسترجع ما فيه لا في ميدان السياسة فحسب بل في ميدان الثقافة أيضا ، حيث تسنى له أن يهيد قيادته الفكرية » .

ويقول كبرك kirk () و ورأى الأهلون في المسلمين المساواة التي كانوا لا يحلمون بها ، وقام المسلمون بكثير من الإصلاحات التي تنصل بالقضاء والشرطة والطرق والرى والهندسة والجسور . وكان القانون الإسلامي يسرى على المسلمين فقط . أما غير المسلمين فقد ترك الفصل في شئونهم للقانون المدنى الذي كان معمولا به قبل الفتح ، ووضع أمر تنفيذه في يد رؤسائهم الدينين . وهذا هو منشأ استقلال الطوائف الذينية بشئونها المالية ، ذلك النظام الذي ظل سائدا في البلاد الإسلامية إلى وقت انهيار الدولة العثانية ، والذي لا يزال معمولا به في الشعون المالية في معظم ممالك الشرق الأوسط التي لم يوحد فيها القضاء بجعله مدنيا بحتا لا دخل فيه للشريعة » .

Kirk: A Short History of The Middle East, p. 29 (1)

في هذا المناخ الذي وفره الفتح الإسلامي ، قام رجال الإعلام والدعوة الإسلامية يؤدون رسالتهم الإعلامية فيتحدثون عن الإسلام وأخلاقه ومبادئه ، ومن غير إكراه أقبل أهل هذه البلدان على الإسلام معتنقين . وانتشر الإسلام وانتشرت معه اللغة الموبية .. لغة القرآن والإعلام الإسلامي . وأفاد الإعلام الإسلامي من التنظيمات الحيضارية في المدولة الإسلامية ، ذلك أن الإسلام دعوة إلى الحق ، وهو ما جاء به القرآن الكريم خاصا بهداية الناس وبطلب الإيمان بما أنزل فيه من تحديد للصراط المستقيم . وهو في جانب الدعوة إلى الحق لا يجعل للمؤمنين ولاية على قوم ، ويجمهم من أن يمارسوا ضغطا أو إكراها في أية صورة من صور الإكراد للإيمان والإسلام .

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمنوا عليكم أنفسكم لا يضر كم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبككم بما كنتم تعملون ﴾ المائدة ١٠٥

ومن هنا كان المنهج الإسلامي للإعلام واضحا ومحدد! أمام رجـال الدعـوة الإسلامية ، في توفير الحرية في مشيئة الإنسان عندما يدخل في الإسلام .

فالمنهج الإسلامي للإعلام والدعوة إذن يرفض الإكراه في الدين والعقينة ، كما يذهب إلى أن تكون الهناية واضحة تجعل قبول الإسلام لذاته ، كما أن إطار الرسالة الإسلامية للإعلام والدعوة إطار سلمي ، إطار قدوة للعمل الحور المستقيم . فلا يعظ الإعلامي الإسلامي بقول دون أن يحققه هو في سلوكه ، ولا يرفع مبدأ أو شعاراً دون أن يطبقه التطبيق العطل في حياته .

وبهذا المنهج سار الدعاة ورجال الإعلام الإسلامي فى كل البلدان يوجهون دعوتهم إلى الله ، فى إخلاص وتجرد عن الفل والحقد تجاه من لا يؤمن بهذه الدعوة بعد عرضها عليه، مسترشدين بقول الله تعالى فو فإن عصوك فقل إنى برىء نما تعملون في الشعراء ٢١٣

الإعلام الإسلامي في إفريقية:

ونكتفى هنا بالحديث عن انتشار الإسلام فى إفريقية بالإعلام الإسلامى وحده ، والذى استفرق وتنا أطول من الفتوحات الإسلامية الأولى ، حيث زاد فى إفريقية على عشرة قرون . وعن انتشار الإسلام بالإعلام والدعوة فى إفريقية يتحلث الكاتب المسيحى هوبير ديشان الذى كان حاكما للمستعمرات الفرنسية بإفريقية سنوات طويلة ، وشاهد بنفسه تقدم الإسلام وانتشاره .

يقول وإن انتشار دعوة الإسلام بإفريقية لم تقم على القسر ، وإنما قامتُ على الإفتاع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا إلا إيمانهم العميق بدينهم . وكثيرا ما انتشر الإسلام بالتسرب السلمي البطيء من قوم إلى قوم ، فكان إذا ما اعتقته الأرستقراطية وهي هدف الدعاة الأول ، تبعتها بقية القبيلة ، وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين القطرة بطبيعته ، سهل التناول ، لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ، سهل التكويف والتطبيق في مختلف الظروف ، ووسائل الانتساب إليه أيسر وأسهل ، إذ لا يطلب من الشخص لإعلان إسلامه سوى النطق بالشهادتين حتى يصبح في عداد المسلمين (١) ،

وإذاكان و ديشان » قد أوضح أن نشر الإسلام بإفريقية كان بالسلم فإن كاتبا غربيا آخر يؤكد أن نشر المسيحية بهذه الفارة كان يتم فى أكثر الأحوال قسرا وبالعنف والإلزام .

يقول سور توماس أرنولد Sir Thomas Arnold وفي سنة ١٨٧٨ عقد الملك جون مجمعا يضم رجال الكنيسة الحبشية ، وقرروا فيه وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة أنحاء المملكة ، وأثرم المسلمون بالتعميد خلال ثلاث سنوات والوثيون خلال حمس سنوات ، يد أن الملك سرعان ما استطال هذه المهلة ، فأذاع بعد أيام قليلة مرصوما أنفر فيه كل الموظفين المسلمين بأن المهلة المبنوحة لهم هي ثلاثة أشهر فقط » . ويعلق Massain الذي ينقل عنه 17 Arnold إن كثيرين من الموظفين خضعوا لهذا التصير الإجبارى ولكنه كان تنصوا عديم الأثر . ويروى أنه شاهد بعضا من هؤلاء يخرجون من الكنيسة بعد التعميد قاصدين المسجد يلتمسون فيه رجلا مباركا من رجال دينهم يمحو عنهم ما لحقهم من التعميد الذي أرغموا عليه » .

ويقول الرحالة روبل Rubbell إنه كتيرا ما لاحظ أثناء رحلاته ببلاد الحبشة ، أنه عندما يراد شفل منصب من المناصب التى تتطلب أن يكون الشخص أمينا كل الأمانة موثوقا به تمام الثقة ، كان اختيارهم يقع على شخص مسلم (^{۷)} .

وفى ١٨٠٢ م أصدر مجلس العموم البريطانى يحتا يؤكد فيه أن الإسلام قد سما بالإفريقيين الذين اعتنقوه إلى درجة جعلتهم قدوة للآخرين ، وسببا للدخول فى الدين الإسلامى . ومن هذا البحث ما يلى :

و منذ مدة لا تزيد على سبعين عاما ، استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في بلاد تبعد عن سيراليون من ناحية الشمال بما يقرب من أربعين ميلا ، اسمها بلاد الماندنجو وكما هي العادة عند فقهاء هذا الدين و الإسلام ، فتح مؤلاء مدارس تدرس فيها اللمة

⁽١) هوير ديشان : الديانات في إفريقية السوداء ، ص ١٢٨ - ١٢٩

⁽٢) نقلا من توماس أرنولد: السابق ، ص ١٣٩

العربية والعقائد التي جاء بها عمد، وجروا على عادات المسلمين وخاصة في عدم يبع أبناء دينهم يبع الرقيق. وقد أقاموا لأنفسهم شرائع استخرجوها من القرآن واستأصلوا ما كان هناك من عادات تساعد على تخريب الساحل من السكان. وعلى الرغم من وجود كثير من اضطرابات قومية جلبوا إلى البلاد حضارة بلغت درجة عظيمة نسبيا، كا جلبوا إليها الاتحاد والطمأنية، وكان من أثر ذلك أن ازداد السكان زيادة سريعة، هو وانتقل إلى أيديهم شيئا فشيا كل النفوذ في تلك الجهة من البلاد التي يقيمون فها، أما للماندني، ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة، وهناك رؤساء آخرون للماندني، ويعودون ومعهم قسط وافر من الدين والشريعة، وهناك رؤساء آخرون يتحلون الأسماء التي اتقدها هؤلاء المسلمون لأنفسهم بسبب ما يقترن بها من احزام وتوقر، ويبدؤ أنه من المكن أن ينتشر الدين الإسلامي في أمن وسلام انتشارا سلميا في كل المنطقة التي تقع فيها مستعمرة الماندني، وحاملا تلك المزايا التي تغلب فيما يظهر دائما على خوافات الزنوج(١).

و لقد كان موقف الإسلام من الرق والتمييز العنصرى سبيا من الأسباب القوية التى دفعت بالإفريقيين إلى اعتناق الإسلام الذي جعل الناس سواسية أمام الله ، وكفل لهم الحرية ، وأتات لهم فرص الحياة الإنسانية الكريمة . وكل هذا لم يجلوه في غيره من المذانات أه النظم الوضعية .

و فى هذا المعنى يقول سير توماس أرنوك د ولا شك أن نجاح الإسلام قد تقدم فى إفريقية الزنجية تقدما جوهريا ، بسبب عدم أى إحساس باحتقار الأسود . وفى الحق يظهر أن الإسلام لم يعامل الأسود قط على أنه من طبقة منحطة كما كانت الحال لسوء الحظ فى العالم للسيحى » .

ولل جوار ما سبق ذكره عن انتشار الإسلام بقوته الذاتية وإمكانياته الطبيعية وما يدعو إليه من قيم عليا ، نجدان المداعية الإسلامي كان مثلا أعلى أمام هؤلاء الإفريقيين ، وكانت وسائله الإعلامية إسلامية في مضمونها وشكلها مظهرها وغيرها ، مما يجملنا نقرر أنهم قلد سبقوا كل ما ذهبت إليه النظريات الحديثة في الإعلام حول ضرورة أن يكون المصدر عمل ثقة على النحو الذي فصلناه في غير هذا الموضع . وقد وصف يكون المصدر عمل المدعماة المسلمين في إفريقية بقوله و إنهم يحظون بأوفي نصيب من الإجلال . . وفي بعض قبائل إفريقية الفرية تضم كل قرية دارا الاستقبالهم والحفاوة بهم. وهم يعاملون بأعظم مكانة بعد

Claude George: The Rise of British west Africa pp. 130-131. (\)

هؤلاء الذين يشغلون أكبر مناصب الحكومة . كما يحلون بين الماتدنجو مكانة أعظم شأنا ويتالون احتراما يلى مكانة الملك ، ولذلك يعتبر الرؤساء أقل منهم هيبة . وفي الدول التي اتحذ فيها القرآن أساسا للحكم في كل المسائل المدنية ، تحتاج الدولة لخدماتهم احتياجا شديدا لكي يفسروا معافي القرآن . وقد بلغ من إجلال الناس لأشخاص هؤلاء المعلمين أنه لا يتمرض لهم أحد حين يجوسون خلال إمارات يعادى بعضها بعضا ، أو يباش أصحابها مع بعضهم البعض حربا فعلية . ويبجلهم الناس مثل هذا التبجيل لا في البلاد حيث يحترمهم الناس باعتبارهم معلمي أبنائهم ، ويعتبرونهم واسعلة ينهم وبين الله ، سواء في الحصول على حاجاتهم أو في درء المصائب وصرفها عنهم .

الفصير لالثامن

الإعلام الإسلامي في حاضره

نواصل فى هذا الفصل دراسة الإعلام الإسلامى فى حاضره تأسيسا على أنه حققى خلال عصور الدعوة الإسلامية وظائفه المنشودة ، متوسلا بكل الوسائل الإعلامية المتاحة شفهيا أو تدوينها أو هما معا .

تطور الإعلام الإسلامي في وسائله :

ومن ذلك مثلا أن الإعلام الشعرى كان من الوسائل الإعلامية التي تجمع بين عصائص الحضارة السمعية والحضارة التدوينية ، فقامت قصائد حسان بن ثابت بدور كبير في مناصرة صاحب الدعوة الإسلامية . ثم في عصر بني أمية وجد ما يسمى بالشعر السياسي على نحو ما نعرف عن جرير والفرزدق والأعطل والراعي . وازدهر هذا الشعر في العصر السياسي الذي استخدم في الدعاية المذهبية المسنة ، أو المعتزلة ، أو الشيمة والخوارج . ثم في عهود الخلاقة الفاطمية والسلطنة الأيوبة وعهد المماليك ، وهي العهود التي شهذت الحروب الصليبية ، كان للشعر المكان الأول في الإعلام والدعاية . وبالشعر كما بالسيف نجح القاطميون في مصر ، وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الذين وأولاده في محارية الصليبيين وفي التغلب عليهم وطردهم من البلاد

وبقيت للإعلام الشعرى مكانته ووظيفته السياسية والاجتاعية والإعلامية والدعائية إلى يومنا هذا . ففي كل حادث هام أو موقف من المواقف السياسية والاجتاعة الخطيرة ، نسمع صوت الشاعر إلى جانب صوت الصحفي .

أما الدور الذي لعبه الإعلام الخطابي دبيها وسياسها في تاريخ الصرب الديني والسياسي ، فلا يقل في خطورته عن دور الإعلام الشعرى ما لم يكن أكبر منه . فالإعلام الخطابي منذ ظهور الإسلام وسيلة أساسية للإعلام الإسلامي اعتمد عليها صاحب الدعوة عليه الصلاة والسلام في نشر الدين الجديد، وفي شرح المبادئ التي نادى بها في الجزيرة العربية . واعتمد الإعلام الإسلامي على الإعلام الخطائي عبر العصور وحتى عصرنا هذا ، حيث أفاد من الوسائل التكنولوجية . وفي الثراث الإسلامي نماذج رفيعة للإعلام الخطائي على نمو ما يتضع في خطب الإمام على كرم الله وجهه ، وفي خطب الراشدين والنولة الأموية والعباسية . باروفي خطب الحروب الصليبية حيث بلغ الإعلام الخطائي الديني السياسي مداه في إثارة المشاعر والخواطر ، وفي التهيئة للحرب . وإذا ما انطلق النفير العام للقتال ارتفعت أصوات الخطباء في المساجد الكبرى في كل من القاهرة ودمشق أو القدس ، وذلك لتحميس المسلمين وتهيتهم للجهاد في سيل الله . حتى إذا انتصر الجيش الإسلامي تسابق الخطباء إلى إلقاء الخطب التي كان أشهرها وأروعها إذ ذلك ما يلقى في المسجد الأقصى ، وكما نجد الشعراء في الوقت نفسه يتسابقون كذلك غلاص الدين مثلا بانتصاراته على الصليبيين في يوم حطين ، باسم مشهور في تاريخ الأدب العربي هو و القدميات » .

فالإعلام الخطابي في رأينا مظهر من مظاهر الاتصال الشخصي الذي هو أحمطر وسائل الإعلام قديما وحديثا . ولذلك وجدنا هذه الوسيلة الإعلامية لا تحتفي في عصر الوسائل التكنولوجية ، بل إن الإناعة والتليفزيون والصحف تحرص جميعا على تسجيل هذه الحقيد، وإذاعتها ونشرها بهدف توسيع الموار ليشمل الناس جميعا .

فلقد أقاد الإعلام الإسلامي إذن من هذه الوسائل ومن غيرها، كالكتاب والمناظرة والندوة، وكل وسائل الاتصال المتاحة في عصور الحضارة السمعية والتدوينية. وحينا يطل عصر الحضارة الطباعية تصبح الصحافة علامة من علامات الإعلام الحديث والمعاصم.

الإعلام الإسلامي في العصر الحديث :

ولكن الإعلام الإسلامي إذ تتاح له وسائل اتصال جديدة ، قد مر في العصر الحديث بثلاثة أدوار :

محمد بن عبد الوهاب ..

ويقظة الإعلام الإسلامي :

الدور الأول وهو ما يمكن أن نطلق عليه و يقطة الإعلام الإسلامي ٥ ، حيث انبعث الدعوة الوهابية من قلب الجزيرة العربية مطالبة بتجديد العقيدة السلفية والرجوع بالدين إلى أصوله الأولى ، والابتعاد عن البدع الدخيلة .. فكان لهذه الدعوة أثر كبير في نفوس المسلمين ، إذ بعثت فيهم روحا جديدة ، وأحدثت يقظة في مختلف أرجاء العالم الإسلامي .

وفى توضيح هذا المغزى يقول العالم الإسلامي الشهير أحمد أمين في كتابه 3 زعماء الإصلاح في العصر الحديث ؟ :

ورأى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أثناء إقامته في الحبجاز ورحلاته إلى كثير من
 بعاد العالم الإسلامي ، أن هذا التوحيد الذي هو مزية الإسلام الكبرى قد ضاع و دخله
 الكثير من الفساد .

فالتوحيد أساسه الاعتقاد بأن الله وحده هو خالق هذا العالم ، والمسيطر عليه ، وواضح قوانينه التي يسير عليها ، والمشرع له . وليس فى الحلق من يشاركه فى خلقه ولا فى حكمه ولا من يعينه على تصريف أموره ، لأنه تعالى ليس فى حاجة إلى عون أحد مهما كان من المقريين إليه . هو الذى يبده الحكم وحده وهو الذى يبده النفع والضر وحده لا شريك له . همعنى لا إله إلا الله ليس فى الوجود ذو سلطة حقيقية تُسيِّر العالم وفقا لما وضع من قوانين إلا هو ، وليس فى الوجود من يستحق العبادة والتعظيم إلا هو ، وهذا هو محور القرآن ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وينكم أن نعيد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربايا من دون الله فإن تولوا فقوا والما الشهدوا بأنا مسلمون ﴾ آل عبد ان ٤٠٪

إذن فما بال العالم الإسلامي اليوم يمدل عن هذا التوحيد المطلق الخالص من كل شائبة ، إلى أن يشرك مع الله كثيرا من خلقه ! فهذه الأولياء يحج إليها وتقدم لها النفور ويعتقد أنها قادرة على النفع والضر ، وهذه الأضرحة التي لا عداد لها تقام في جميع أقطاره يشد الناس إليها رحافه ويتمسحون بها ويتذللون لها ويطلبون جلب الخير لهم ودفع الشر عنهم . فقي كل بلدة ولي أو أولياء ، وفي كل بلدة ضريح أو أضرحة ، تشرك مع الله تعالى في تصريف الأمور ودفع الأذي وجلب الخير ، وكأن الله سلطان من سلاطين الدنيا يتقرب إليه بنوى الجاه وأهل الزلقي لليه ، ويرجحون في تغير القوانين وقضاء الحاجات . أليس هذا كما كان يقول مشركو العرب ﴿ ما نعيدهم الإسرون المنال المناف له المناف الم المناف الم الشربونا إلى الله زلفي ﴾ وقولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ ؟ بل واأسفاه لم يكتف المسلمون بذلك بل أشركوا مع الله عنري النبات والجماد . فهؤلاء أهل بلدة منفوحة بالجامة يعتقدون في تخلة هناك أن لها قارة عجية من قصدها من المرائس تزوجت لعامها . وهذا الغار في الدرعة عن المرائس

الإسلامية مثل هذا ، ففي مصر شجرة الحنفي ونعل الكلشني وبواية المتولى(١). وفى كل قطر حجر وضجر ، فكيف يخلص التوحيد من كل هذه العقائد ؟ إنها تصد الناس عن الله الواحدوتشرك معه غيره ، وتسيء إلى النفوس وتجملها ذليلة وضيعة غرفة ، وتجردها من فكرة التوحيد وتفقدها التسامي

هكذا شفلت ذهنه فكرة التوحيد في العقيدة مجردة من كل شريك ، وفكرة التوحيد في التشريع فلا مصدر له إلا الكتاب والسنة .

هذا هو أساس دعوة محمد بن عبد الوهاب ، وعلى هذا الأساس بنيت الجزايات . اقتضى محمد بن عبد الوهاب في دعوته و تعاليمه عالما كبيرا ظهر في القرن السابع الهجرى في عهد السلطان الناصر هو ه ابن تيمية ، وهو مع أنه حبل كن يقول بالاجتهاد ولو عالف الحنابلة . وكان حر التفكير في حدود الكتاب وصحبة السنة ، فالاجتهاد ولو عالف الحجة ، شجاع المقلب لا يخشى أحدا إلا الله ، ولا يعبأ بسجن مظلم ولا تعديب مرهق ، فهاجم الفقهاء والمتصوفة ودعا إلى عدم زيارة القبور والأضرحة وهدمها ، وألف في ذلك الرسائل الكثيرة . ولم يعبأ إلا بماورد في الكتاب والسنة والخاف إمامه أحمد بن حنيا حين أداه اجتاده الى ذلك .

ويظهر أن محمد بن عبد الوهاب عرف ابن تيمية عن طريق دراسته الحديلة ، فأعجب به وعكف عل كتبه ورسائله يكتبها ويدرسها . وفى المتحف البريطانى بعض رسائل لابن تيمية مكتو بة يخط ابن عبد آلوهاب .

دعا ه محمد بن عبد الوهاب ، مثله إلى ترك البدع والتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله وحله لا إلى المشاعة والأولياء والأضرحة ، ولا بوساطة توسل ولا شفاعة . وزيارة القبور تكون للمطة والاعتبار لا للتوسل والاستشفاع ، فهم لا يملكون شيئا بجانب الله وقوانينه الثابئة التي لا تختلف ، والتي نظم الله بها كونه . فالذبح للقبور ، والندور لها ، والسحود عندها شرك لا يرضاه الله ، وهو هدم للتوحيد الذي جاء به الإسلام من أساسه . ومثل ذلك تجميص القبور وبناية الأضرحة وتشييد الأبنية عليها وكسوتها بالحرير المذهب وما إلى ذلك . فكل هده لا يعرفها الإسلام .

فكانت دعوة ابن عبد الوهاب حربا على كل ما ابتدع بعدّ الإسلام الأول من عادات وتقاليد ، فلا اجتماع لقراءة مولد ، ولا احتفاء بزيارة قبور ، ولا خروج

⁽١) شجرة الحنفى، شجرة كانت ل جامع الحينى بالقاهرة يترك بها. و نعل الكاشني نعل قديمة ف تكية الكاشني يز عمود أن الماء إذا شرب منها ينفع للتداوى من العشق. و بوابة المتولى بالقاهرة أيضا مملوءة بالمسامير بها تعلق الشعور والخبوط لقضاء حاجة من علقها.

للنساء وراء الجنازة ، ولا إقامة أذكار يغنى بها ويرقص ، ولا محمل يتبرك به ويتمسح ويحتفل به هذا الاحتفال الضخم وهو ليس إلا أعوادا خشبية لا تضر ولا تنفع .

كل هذا مخالف للإسلام الصحيح يجب أن يزال ويجب أن نعود إلى الإسلام فى بساطته الأولى وطهارته ونقاته ووحدانيته ، واتصال العبد بربه من غير واسطة ولا شريك فلا إله إلا الله معناها كل ذلك ، والكتب المملوءة بالتوسلات كتب ضارة بالعقائد كدلائل الخيرات وما فى البردة من مثل قوله :

يا أكرم الخلسق مالى مَنْ ألسوذ به مواك عند حدوث الحادث العمسم وقوله :

إن لم تكن ف ممادى آخـذا بيـدى فضلا وإلا فقــل يا زلـــة القـــدم وقوله :

فإن من جودك الدنيسيسا وضرتها ومن علىومك عليم اللوح والقلسم ونحو ذلك أقوال فاسدة كاذبة ، فلا التجاء إلا إلى الله ، ولا اعتباد ق الدنيا والآخرة إلا عليه .

لقد كان محمد بن عبد الوهاب ومن نحانحوه يرون أن ضعف المسلمين اليوم وسقوط نفسيتهم ليس له سبب إلا العقيدة ، فقد كانت العقيدة الإسلامية في أول عهدها صافحة بقية من أى شرك ، وكانت لا إله إلا الله معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء وعدم الحوف من المؤت في سبيل الحق ، وعدم الحوف من استكار المنكر ، والأمر بالمعروف مهما تبع ذلك من عناب . ولا قيمة للحياة إلا إذا بذل في رفع لواء الحق ودفع الطلم . وهذا هو الفرق الوحيد بين العرب في الجاهدة والعرب في الإسلام ، وبهذه العقيدة وحدها غزوا وضحوا وحكموا . ثم ماذا ؟

م لم يتغير شيء إلا العقيدة ، فتدنوا من سمو التوحيد إلى حضيض الشرك فتعدد من محر وشجر وأعواد خشب وقبور أولياء اوركتوالل ذلك في حياتهم العامة فالزرع ينجع لرضا ولى ، ويحيب لفضيه ، والبقرة تحيا إذا نفرت للسيد البدوى أو مثله ، وتحو لزالم تنظر ، وهكذا في الأمراض والطل والفني والفقر كلها لا ترجع إلى قوانين الله الطيعية وإنحا ترجع إلى غضب الأرواح ورضاها ، ومثل هذه النفوس الضعيفة التي تلل للحجر والشجر والأرواح لا تسطيع أن تقف أمام الولاة والحكام الظالمين تأمرهم بمعروف أو تنهاهم عن منكر ، فذلو اللحكام والأختياء كاذلوا للحشب والأحجار . وما زال كل قرن بر تزداد معه الآغة عندا وتزداد النفوس ذلة ، حتى وسلت الحال بالأمة الإسلامية إلى فقد سيادتها وانبيار عزتها ، ولا يصلح آخر الإسلام وطلبات الحالم العربة الإسلام الحالم العربة الإسلام الحالمة الإسلام الحالم العربة الإسلام العربة الإسلام الحالم المسلم التراكم الإسلام الحالم العربة الإسلام الحالم العربة الإسلام الحالم العربة الإسلامية إلى فقد سيادتها وانبيار عزبها ، ولا يصلح آخر الإسلام وطلبات المسلم الحرالام المسلمة المعربة المسلمة المسلمة المسلمة المسلمة الموالم المسلمة الموالم المسلم المسلمة الموالم المسلمة المسلمة الموالم المسلمة الموالم المسلمة المسلم

إلا بما صلح به أوله ، فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى حيث التوحيد الصحيح والعزة الحقة ، ولا بد من هدم هذه البدع والحرافات ــ باللين إن نجح و بالقوة إن لم ينجع ــ والله المستعان .

لم ينظر محمد بن عبد الوهاب إلى المدنية الحديثة وموقف المسلمين منها ، ولم يتجه في إصلاحه إلى الحياة المادية وإنما اتجه إلى العقيدة وحدها . فعنده أن العقيدة والروح هما الأساس وهما القلب إن صلحا صلح كل شيء ، وإن فسدا فسد كل شيء .

هذا هو جوهر الدعوة التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب .

وتناول الدكتور طه حسين أستاذ الأدب العربي في الجامعة المصرية ، الدعوة في بعث نشره سنة ١٩٥٤ هـ عن الحياة الأدبية في جزيرة العرب ، وهذا ما قاله عنها : و و لا يستطيع الباحث عن الحياة العقلية والأدبية في جزيرة العرب أن يهمل حركة عنيفة نشأت فيها أثناء القرن الثامن عشر الميلادي ، فلفت إلها العالم الحديث في الشرق والغرب واضطرته أن يهم بأمرها ، وأحدثت فيها آثارا عطيرة هان شأنها بعض الشيء ، ولكنه عاد فاشتد في هذه الأيام وأخذ يؤثر لا في الجزيرة وحدها ، بل في علاقاتها بالأهم الأوروبية .

هذه الحركة هي الحركة الوهابة التي أحدثها محمد بن عبد الوهاب شيخ من شيوخ غيد . نشأ محمد بن عبد الوهاب في بيت علم وفقه وقضاء ، تتقف على أبيه ثم رحل الحل المواق فسمع من علماء البصرة وفقهائها ، وأظهر فيها آراءه الجديدة القديمة معا ، فسخط عليه الناس وأخوج من البصرة . وكان يريد أن يذهب إلى الشام فحال الفقر بينه و بين ذلك ، فعاد إلى غيد وأقام مع أبيه حينا يناظر ويدعو إلى آرائه ، حتى ظهر أمره وانشر ملهه ، وانقسم الناس فيه قسمين فكان له أنصار وكان له خصوم . وتعرضت حياته آخر الأمر للخطر فأخذ يعرض نفسه على الأمراء رؤساء العشائر ليجيروه وبحموا دعوته . حتى انتبى به الأمر إلى الدرعية وهناك عرض نفسه على أمرها محمد بن سعود فأجاره وبايمه على المونة والصرة . ومن ذلك اليم أصبح المذهب الجديد مذهبار سميا يعتمد على قوة مباسية تؤيده وتحميه ، بل تنشره في أقطار نجد بالدعوة اللينة حينا وبالسيف والحرب في أكثر الأحيان .

وعن هذا التحالف بين الدين والسياسة نشأت في الجزيرة العربية دولة سياسية عظم المرها ، واشتد خطرها حتى أشفق منها الترك أشد الإشفاق فقاوموها ما وسعتهم المقاومة . فلما لم يقلحوا استعانوا بالمصريين ، وكان أمرهم إذذاك إلى محمد على باشا ، فنجع المصريون في إضعاف هذه الحركة وإزالة هذه اللولة الجديدة ورد أمرائها إلى

ما كانوا عليه من قبل ذلك الوضع . فلا بد من وقفة قصيرة عند هذا المذهب الجديد لنعرف ما هو وما مبلغ تأثيره في الحياة العقلية العربية في هذا المصم الحديث .

قلت إن هذا المذهب جديد وقديم معا . والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين ولكنه قديم في حقيقة الأمر لأنه ليس إلا الدعوة القويمة إلى الإسلام الحالص النقى المطهر من كل شوائب الشرك والوثية . هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به التي خالصا لله وحده ملفيا كل واصطة بين الله وبين الناس . هو إحياء للإسلام وتطهير له نما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط بغير العرب ، فقد أنكر عمد بن عبد الوهاب على أهل نجد ما كانوا قد علاوا إليه من جاهلية في العقيدة والسيرة . . كانوا يعظمون القيور ويتخلون بعض الموتى شفعاء عندالله ، ويعظمون الأشجار والأحجار ويرون أن لها من القورة ما ينضع ويضر ، وكانوا قد عادوا في سيرتهم إلى حياة العرب الجاهلين فعاشوا من الغزو والحرب ونسوا الزكاة والصلاة ، وأصبح الذين اسما لا معني له . فأراد محمد بن عبد الوهاب أن يجمل من هؤلاء الأعراب الجفاة المشركين قوما مسلمين حقا ، على نحو ما نعل النبي بأهل الحيجاز منذ أكار من أحد عشر قرنا .

ومن الغريب أن ظهور هذا المذهب الجديد في تجد قد أحاطت به ظروف تذكر بظهور الإسلام في الحجاز ، فقد دعاصاحه إليه باللين أول الأمر فتبعه بعض الناس ، ثم أظهر دعوته فأصابه الاضطراب وتعرض للخطر ، ثم أخذ يعرض نفسه على الأمراء ورؤساء العشائر كما عرض التيى نفسه على القبائل ، ثم هاجر إلى المدعية وبايعه أهلها على النصر كما هاجر الذي إلى المدينة . ولكن ابن عبد الوهاب لم يرد أن يشتفل بأمور الدنيا فترك السياسة وأصحابها أداة لدعوته ، فلما تم له هذا دعا الناس إلى مذهبه فمن أجاب منهم نما ، و ومن امتنع أغرى عليه السيف وشب عليه الحرب . وقد انقاد أهل نجد لهذا المذهب وأعلهم واتعله العرب القاد العرب للنبي

ولو لا أن الترك والمصريين اجتمعوا على حرب هذا المذهب وحاريوه في داره بقوى وأسلحة لا عهد لأهل البادية بها، لكان من المرجو أن يوحد هذا المذهب كلمة العرب في القرن الثانى عشر والمهجرة، كا وحد ظهور الإسلام كلمتهم في القرن الأول. ولكن الذي يعنينا من أمر هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب. وقد كان هذا الأثر عظيما خطيرا من نواح غتلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ووضع أمامها مثلا أعلى أحبته وجاهدت في سيله بالسيف والقلم واللمان. وهو قد لفت المسلمين جميعا ... وأهل العراق والشام بنوع خاص ... إلى جزيرة العرب ع

وتناول الأستاذ عباس العقاد فى كتابه و الإسلام فى القرن العشرين ¢ حركة الإصلاح وقال ما نصه :

و وظاهر من سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه لقى فى رسالته عننا فاشتد كما يشتد من يدعو غير سميم ، ومن العنت إطباق الناس على الجهل والتوسل بما لا يضر ولا ينفع والتماس المصالح بغير أسبابها ، وإتيان المسالك من غير أبوابها . وقد مرّ على البادية زمن كانوا يتكلمون فيه على التعلويذ والتماتم وأضاليل المشموذين والنجمين ، ويتحون السعى من وجوهه توسلا بأباطيل المسحرة والدجالين ، حتى الاستسقاء ودفع الوباء . فكان حقا على الدعاة أن يصرفوهم عن هذه الجهالة . وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع والخوافات .

وقال أيضا فى الكتاب نفسه وهو يتكلم عن كتاب النوحيد تأليف الإمام ما يلى : إن الكتاب الذى تضمن دعوة الشبيخ ـــ وفيه يحصى الشيخ الذنوب التى تكفر صاحبها وتعتبر شركا بالله ، وأكثرها من البدع والخرافات والمفالاة بتعظيم الأحبار والأولياء ومن الشرك لبس الحلقة والحيط وتحوهما لرفع البلاء أو دفعه .

ومن الشرك اتخاذ الرق والتمام للوقاية ، والتبرك بالشجر والحجر والذبع نغير الله ، والنبل نغير الله ، والمبادة عند القبير ، وأن الغلو في عبادة الصالحين بصبورها أو ثانا تعبد من دون الله ، وأن الكهانة والعيافة والتبطير والتنجم من الصالحين بصبورها أو ثانا تعبد من دون الله ، وأن الكهانة والعيافة والتبطير والتنجم من الشيطان . وأورد الشيخ الآيات والأحاديث التي تحرم الاستسقاء بالأنواء ، وأنكر على الصوفية تأويلاتهم وخوارقهم ، واستشهد على تحريم الصور بقوله عليه السلام فيما يرويه عن ربه (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) ؟ ويقول عن عائشة (أشد يروي عن ما الله عن عائشة (أشد الناس عذا با يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله) ، وحدر من المفالاة في تعظيم التي عليه السلام مستشهدا بقول أنس : إن ناسا قالوا يا رسول الله يا عودا وابن سيدنا ، فقال (أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستبوينكم الشيطان ، أنا عمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل) .

وكان الشيخ ينكر الغلو ويستشهد بقول الرسول عليه السلام (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) . وقوله عليه السلام (هلك المتطعمون . هلك المتطعون . هلك المتطعون) .

وأدى الأستاذ أحمد حسين العالم المصرى ومؤسس حزب مصر الفتاة فريضة الحيج فى سنة ١٩٤٨ م (١٣٦٧ هـ) ، ثم أصدر بعد عودته كتابا قيما جعل اسمه و مشاهداتى فى جزيرة العرب » وهاك ما كتبه عن الدعوة ومؤسسها العظيم . قال بعد أن وصف ما كانت تخب فيه جزيرة العرب من جهالة قبل ظهور الدعوة ما يلى : 9 وفي وسط هذا الجو ولدمحمد بن عبد الوهاب ، وكان أبوه الشيخ عبد الوهاب بن سليمان قاضى بلدة العينة وكان شيخا عالما جليل القدر ، فقراً على أيه الفقه و سرعان ما ظهرت عليه علاهم النجابة . وبدأ يدرك على الفور ما تردت فيه البادية من همجية وردة عن دين الإسلام ، وبدأت تجيش نفسه بما تجيش به نفس كل مصلح من عزم على تغيير هذه الحال . فلما بلغ من العمر عشرين ربيعا بدأ يستخدم فصاحت وعلمه في مناقشة أنداده وأضرابه ــ بل ومن هم أكبر منه سنا ــ في قساد الحال فلم يجد منهم أذنا مصغية ، عوف بطش العامة وطفياتهم 8 .

وبعد أن ذكر سفر الشيخ إلى الحجاز وأدائه فريضة الحج ، وذهابه إلى البصرة ورجوعه ثلنية إلى نجد ، وهجرته إلى الدرعية واستقراره فيها واتفاقه مع محمد بن سعود ، ختبر هذا البحث بقوله :

و تلك هى قصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كا بدأت والتى لم تكمل حتى الآن ، فلا يزال أحفاد محمد بن سعود و أحفاد الشيخ محمد يحملون لواء التوحيد وينافحون عنه . وإذا كان العالم الإسلامى كله اليوم تحت تأثير النور والعرف فإنه قد بدأ يدرك بفطرته هذا الذى دعا إليه عمد بن عبد الوهاب و يتصشقه فسيظل التاريخ يسجل لآل سعود الذين كانوا أول من نصره و استجاب له » .

وقال الأستاذ فيليب حتى وهو مؤرخ لبنانى فى كتابه ٥ تاريخ العرب ٥ :

 ولقد تأثر محمد بن عبد الوهاب بفكرة هي أن الإسلام كما يمارسه معاصروه قد انحرف كثيرا عمليا ونظريا عن طريق السنة التي استنها القرآن ، وقرر أن ينقيها هو ينفسه ٤ .

وقد تناول المستر لوثروب ستودارد الأميركي في كتابه ٥ حاضر العالم الإسلامي ٥ وقد عربه الأستاذ عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان حركة الإصلاح الديني ، فقال :

و بلغ العالم الإسلامى فى القرن الثانى عشر الهجرى أعظم مبلغ من التضعفع ومن التدفى والانحطاط ، فاربد جوه ، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاء من أرجاته ، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب ، وساد الجهل وأنطفأت قبسات العلم الضغلة ، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال . أما الدين الضغلة عشيته غاشية سوداء فألبست الوحلانية التي علمها صاحب الرسالة سجفا من الخرافات وقشورا من الصوفية ، وخلت المساجد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد مداريات من أرباب الصلوات ، وكثر عدد (عاد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد مداريات من أرباب الصلوات ، وكثر عدد مداريات من أرباب السلوات ، وكثر عدد (عاد من أرباب الصلوات ، وكثر عدد (عاد من أرباب الصلون) المنظم الإسلام) المنظم المنظم

الأدعياء الجهلاء ، وطوائف الفقراء والمساكين ، يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التمام والتعاويذ والسبحات ، ويؤمون النماس بالأباطيل والشبهات ، ويرغبونهم فى الخروج إلى قبور الأولياء ، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور .

وغابت عن الناس فضائل القرآن . ونال مكة والمدينة مانال غيرهما من سائر مدن الإسلام ، وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين ، وهبطوا مهبطا بعيد القرار ، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر ورأى ما كان يدعى الإسلام لتضب .

ويبنا العام الإسلامي مستغرق في هجعته ، ومدلج في ظلمته ، إذا بصوت يدى من قلب العمام الإسلام ، في قط المؤدن ، ويدعوهم إلى قلب العمحراء في شبه الجزيرة العربية مهد الإسلام ، فيوقظ المؤمنين ، ويدعوهم إلى الإصلاح والرجوع إلى سواء السبيل ، والصراط المستقم . فكان الصارخ لهذا الصوت إنما هوالمصلح المشهور بحمد بن عبد الوهاب ، الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت ، ثم أخذ هذا الداعي يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المسلمين القريم » .

وقد تناول المستشرق الألمانى الكبير كارل بروكلمان فى كتابه 1 تاريخ الشعوب الإسلامية 1 الحركة الوهابية بالدرس والتحليل فى الجزء الرابع ، وهذا ما قاله :

و واصطدم محمد على باشا بحركة انبعات وطنية كبرى .. ومفصل ذلك أنه ولد فى غيد المرتفعة فى قلب جزيرة العرب محمد بن عبد الوهاب من قبيلة تميم ، ما بين أو اعر القرن السابع عشر وأو الل القرن السابع عشر وأو الل القرن الشام عشر (م) ، فنشأ عبا للعلم ، واقفا نفسه على دراسة لفقه والشريعة . وقصد وفقا للعادة ، القديمة إلى عواصم الشرق الإسلامي طلبا للعلم فى منارسها ، وفي بغداد درس فقه الإمام أحمد بن حنيل (1) مؤسس آخر المذاهب السنية الأربعة ، والذي دافع بشئة وثبات عن مبدأ الأخذ بالحديث والاعتباد عليه اعتيادا كليا ، ضد نزعة الفقهاء القاتلين بالأخذ بالرأى .

ثم درس مؤلفات الشيخ ابن تيمية الذي كان قد أحيا في القرن الرابع عشر تعاليم ابن حنبل . والواقع أن دراسته لآراء هذين الإمامين انتهت به إلى الإيمان بأن الإسلام في شكله السائد في عصره ، وخاصة بين الأتراك ، مشرب بالمسلوع؟ التي لإتمت إلى الدين الصحيح بنسب . فلما ذهب إلى بلده الأول سعى أول ما سعى إلى أن يعيد إلى

⁽١) لم يثبت أنه زار بفداد

المقيدة والحياة الإسلامية صفاء هما الأصلى في محيطه الضيق ، ولكنه لم يكن ينكر مظاهر التقديس التي كان يحاط بها و سعد ، وهو الولى الخاص بمسقط رأسه و الهينة ، ، وفيرض بين أتباعه القصاص المفروض على الزانية ، حتى نفى من البلاد فلجأ فى سنة ، ١٧٥ م إلى اللرعية فلقى حفاوة وترحيبا ، حتى إذا انقضت فترة قصيرة اكتسبت تعاليمه أنصارا ومريدين . ولقد أنكر تقديس الرسول والأولياء على اختلاف صوره وكان ذلك قد شاع بين المسلمين منذ قرون تقليما للنصرانية وبعض الطقوس الدينية الأكثر بدائية ، راميا بالشرك أولك المسلمين الذين يشاركون فى هذا التقديس ، والذين يأذن القرآن بحربهم حتى يرجعوا عن غيهم أو يبادؤا .

وأحذ الشيخ أتباعه بأداء صلاة الجمعة في شدة لا تعرف الرحمة ، ونبي عن كل زينة في اللباس ، وعن لبس الحريب عاصة ، وحرم أيما تزيين أو زخوفة للمساجد والأضرحة . وليس هذا فحسب بل لقد توسع في فهم التحريم الإسلامي غتلف ضروب المسكر ، فحرم تدعين التبغ الذي أعلن جميع الفقهاء تقريبا من الحيابلة وغير الحنابلة معارضتهم له أول دعوله إلى بلاد الشرق .

والواقع أن هذا المصلح كان يتأسى بسيرة الرسول ويملو حدوه ، وينحو نحوه فى التفكير . وكان كالرسول قادرا على إلهاب نار الحماسة فى قلوب أصحابه ، وعلى استثهار عبتهم العارمة للحرب فى سبيل قضيته » .

وقال الدكتور 3 أكوبرت فون ميكوس 4 المؤرخ الألمان في كتابه 3 عبد العزيز ¢ وقد صدر في ألمانيا سنة ١٩٥٣ ونقله إلى العربية الدكتور أمين رويحة على الحركة الم هابية ما ننقله بحروفه :

و وكان لآل سعود إلى جانب سيفهم الذي يستخدمونه في الفتح ، سلاح معنوى آخر يدينون له بأعظم قسط من نجاحهم . ذلك السلاح من صنع الشيخ عمد بن عبد الوهاب أحد رجال الذين المطاردين في سيل عقيدتهم ، والذي لجأ إلى و الدرعية ؟ عاصمة آل سعود في ذلك الجين فلقي لديم الحماية والأمان .

و وكانت تمار قلب عمد بن عبد الوهاب فكرة تجديد القوى العربية على أساس دينى ، ناسبا إلى ابتعادهم عن سيرة السلف الصالح وانقسامهم إلى شيع ، وإلى ابتعادهم عن نخلقهم العربي الأصيل سبب تلاشهم الذي جعلهم في متناول النفوذ الأجنى . وقد لمن الشيخ محدفي رحلاته المتعادة ، وشاهد بأم عينيه ضعف المسلمين وعجزهم عن مقاومة سلطان الغرب الذي كان يتغلقل أكثر فأكثر ، حتى أصبحوا ضحايا رخيصة للمدنية الغربة .

و ورأى الشيخ أن سيل الإنقاذ هو الرجوع إلى تعالم الدين المشروعة .. إلى تعالم الرسول الصحيحة ، فراح يبشر بوحى من ضميره وعقيدته بمحاربة البدع التي أدخلت على الإسلام عبر العصور الفابرة ، والضال المضل من تقارير علماء الدين ، غير مقيم وزنا إلا لما نص عليه القرآن صراحة ، أو لما يمكن نسبته بصورة قاطعة للنبي محمد . وراح يحارب بكل قواه المستمدة من عقيدته الصابحة تقديس الأولياء وجعلهم واسطة بين الله والناس ، وينادى بهم الأضرحة ومزارات الأولياء وإزالة معالمها ، اقتماء بالتي الكريم الذي حارب بدعة تقديس الهاكل وعبادة الأصنام الموروثة من الجاهلية . كذلك كان يحارب المبوعة والبرجة في اللبس وطريقة العيش ، والمظهر ، والتنعم بالملاذ الدنيوية ، وهي متع بخلت الطبيعة إلا بالقليل منها على الجزيرة العربية ، لذلك كان الحصول عليها يقتضى الخضوع للأجنبي ، وكان هدفه أن يجمل من بلاد العرب ومزموطن الإسلام مصدر بعثته الجديدة ، فيتمرس أبناؤها بالحياة البدائية القاسية ، ويتمسكون به وحدانية الله الذي هو مصدر كل شيء في الوجود .

و كان مثل هذه الأفكار يجول في أذهان آل سعود عندما لجأ إلى حماهم ذلك المبشر المطارد ، وتبنوا تعاليمه فقدموا لدعوته السيف الذي نحتاج إليه ، و الذي مهد لها طريق الانتشار ، فإذا بالحركة الوهابية التي سميت باسم مؤسسها عاصفة تجتاح البلاد العربية جميما .

و وبلغت الدعوة أوجها إبان حكم سعو دالكبير فى القرن التاسع عشر ، الذى تم له احتلال الجزء الأكبر من الجزيرة ، حتى لكأن موكب النصر الوهافى يسير بحيث لا يتمكن أحد من الوقوف فى وجهه . وفى نفس الوقت الذى كان فيه عرش السلطان و الحليفة ، الذى دام . ، ٤ سنة مهددا بالزوال ، لاح أن نجم الحركة العربية الذى خبا وتوارى وراء الغيرم مئات السنين يوشك أن ببئق ، ولكن الوقت لم يكن قد حان ، كما أن الإنسان العربى لم يكن قد تم نضجا لذلك بعد » .

وتال المستشرق الأستاذ ويلفرد كانتول في كتاب و الإسلام في نظر الغرب ؟ ألفه جماعة من المستشرقين 3 كان محمد بن عبد الوهاب يقول قبل كل شيء يجب أن تعيشوا حسب الشرع الإسلامي ، وهذا هو معنى أن تكونوا مسلمين . لا ذلك الرغاء العاطفي والتقى والحرارة التي يقدمها لكم الصوفيون . فأساس الإسلام هو الشرع ، وإذا كنتم تريدون أن تكونوا مسلمين فيجب أن تعيشوا حسب أوامر الشرع » . وقال برنارد لويس في كتابه و العرب في التاريخ » ما يلي :

و ياسم الإسلام الخالى من الشوائب الذي ساد في القرن الأول ، نادى محمد بن

عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدعا خرافية غريبة عن الإسلام الصحيع » .

وقال شیخ المستشرقین جولد صهیر انمسوی فی کتابه (العقیدة والشریعة » ما یلی :

وإذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السنى بالحركة الوهابية ، غيد أنه بما يسترعى انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة التالية يجب على من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصارا للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي والصحابة ، إن الوهابية تريد إعادة الإسلام كاكان ».

وقال المستشرق الفرنسي سيدبوفي كتابه و تاريخ العرب العام و وهو يتكلم عن الوهاية وسيرة الشيخ عمد ين عبد الوهاب و قرأى الشيخ أنه إذا ما حمل المسلمين على مراعاة أحكام القرآن بإحكام ، رجعت إليم تلك الحماسة التي تعود بها عظمة الماضي . ولم يكن الإصلاح الذي بدأه من هدف سوى إعادة شريعة الرسول الحالصة الى سابق عهدها » .

وقال المستشرق البريطاني و جب ، في كتابه و المحمدية ، :

و وفي جزيرة العرب قام حوالى سنة ٤٤٧٤ م (١٥٥٧ هـ) محمدين عبدالوهاب
 مع أمراء الدرعية آل سعود ، لتحقيق الدعوة إلى المدرسة (المذهب ، الحنبلية التي دعا
 ليها اين تيمية في القرن الرابع عشر » .

وقال أيضا في كتابه و الاتجاهات المدنية في الإسلام ،

و أما في مجال الفكر فإن الوهابية بما قامت به من المقاومة ضد التدخلات العدوانية ، وضد الأصول القائلة بوحدة الوجود التي تريد تدنيس التوحيد في الإسلام ، فقد كانت عاملا مفيدا للخلاص الأبدى ، وحركة تجديد أحدثت تنجح في العالم الإسلامي شيئا فششا .

وجاء في دائرة المعارف البريطانية وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي :

و الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام ، والوهابيون يتبعون تعالم الرسول
 وحده ويهملون كل ما سواها .

و وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح ، .

النبضة الإعلامية الإسلامية :

اللور الثاني : وهو ما يمكن أن نطلق عليه 8 دور النهضة الإعلامية الإسلامية ٤ . و في هذه المرحلة قام كثيرون من دعاة الإصلاح في معظم بلاد العالم الإسلامي ، حيث أثارت دعوة الحق التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب بعثا جديداً في الأمة الإسلامية بأسرها ، وسرت تعاليمها إلى اليمن والعراق والسودان وشمال إفريقيا ، وانتشرت كذلك في بقاع نائية مثل نيجيريا وسومطرة (١) . فظهر في الين الإمام الشوكاني (٢) وسار على نهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في دعوته واجتهاده ، وأصبح له في اليمن تلاميذ ومريلون . وكانت دعوة ١ السيد أحمد ٤ في الهند دعوة وهابية خالصة (٣) فكان يدعو إلى نظام الإسلام الكامل ، وتنفيذ الشريعة في الأرض ، ومحاربة البدع والخرافات . و ومع أن حركته لم تنجع في إقامة نظام الإسلام وتأسيس بنيان الحكومة الإسلامية الراشدة المنشودة ، فإنها تجحت في إيضاظ الحمية الإسلامية وبسعث الحمسم الراكلة (٤). وانتشرت في الأمة الإسلامية الحركات الإصلاحية التي تدعو إلى العودة إلى المنابع الإسلامية الأولى ، وكان بعض هذه الحركات الإصلاحية متأثرا بالدعوة الوهابية ، مثل السيد أحمد في الهند ، والإمام الشوكاني في اليمن . وكان البعض الآعر متأثرا بالحضارة الغربية التي بدأت تتسرب إلى البلاد الإسلامية ، مثل السيد أحمد خان ، والسيد أمير على ، ومدحت باشا ، ومليكم خان ، وغير هؤلاء كثيرون . كما تأسست الطرق الدينية الختلفة مثل السنوسية والقادرية والتيجانية والشاذلية(°).

الإعلام الإسلامي والجامعة الإسلامية :

الدور الثالث: وهو الذي تطورت فيه البيارات الفكرية والحركات الإصلاحية ، حتى اتخلت صورتها الأخورة التي عرفت باسم 3 الجامعة الإسلامية ، . وفي هذا الدور ظهر جمال الدين الأفغاني ولا مع بين مختلف البيارات التي ظهرت في الأمة الإسلامية ، ودعا إلى تكوين جامعة إسلامية بعد أن تبلورت آراؤه في الإصلاح في المرحلة الأخيرة من حياته ، حينا أصدر جريفة العروة الوثقي في باريس . وهذه الدعوة إلى الجامعة

⁽١) د. عد الباسط عمد حسن: السابق، ص ٦٨

⁽٢) عبد المتعال الصعيدى : المجدون في الإسلام من القرن الأول ، ص ٤٧٢ ــ ٤٧٥

⁽٣) د عداليا سعل محمد حسن : السابق ، ص ٦٨

⁽٤) الندوى: نظرة إجمالية في تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند، ص ٥٣

⁽٥) د . عبد الباسط محمد حسن : السابق ، ص ٦٩

الإسلامية كان لها مظهرها السياسي من جهة ، والاجتماعي من جهة أخرى . فمن الناحية السياسية دعا إلى الوحدة الإسلامية وتمكين الألفة بين المسلمين ، وتقوية الروابط بينهم حتى يعودوا كما كانوا إخوانا متألفين يجمعهم لواء دولة واحدة عظيمة . يقول جمال الدين من مقال « الوحمة الإسلامية » المشور بجريدة العروة الواقعي ص ١٥٣ :

و فالمسلمون لا يحتاجون في صيانة حقوقهم إلا إلى تعييه أفكارهم لمرفة ما به
يكون الدفاع ، واتفاق آرائهم على القيام به عند لزومه ، وارتباط قلوبهم الناشئ عن
إحساس بما يطرأ على الملة من الأخطار ٥ .

وعلى 3 المسلم أن يأخذ بيد أخيه وأن ينظر إليه بما حكم الله في قوله ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾ فيقيمون بالوحدة سدا يحول عنهم هذه السيول المتدفقة عليهم من جميع الجوانب » .

وأن المل للوحدة والتطلع للسيادة وصنق الرغبة في حفظ حورة الإسلام ، كل
 هذه صفات كامنة في نفو من المسلمين قاطبة »

ثم يسأل الله تعالى 3 ثباتا للمسلمين على أصول الاتحاد وقواعد الألفة ، وأن لا يميل بهم الهوى إلى جعل الاختلاف في المسائل الثانوية سببا في حل الجامعة الإسلامية التي قوامها الإيمان بالله و ملاكته و كنه ورسله واليوم الآخر ، وأن لا يجعلوا هذا الخلاف ذريعة العدو إلى محق ملتهم وإفساد و لايتهم .. والله يهدى من يشاء إلى سواء السيل ٤ . ومن الناحية الاجتاعية اتجه جمال الدين إلى التجديد الديني لمواجهة الحملات العنيفة التي شنها الأوربيون على الإسلام ، وما تضمتته من أكاذيب ومفتريات ، وما ذهب إليه مبشروهم المسيحيون إلى اتبام الإسلام بأنه غير قابل للإصلاح والتجديد (١) .

جال الدين الأفعاني وتجديد الإعلام الإسلامي :

و تأسيسا على هذا الفهم اتجه جمال الدين بدعوته إلى التجديد الدينى ، وطالب المسلمين في و الرد على الدهريين ، بتحقيق تهضة دينية تلاجم مقتضيات المصر الحديث ، وذلك بأن و تكون عقائد الأمة مبنية على البراهين القوية والأدلة الصحيحة ، وقال وإن الدين يطالب المتدين أن يأخذوا بالبرهان في أصول دينهم ، وكلما خاطب العقل ، كلما احتكم إلى العقل ، ثم طالب جمال الدين بأن يكون في كل أمة تنظيم إعلامي إصلامي تولاه طائفة يختص عملها بتعليم سائر الأمة ، وطائفة أخرى تقوم على النفوس تنولى تبذيب وتقيفها . ذلك أن الإعلام الإسلامي عند

⁽١) د . عبد الباسط محمد حسن : السابق .

جمال الدين يقوم على أساس أن \$ الإسلام لم يكن عقبة فى سبيل أى لون من ألوان المعرفة ع . بخلاف أكاذيب \$ رينان ¢ الذى قال \$ إن الإسلام لا يشجع على العلم والبحث الحرك . ولذلك رد عليه جمال الدين ردا علميا أفحمه وجعله يتنازل عن كثير من هذه التوهات .

فالإعلام الإسلامي ... إذن ... ف هذا الدور دعا على يد جمال الدين المستبرين من المستبرين من المستبرين من المسلمين إلى النظر ف حالتهم لتحقيق تبضة دينية تجديدية تلاهم مقتضيات العصر الحديث ، وتبين لهم أن الإسلام إذا فهم على وجهه الصحيح يستطيع أن ينمو تموا طبيعيا ، وأن يتقدم تقدما يجمع بين المصالح المتجددة للحياة العملية وبين المطالب العالية للنفية . الإنسانية .

وَلَقَدُ كَانَتَ وَ الْجَامِعَةُ الْإِصْلَامِيةُ وَ نَتَاجًا لَلْإِعَلَامُ الْإِصْلَامِي فِي هَذَا اللَّمُورِ التَّارِيْقِي ، وهي الجامعة التي تنظر لوحدة العالم الإسلامي على أساس من رابطة الدين ، ورابطة الحج ، ورابطة الحلافة .

فالإسلام دين و جامعة ، آخي بين المسلمين و جعلهم بنعمته إخوانا . فهو يسمو بهم فوق مستوى الأم و العصبيات والأجناس ، و يدعوهم إلى الاتحاد بقوله ﴿ إنَّمَا المُؤْمَنُونَ إخوة ك ، و لا عصبية في الإسلام » .

يقول جمال الدين: و وليس عليهم في استرجاع مكانتهم الأولى والصعود إلى مقامهم الأولى ، إلا أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملتهم ، وذلك أيسر ما يكون عليهم من بعد تمكين الجامعة الدينية بينهم » . و وإن للمسلمين شدة في دينهم ، وقوة في إيمانهم ، وثباتا على عقيدتهم وإن في عقيدتهم أوثق الأسباب لارتباط بعضهم بعض » .

و وإن اتفقوا فليس ذلك ببدع منهم ، فالاتفاق من أصول دينهم ، .

 وما هذا بغريب على المسلمين ، فإن رابطتهم الملية أقوى من روابط الجنسية واللغة ، ومادام القرآن يتل بينهم وق آياته ما لا يصعب على إقهام قارئيه ، فلن يستطيع الدهر أن يذهر » .

فالإعلام الإسلامي ــ عند جمال الدين ــ ق رأينا ، يطالب بإحياء الرابطة الدينية حتى يستعيد المسلمون مكانتهم الأولى .

والحج _ عند جمال الدين _ عامل أساسى من عوامل تحقيق الإعلام الإسلامى لأغراض الاتحادين المسلمين وتعاطفهم . فقى كل عام يلتقى فى مكة عدد كبير من المسلمين من مختلف أرجاء العالم ، وفى القرن الماضى كانت بلاد الحجاز قبلة كل قاصد علم يبغى التفقه فى أمور الدين والانقطاع للعبادة ، كما كانت موطن التفكير الدينى التفقه فى أمور الدين والانقطاع للعبادة ، كما كانت موطن التفكير الدينى الخواص، ومنبت كل دعوة وإرشاد حتى قبل ه إن الداوس للتقافة العربية ليدهش من السرعة التي كانت تتقل بها المعلومات بين أطراف العالم الإسلامي ه وذلك لأن مكة هى واسطة المقد فى الإعلام الإسلامي الذي يتنشر منها إلى أقصى أرجاء العالم ، وقد تعمد جمال الدين مكة لأداء فريضة الحج ، وظل بها نحو صنة فأدرك. أهمية الحج فى الإعلام الإسلامي ، ولذلك يقول ه إن العلماء العاملين لو وجهوا فكرتهم لإيمال أصوات بعض المسلمين إلى مسامع بعض ، لأمكنهم أن يجمعوا بين أهوائهم فى أقرب بالاحترام ، وفرض على كل مسلم أن يحجه ما استطاع ، وفي تلك البقعة يحشر الله من بالاحترام ، وفرض على كل مسلم أن يحجه ما استطاع ، وفي تلك البقعة تحشر الله من خيم أجبال المسلمين حشائرهم وأجناسهم ، ه وما هى إلا كلمة تقال بينهم من ذى مكانة فى نفوسهم تهتز لها أرجاء الأرض ، وتضطرب لها سواكن القلوب ، هلما ما أعدتهم له العدينة ع 10 .

وهو يطالب رجال الإعلام الإسلامي في جميع أنحاء الأمة الإسلامية بأن يرتبطوا معا و ويجعلوا لهم مراكز في أنطار عنطة يرجعون إليها في شئون وحدتهم ، ويجمعوا أطراف الوشائح إلى مقعد واحد يكون مزكزه في الأقطار المقدسة وأشرفها بيت الله الحزام (٧).

ومن ذلك يتضع مكان الحج في الإعلام الإسلامي عند جمال الدين ، وأثره في تقوية الروابط بين المسلمين ، والاعتباد عليه كوسيلة إعلام عظمي عن الجامعة الإسلامية . الأمر الذي يرتبط في رؤياه كذلك بالخلافة كوسيلة لجمع الكلمة وإعادة الوحدة بين المسلمين ، ولذلك أراد أن يعيد لها مكاتبها القديمة حتى تستعيد الأمة الإسلامية . مجدها وقوتها . ومن قوله :

8 كانت الملة كجسم عظيم قرى البنية ، صحيح المزاج ، فتزل به من العوارض ما أضعف الالتعام ، ثم انتلمت وحلة الحلاقة فانقسمت إلى أقسام : عباسية في بغداد ، وفاطمية في مصر والمغرب ، وأموية في أطراف الأندلس ، تفرقت ببذا كلمة الأمة ، وانشقت عصاها ، وانحطت رتبة الخلافة ، ⁽⁷⁷⁾ .

⁽١) جمال الدين الأفغالي : مقال 3 الوحلة والسيادة ، في 8 العروة الوثقي ، ، ص ١٩٨٠

 ⁽٣) جمال الدين الأفضائي: مقال و المعطاط المسلمين و سكونهم و سبب ذلك . ق و العروة الوقع » ، ص 4 إ

⁽۳) نفسه ، ص ۹۱ س ۹۲

ثم اتجهت آمال جمال الدين نحو إيران فطالب بالقضاء على الخلافات المذهبية بين السنة والشيعة ، ليكون ذلك بداية لاتحاد الإيرانيين والأفغانيين .. وكان يطالب الإيرانيين بأن يكونوا للوحدة الإسلامية دعامة ، كما كانوا للنشأة الإسلامية وقاية ، فليس ببعيد على همم الإيرانيين أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الإسلامية ، وتقوية الصلات الدينية ، (1).

العروة الوثقي والصحافة الإسلامية:

ويعنينا فى صدد دراستا الإعلام الإسلامى، أن تخصص جانبا منها لجويدة العروة العوقة الوققى على اعتبار أنها من الصحف الرائدة الإعلام الإسلامى فى العصر الحديث، والذى نعم بالطباعة كوسيلة من وسائل النشر والإعلام. ذلك أنه قد تبين نما سبق أن جمال الدين قد توسل بالوسائل الإعلامية المعروفة فى عصره وقبل عصره، ولذلك ذهب إلى باريس ليصدر هذه الصحيفة التي أراد لها أن تمبر عن آراء وجمعة العروة الوثقى » وهى جمعية العلامية تكونت فى ذلك الوقت. وكان القائمون عليها جماعة من أهل مصر والهند سعوا إلى إعادة المحكم الإسلامى، و دعوة الأثم إلى الاتحاد والتضامن ومقاؤمة الاستعمار فى اهند ومصر. وأخلوا ينشرون الدعوة بوسائل الإعلام المعروفة فى ذلك الحين، فاتخلوا من موسم الحج وسيلة إعلامية يوسائل الإعلام المعرفة فى ذلك كوسيلة حديثة فى الاتصال بالمسلمين، وأرادوا أن تبكون لهم صحيفة و تصدر بلسان عربى، فى مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم، وتوصيل عربى، فى مدينة حرة كمدينة باريس ليتمكنوا بواسطتها من بث آرائهم، وتوصيل أصواتهم إلى الأقطار القاصية تبيها للغافل و تذكرا للذاهل، فرغبوا إلى السيد جمال الدين الحسيني الأفعالي أن ينشئ تلك الجريلة بحيث تنع مشربهم، وتدهب مذهبهم (٢)

وكان الشيخ محمد عبده مدفي ذلك الحين بينفاه في بيروت، وكتب رسالة إلى السيد جنال الدين قال فيها:

 د وها نحن سالكون فى سننك وعلى سنتك، وكتا كذلك ولا نزال إلى انقضاء الأجبال. ولولا أطفال لنا رضع، ونساء لنا طوع، أبينا لهم الذل، وأنفنا لهم الضيم، فأتينا بهم إلى هنا ــــالى حيث أقمنا ـــ لكنت أول من تلقاك فى مدينة باريس ».

 ⁽١) جمال الدين: مقال ه دعوة الفرس إلى الاتحاد مع الأفغانيين ٤ . في و العروة الوثقي ٤ .
 حم ٢١٦ ـــــ د . عبد الباسط محمد حسن : السابق .

 ⁽٢) العروة الوثقي : خاتمة المقالات ، العدد الأول ، ص ٤٢ ، ٣٧ هــ د . عبد الباسط نحمد
 حسن : السابق .

ولم يلبث السيد جمال الدين أن بعث للشيخ محمد عبده ليوافيه في باريس، وليحملا معا في جريدة العروة الوظفي وليكون عورها الأول، فأجاب الشيخ محمد عبده السيد جمال الدين، وسافر إلى باريس في أوائل عام ١٨٨٤ م. ووضع الشيخ محمد عبده صيغة القسم الذي يربط أعضاء جمعية العروة الوثقي وقد جاء فيه:

وأتسم بالله العالم بالكل والجزئى، والجل والحفى، والقائم على كل نفس بما كسبت، الأنحذ لكل جارحة بما اجترحت، الأحكمن بكتاب الله فى أعمالى وأخلاق بلا تأويل ولا تضليل، ولأدعون لنصرته.. أقسم بالله لأبذلن ما فى وسعى لإحياء الأخوة الإسلامية.. ».

وكانت هذه الجمعية تنفق على الجريدة لتوزع بجانا على كل من يطلبها ، ولقد صدر المدد الأولى من عام ١٣٠١ هـ سالموافق العدد الأولى من عام ١٣٠١ هـ سالموافق ١٢ مارس من عام ١٨٨٤ م ، وكان السيد جمال الدين مديرا للجريدة والشيخ محمد ١٣ مارس من عام ١٨٨٤ حمد مقالاتها بين روح السيد جمال الدين وقلم الشيخ محمد عبده ، فجمعت بين قوة المحنى ورصانة الأسلوب . وكان يقوم بالترجمة من الصحف الإنجليزية فارسي اسمه و مرزا محمد باقر ، تعلم في مدارس الهند الإنجليزية وهو صغير ، في ليران ، وكان يقول الأشعار في هجاء الرسول ، ولكنه لم يلبث أن جعل يتردد على المديد جمال الدين من وقت إلى آخر إلى أن وافاه بباريس وأعبره برجوعه إلى الإسلام ، والمسلمين ، وعرض على والسيد ، وغتم المحرا برغته في المسل بجريدة والمروة الوثقي ، فكلفه بالترجمة عن اللغة الإنجليزية التي كان يتقنها نازا

وقد لخصت الجريدة أغراضها في عددها الأول، ومنها:

ا _ إفهام الشرقين واجباتهم التي كان التفريط فيها موجبا لسقوطهم، وتوضيح
 الطرن التي يجب سلوكها لتدارك ما فات.

٢ ــ إفهامهم كذلك أن الأمل في النجاح قريب، وإزالة ما حل بهم من اليأس.
 ٣ ــ دعوة المسلمين كافة إلى المسك بالأصول التي كان عليها آباؤهم وأسلافهم،
 قلا يصلح آخر هذا الأمر إلا بما يصلح به أوله..

إلدفاع عما يُرمى به الشرقيون عموما والمسلمون محصوصا من التهم،
 وإبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقلمون في المدنية ما داموا متمسكين بأصول دينهم.

٥ _ إحبار الشرقين بما يهمهم من حوادث السياسة العامة والخاصة.

تقوية الروابط والصلات بين الأمم الشرقية . . وتمكين الألفة بين أفرادها ،
 و تأبيد المنافع المشتركة بينهم .

و من تحليلنا لمضمون العروة الوثقى يتضبح أنها عنيت بهذه الأغراض جميعا، في إطار الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.

يقول السيد جمال الدين:

 وذا تصفحنا تاريخ كل جنس، واستقرينا أحوال الشعوب فى حظها من الوجود على مقدار حظها من الوحدة، ومبلغها من العظة عى حسب تطلولها فى الغلب...
 وما أهلك الله قبيلا إلا بعد ما رزئوا بالافتراق، وابتلوا بالشقاق ».

بقدل أبضا:

وليس على المسلمين في استرجاع مكانتهم الأولى والصعود إلى مقامهم الأول ، إلا
 أن يجمعوا كلمتهم ويتعاونوا على ما يقصدون من إعزاز ملتهم ٤.

وكان يبدأ مقالاته بآيات من كتاب الله وأحاديث الرسول، معظمها يدعو إلى الاتحاد و يعض على ترك المنازعات بين المسلمين، من ذلك ما افتتح به بعض مقالاته:

﴿ وَاعْتُصْمُوا بَحْبُلُ الله جميعا وَلا تَفْرَقُوا ﴾ آل عمران ١٠٣.

﴿ وَأَطِيعُوا اللهِ وَرَسُولُهُ وَلاَ تَنازَعُوا فَعَشْلُوا وَتَذْهَبُ رَيْحُكُم ﴾ . الأَنفَال ٦٠ . و لقد أحس بعض ساسة الإنجليز بخطر ٦ العروة الوثقي ٤ وأخذت الجرائد الإنجليزية تنادى بضرورة وقفها ومنعها عن الصدور . فرد عليهم لى العروة الوثقى يقوله :

و لكن فلتعلم الحكومة الإنجليزية أننا لا يعجزنا بث أفكارنا في العلاد الشرقية ،
 سواء بهذه الجريدة أو بوسيلة أخرى إذا دعا الحال ، فإن أنصار الحتى كثيرون » .

وكانت المروة الوثقى توزع فى مختلف أنحاء العالم الإسلامي، كما عنيت الجرائد المندية بترجمة مقالاتها ونقلها إلى اللسان الهندى، وخاصة جريسة و أخبيار دار السلطنة ، التي تطبع فى كلكتا وجريفة و مشير قيصر ، التي تطبع فى و الكهنو ، . ولم تلبث الحكومة الإنجليزية أن أمرت بمنع العروة الوثقى من الدخول فى مصر والهند، وانعقد مجلس النظار المصرى فى القاهرة، واهتم بالبحث فى شأن و العروة الوثقى ، ثم أصدر قراره إلى نظارة الداخلية المصرية بأن تشدد فى منع الجريدة من دخول الأقطار المصرية و حفظا للنظام العمومي ، وقد علقت و العروة الوثقى ، على

هذا القرار بقولها: 8 وبلغنا أن الجريدة الرسمية بعد نشرها صورة الأوامر التي أعلنت أن كل من توجد عنده و العروة الوثقى 9 يغرم مبلغا من خمسة جنيهات مصرية إلى خمسة وعشرين جنيها . أما نحن فلا نظن أحدا من التظار المصريين له رأى اختيارى فى هذا القرار ، بل لا . نتوهم فى المستوى على كرسى الخديوية ميلا إلى مثل هذا الحكم .

و فلا غراية في صدور مثل هذا الجور منها، غير أننا نعلن أن همم الرجال لا تقعدها أمثال هذه المظالم، وليس يعجزنا إدخال هذه الجريدة في كل بقعة تحوطها السلطة الإنجليزية الظالمة، ذلك بعزائم أولى العزم الذين قاموا بإنشاء العروة الوثقى ٤.

ولكن العروة الوثقى لم تلبث أن احتجبت، وسافر الشيخ عمد عبده إلى بيروت بيغًا بقى السيد جمال الدين في فرنسا . ومع ذلك ظل أثرها عميقا في الأمة الإسلامية، يقول الشيخ رشيد رضا:

و سمعت أستاذنا الشيخ حسينا الجسر علم سوريا الوحيد في الجمع بين العلوم الإسلامية و معرفة حالة العصر السياسية والمدنية يقول: ماكان أحديشك في أن جريدة العروة الوثقي ستحدث انقلابا عظيما في العالم الإسلامي لو طال عليها الزمان ».

انطارقه جديدة للإعلام الإسلامي:

ومن العروة الوثقى انطلق الإعلام الإسلامي إلى مرحلة جديدة على يد الشيخ محمد عبده والشيخ محمد عبد وجدى عبده والشيخ محمد ورضا والشيخ مصطفى عبد الرازق والأستاذ محمد فريد وجدى والشاعر محمد إقبال من الذين جعلوا الإعلام الإسلامي في العصر الحديث قائما على تحكيم العقل ، والرجوع إلى القرآن الكريم . قلفت الإعلام الإسلامي في أواخر القرن الماضى و بداية هذا القرن أنظار الأوربيين والمهتدين منهم بالإسلام بصفة خاصة .

المضيى وبداية عدد المرد المساو الموارقييل وسهما و الإسلام صد أعدائه من فكان على الإعلام الإسلامي في هذه المرحلة أن يدافع عن الإسلام صد أعدائه من اللذين رموه بشتى النهم، على نحو ما فعل السيد جمال الدين، وعلى نحو ما فعل الشيخ عمد عبده في رده على فرح أنطوان عمر جملة و الجامعة ٤. وكان رده على خصومه قويا وقالما على أساس من التفكير المستقيم، كما كانت صحيفتنا و اللواء ٤ لهروها مصطفى كامل و و المؤيد ٤ لمحررها الشيخ على يوسف في مصر معرتين عن هذا الاتجاه أصدق تعبير وأحسنه .

إقبال والإعلام الإسلامي:

أما إقبال فقد قام بدور كبير في الإعلام الإسلامي. يقول:

و إن على المسلم اليوم عملا شاقاً عليه أن يعيد النظر في الإسلام كله دون انقطاع
 عن الماضي . وقد أدرك جمال الدين الأفغاني خطر العمل وسعته ، وكان حريا أن يكون

حلقة حية بين الماضى والمستقبل بنظره الثاقب، ونفاذه إلى حقيقة تاريخ المسلمين وتاريخ ثقافتهم، إلى ما أوتى من إدراك واسع يسرته له تجاربه في الناس والأعلاق. فلو قصر جهاده الدائب على الإسلام من حيث هو نظام للعقائد والأعمال الإنسانية لكانت قواعد الفكر الإسلامي اليوم أقوى وأقوم ».

إقحام القومية والعنصرية على الإسلام:

و يمكن النظر إلى مواقف وأفكار جمال الدين الأففاني على أنبا كانت في نطاق مقاومة الاستعمار الذي كان يستهدف الانفراد بالتوجيه داخل الشعوب الإسلامية، والتبشير بالفكر الأورفي وبالمسيحية، وتئيس المسلمين في مستقبلهم وفي علاقتهم بإسلامهم. وكان للاستعمار دوره في دخول الاضطراب والبلبلة في جوهر أهداف الإعلام الإسلام، في مطلع القرن الحالى، بإقحام القومية والعنصرية وخلط بينهما وبين الإسلام، بصورة تفاعلت بعد ذلك بشكل خطير جدا، أدى إلى ما نراه اليوم من تضارب في الأهداف وتباين في وجهات النظر واختلاف في الوسائل.

ولذلك و جدنا جمال الدين الأفغاني يحمل على السيد أحمد خان وينقد اتجاهه الطبيعي نقدا مرا في كتابه و الرد على الدهريين و . وفي الوقت نفسه يدعو المسلمين جميعا إلى المودة إلى القرآن الكريم ، ونبذ الخصومة المذهبية ، والرجوع إلى حال المسلمين الأول قبل انفصال الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة ، وقيا قنع العباسيون باسم الخلافة دون أن يحوزوا شرف العلم والتفقه في الدين والاجتياد في أصوله وفروعه ، كما كان الراشلون رضى الله عنهم (١).

إقبال يهاجم القاديانية:

ووجدنا محمد إقبال يهاجم القاديانية هجوما عنيفا من الوجهة الإسلامية، وفى الوقت نفسه يكتب كتابه 3 تجديد الفكر الديني في الإسلام 3 .

ويوضح فيه محاولته لتقرير 9 علم الكلام ٥ الإسلامي في صورة حديثة، كما يوضح مزايا التعاليم الإسلامية في خلق جماعة حية قوية، ويطلب إلى المسلمين أن يفهموا الإسلام في ضوء الحياة المعاصرة، وأن يسعوا في تكييفها وطبعها بطابع إسلامي، بدلا من وقوفهم عند حد مفاهيم عصر الركود للمبادئ الإسلامية.

⁽١) العروة الوثقى ، ص ٧٨

محمد عبده يهاجم الاستشراق :

ونرى الشيخ محمد عبده يهاجم الاستشراق، ثم يضطره هذا الهجوم إلى الكتابة عن مزايا الإسلام بالنسبة للمسيحية. وفي الوقت ذاته يضع منهجه التربوي لفهم الإسلام قي ضوء القرآن والسنة الصحيحة، بدلا من إسلام المتكلمين وإسلام أرباب الكتب المتاعرة التي كانت تعيش في عزلة عن الحياة العامة نفسها. وهذه الحياة العامة نفسها كان طابعها هو الانقسام إلى شيع، والتعصب والتقليد الضار، والضعف السياسي والاتصادي، وسينعكس هذا كله على كتابات العصر لو عاشت فيه.

حلات الاستشراق الصليي:

ولقد واجه الإعلام الإسلامي حملات شرسة من جانب الاستشراق الصليبي الذي تستر بدوره بستار البحث العلمي والمعرفة الفعلية، فيحدشا المستشرق المحساوي ليوبولد فايس الذي أسلم وتسمى باسم و محمد أسد ، وتوني رياسة قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الباكستانية فترة من الزمن، يحدثنا في كتابه و الإسلام على مفترق الطرق ، عن أثر الحملة الصليبية في تشويه الإسلام، وعن دراسة الاستشراق لتعاجم، يقدل:

و إلا أن الشر الذى بعده الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكته كان قبل كل شيء وق مقدمة كل شيء شرا ثقافيا! لقد نشأ تسميم العقل الأوربي عما شوهه قادة الأوربيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلية في الغرب! في ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوربيين.. من أن ، ملام دين شهوانية، وعنف حيواني، وأنه تمسك بفروق شكلية وليبي تزكية للقلوب، أبيرا لها، ثم بقيت المعادة من استقرت ؟!

و إن من أبرز الحقائق على ذلك الفيلسوف والشاعر الرحى فولتير، وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيستها في القرن الثامن عشر لكته كان في الوقت نفسه مغضاً مغالباً للإسلام ولرسول الإسلام (١).

أما وصفه لعمل 9 المستشرقين ، فيودعه في عباراته الآتية : لا تجد موقف الأور في موقف كره في غير مبالاة فحسب .. كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات عدا الإسلام . بمل هو كره عميق الجلور يقوم في الأكثر على صدود من التعصب الشديد ? وهذا الكره ليس عقليا فقط، ولكنه أيضا يصطيغ بصيغة عاطفية قوية ؟!

⁽١) الإسلام على مفترق الطرق ، ص ٨٥، د . عبد الباسط محمد حسن : السابق

وقد لا تقبل أوربا تعاليم الفلسفة و البوذية ، أو و الهندوكية ، و لكنها تحتفظ دائما
 فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن ومبنى على التفكير ؟!

و إلا أنها طلما تتجه إلى و الإسلام ، يختل التوازن و يأخذ الميل العاطفي في التسرب ، حتى إن أبرز المستشرقين الأوربيين جعلوا من أنفسهم فريسة التخريب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام .. ويظهر في جميع بحوثهم على الأكار كالو أن و الإسلام الا يمكن أن يمالج على أنه و موضوع ، بحت في البحث العلمي ، بل إنه و متهم ، يقف أمام قضاته ا إن بعض المستشرقين يحتلون دور و المدعى العام ، الذي يحلول إثبات الجريمة ، و بعضهم يقوم مقام و المحامى ، في الدفاع 11 فهو مع اقتناعه شخصيا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له سمع شيء من الفتور ساعتبار و الأسباب المخففة ، 11

وعلى الجملة، فإن طريقة الاستقراء والاستتناج التى يتبعها أكار المستشرقين تذكرنا بوقائع و دواوين التفتيش »، تلك العواوين التي انشأتها الكنيسة الكاثوليكية لتصومها في العصور الوسطى ! أي تلك العريقة التي لم يتفق لها أبدا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجدو فير تحزب، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج منفق عليه قبل قد أملاه عليها تعصبها لرأيها. و يختار المستشرقون و شهودهم » حسب الاستنتاج الذي يقصدون أن يصلوا إليه مبدئيا. وإذا تعلر عليم الاختيار العرف للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها عن المن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمي من سوء قصد من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر.. أي من قبل المسلمين أنفسهم هزا).

وهكذا فإننا نرى أن الإعلام الإسلامي بعد بداية القرن الحاضر قد عنى بدراسة المستشرقين وواجه تشويههم للإسلام ، كما واجه من جانب آخر الفكر المدى المنكر للروحية أو المستخف بها ، وواجه ويواجه كذلك الدعوات المنحرفة التي أوجدها الاستعمار والصهيونية ، وسخر لها القوة المادية والفنية ، ودعمها بشتى الوسائل لإيقاع المبلمين على نحو ما يتضع في القاديانية والهائية بوجه خاص.

ونقدم فيما يلى تماذج من أبحاث المستشرقين تعرض لمواقفهم وآرائهم وأثرهم فى تشويه جوهر الإعلام الإسلامي :

١ يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر و وهما مستشرقان يهوديان ، في الفض من شأن الشريعة الإسلامية لا تحتلف
 عن أعراف الجاهلية ، وهو ادعاء باطل تصدى له كثير من الباحين .

⁽١) الرجع نفسه ، ص ٥١ ... ٥٢

ومن أكاذيب شخت وأضاليه: الادعاء بأن للفكر الإغريقي قضلا على الفكر الإسلامي. وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل « سيديو، درابر، وسارطون » وغيرهم أن الإسلام هو الذي أدخل إلى الغرب المنهج العلمي التجريبي، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنبج الذي هو أساس الحضارة الإسلامية.

٢ ... أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيدائية اللاتينية التي تحمل اسم جابر بن حيان هي كتب عربية الأصل كتبها عالم مسلم ، خبرد أن أصوطا العربية نقلت . وقد تصدى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأه ، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز . وقال سارطون : إن أي شخص يعرف العربية لا يخطئ مطلقا في اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية ، إذ تبنو الأساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية ، سداء كانت لجابر أو لغيره .

٣ ــ ويزعم سدرسكي أن جانبا مما ورد في القرآن أو التفاسير والسير من الأخبار يرجع لل الإجادة الهودية والتوراة والأناجيل . وقد يين الدكتور بشر فارس فساد هذا الراكي وقال : إن بين النصوص الإسلامية والنصوص الهودية والمسيحية مسافات ، وإن اتفق بعضها أو تقارب . .

2 _ وحلول نلينو أن ينفى حقيقة أن قريشا كانت أفصح العرب، وله فى ذلك مغالطات واسعة ترمى إلى الشكيك فى هذه الحقيقة، ويقول: إن تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول.

ه _ وزعم لويس شيخو اليسوعي أن معظم شعراء الجاهلية وصدر الإسلام كانوا نصارى، وأن الفسانيين كانوا نصارى. وهو قول لا يسلم به المطلعون على أعبار المرب في عهد الجاهلية ، لأن من الفساسنة من كان على الوثنية ومنهم من دان باليهودية وطاهفة كانت تدين بالنصرانية. وعمن عداهم نصارى من الشعراء.. الأختس بن شهاب وامرؤ القيس وأمية بن أني الصلت والسحوعل.

وهكذا جَرت بحوث المستشرقين وراء بث الشبهات حول القرآن الكريم ولفته والحديث الشريف والتشريع الإسلامي، ولا يتسع المقام للتوسع في ضرب الأمثال (١). لا تكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف على تفاوت فيما يينهم، فمنهم من أخطأ وأصاب ومنهم من انتهى به البحث الحر النزيه إلى الإيمان والإسلام. ويعتبر من الفريق الأول ورينان اللك التي به يخته عن المسيح عليه السلام

 ⁽١) راجع: و دفاع عن المقينة والشريعة الشيخ محمد الغزالي — الإسلام في وجه التغريب:
 و عنططات الاستشراقي والتبشير الأستاذ أنور الجندى — د . عبد الباسط محمد حسن: السابق .
 (م ١٢ - سنظرية الإعلام)

إلى إثبات أنه لم يكن إلىها ولا ابن إلىه، وإنما هو إنسان يمتاز بالمخلق السامى والروح الكريمة، وأن السير العربية للنبي محمد و ﷺ ، كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصاري.

ومنهم: وكارلايل ، الذي عدّ و عمدا ، عليه الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه و الأبطال ، يقول فيه : و من العل أن يصفى أي إنسان متمدين من أبناء هذا الجيل إلى وهم القاتلين إن دين الإسلام كنب ، وأن محمدا لم يكن على حق. فالرسالة التي دعا إليها هذا الني ظلت سراجا منوا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس، وما الرسالة التي أداها محمد و على 3 إلا الصدق والحق، وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم الجمهول، وما هو إلا شهاب أضاء العالم أجمع، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤيه من يشاء .

ومنهم قم تولستوى اكبر كتاب روسيا، فإنه لما رأى الحملة الظلمة على الإسلام ورسوله، كتب رأيه معربا عن الإعجاب بالإسلام، وتحلث عن المسيحية فأنكر على المسيحين اعتقادهم بألوهية المسيح، وخلص إلى أن بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طحسها، والكنيسة زادت تعاليم المسيح في العقيدة غيوضا.. ويقول إن المسيحين والبيود والمسلمين يعتقد جبهم بالوحى الإلهي، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى رعتمدون بأن عمدا خاتم الأنبياء، وأنه أوضح في القرآن تعاليم موسى وعيسى كا وعيسى ولكنهم يعتقدون بأن عمدا خاتم الأنبياء، وأنه أوضح في القرآن تعاليم موسى وعيسى كا والله ها دون زيادة ولا نقص.. وينتبى بالحديث عن رسول الله عمد مظلية حديث الإحار والتعظيم. وكان مما قاله تولستوى: ولا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال الإحار والتعظيم. وكان مما قاله تولستوى: ولا ريب أن هذا النبى من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهية الاجتماعية عدمة جليلة، ويكفيه فخرا أنه هندى المو والتقدم الصدايا، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرق والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوق قوة وحكمة وعلما، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال آ. وقد كان جزاؤه على كلمة الحترائي قالها أن حرمه البابا من الرحمة ()

ومن المستشرقين الذين انتهى جهم البحث عن الحق إلى الإسلام اللورد. هيدلي، وأتبين دينيه ٥ ناصر الدين ٤، والشاعر الألماني الكبير جوتيه، والدكتور جرينييه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي، وقد سئل عن سبب إسلامه فقال: ٥ إلى تتبعت كل

⁽۱) و البشير والاستشراق و أحقاد وحملات ، للمستشار محمد عزت إسماعيل الطهطاوي ، ص ٥٥ سـ ١٢

الآيات القرآنية التى لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعة والتى درستها من صغرى وأعلمها جيدا، فوجدت هذه الآيات منطبقه كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لألى تيقنت أن عمدا الآي بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون، أو علم من العلوم، قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارفت أيضا، لأسلم بلاشك إن كان عاقلا خاليا من الأغواض (١٠).

وصدق الله العظيم ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحت كه(٢).

أَيْقَنَ أَعداء الإسلام .. أنه لا سبيل إليه وعقيدته حية في قلوب المسلمين ، فكان بعاية ... البشور .. مع نبأية الحروب الصليبة فشلا في مهمتها . وهو ما صرح به 3 ملخص تاريخ البشور ؟ .. .

ويقول القسيس المبشر زوير إن جزيرة العرب التي هي مهد الإسلام لم تزل نلير خطر المسيحية . ويكمل وليم جيفورد بالكراف المعنى فيقول : متى توارى القرآن و مدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حيثلذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يعده عنها إلا محمد و كتابه كنا

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة .. أظهرها لنا:

(أ) المدارس المختلفة التي نصحت في أرجاء العالم الإسلامي ولم تنج منها ختي عاصمة الحلافة الإسلامية نفسها ، وباشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البريقة والشبسة المفضة . . من أبناء المسلمين ، وكانت لها نتاتج إيجابية محدودة .. لكنها إن لم تمح في المجموع عقائد التلاميذ فيكفي أنها بدرت فيها بغور الشك أو الانجراف ، ولا تزال من آثار تلك المدارس .. الجامعة الأمريكية في مصر ، والجامعة الأمريكية في بيروت ، الأمر الله كل لا ينكره رجالات المغرب أنفسهم .

ويلحق بهذه الوسيلة تغريب التعليم أو علمانيته، وهو ما فعلته إنجلتوا في مصر والهند .

(ب) ومن أخطر هذه الوسائل البعثات إلى الدول المسيحية الغربية ، وأول مثل لأثر البعثات ما حدث لرفاعة الطهطاوى الذي أقام في بلريس من سنة ٢٤٢ هـ د ١٨٢٦٥م إلى سنة ١٢٤٧هـ د ١٨٣١م، فقد عاد ذلك الشيخ.. بغير العقل الذي ذهب به.

 ⁽١) المرجع السابق، ص ٦٧ ــ و وأوربا والإسلام الله كتور عبد الحليم محمود.

⁽٢) قصلت ٥٣

ورسول الله عليه عقول (لكل بنى آدم حظ من الزنا.. فالعينان تزنيان وزناهما النظر، واليمان المثنى، والفم يزلى النظر، واليمان تزنيان وزناهما المشي، والفم يزلى وزناه القبل، والقلب يهوى ويتمنى، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه).. صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وتحلث عن المشاعر الوطنية ليحلها على المشاعر الدينية ، وراح يثير الجاهلية القديمة فيتحدث عن مصر الفرعونية وينسى مصر الإسلامية ، وأعجب الطهطلوى بالحرية لكنه لم يفهمها الفهم الإسلامي ، الذي تتحقق به عبودية المسلم لله وحده ، ويتحقق تحرره من كل عبودية لسوى الله . لكنه فهمها الفهم الغربي الذي يؤدى إلى التحرر من الأعلاق ومن الدير نفسه !

وقس على الشيخ رفاعة من ذهبوا بعده.

(ح) ثم تأتى سائر وسائل البشير .. فتح المستشفيات وبعث الإرساليات الطبية .. التي يقرر كثير من المبشرين في مؤتمراتهم وكتاباتهم أنها أدت إلى نتائج أسرع وأفضل من عمل القسم الششه بة .

. (د) ثم المحاضرات والندوات . . والكتب والمجلات والصحف والنشرات أخ. . أما مؤتمرات التبشير فقد تعددت . . نذكر منها :

 ١ مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦) المنعقد في منزل زعيم الثورة العرابية المسلم في باب اللوق، تحت سمم الحكومة و بصرها!

٢ - مؤتمر إدنبرج سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠ م) في إنجلترا.

٣ ـــ مؤتمر لكنوه سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) بالهند.

٤ ــ مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م).

٥ ــ مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م).

٦ — مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١ م).

وما بلغنا عنها إلا القليل. وأشهره ما نشرته مجلة 9 العالم الإسلامي ¢. ولا نعتقد أن ما نشر هو كل ماقيل وحدث..

ومع ذلك تشير الدراسات إلى نماذج من المؤتمرين الأول والثالث .

⁽۱) د . عبد الياسط محمد حسن : السابق

وقد تناول المؤتمر و سائل تبشير المسلمين بالنصرانية في كتاب حاص كتب عليه نشرة خاصة، ليكون قاصرا على فقة من المبشرين .. وهو من إعداد القسيس الأمريكي فليمنج.

ثم تعرض المؤتمر الأزهر فعي أن باب التعليم مفتوح للجميع ، خصوصا وأن أو قاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجانا .

وطالب سكرتير المؤتمر في مواجهة ذلك بإنشاء معهد مسيحي لتصير الممالك الإسلامية 1 قبل إن أساس تكوين الجامعة الأمريكية في مصر كان تنفيلما لتلك الرصية ٢.

ثم عرضِ المؤتمر لخريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر .

وقدم القسيس زويمر « رئيس المؤيمر » يتعاونة بعضى زملاته كتابا تحت عنوان « العالم الإسلامي اليوم » أشار إلى صلاية عقيدة المسلمين « وهو ما يقتضي الاشتناد في حربها » وقال ما نصه « لم يسبق وجود عقيدة منية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارقى آسيا وإفريقية ، وبث في ماتني مليون من البشر عقائده و شائعه و تقاليده ، وأحكم حروة ارتباطهم باللغة العربية » .

ثم قدم القسيس زويمر بعض النصائح من بينها:

(أ) وجوب إقناع المسلمين إأن النصاري ليسوا أعداءهم .

 (ب) وأخطرها يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.

وأخيرا بشر المبشرين ألا يقطنوا ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى تحرير النساء.

وفي مؤتمر لكنوه المنعقد في الهند سنة ٣٣٩ هـ (١٩١١ م). كانت مواده كغيرة . أخط ها :

(أ) النظر في حركة الجامعة الإسلامية ومقاصدها وطرقها، والتأليف بينها وبين تنصير المسلمين.

(ب) الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات و يلاحظ اختيار الألفاظ المهانية لتفطية المعنى المقصود .. فإن المشرين المسيحيين لا يهمهم في شيء ارتقاء النساء المسلمات ؟ .

وكان أخطرها حديث زوير الذي أشار إلى أن عبد الحميد 1 خليفة المسلمين ٥ سجين في سلانيك .. أشار إلى أنه لم يتي غير ٢٧,١٢٨,٨٠٠ . مسلم تحت سلطة الحكومات الإسلامية . وانتقلت السلطة على الباقين من الخلافة الإسلامية إلى أيدى كل من إنجلترا وفرنسا وروسيا وهولندا . أشار إلى أن عدد المسلمين الذي تحت سلطة الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول ؟؟

وكان من بين قرارات المؤتمر:

« من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير ».

و دخول النساء في أعمال التبشير لتنصير النساء المسلمات وأولادهن ٤.

وهم الآن لا يدعون المسلمين إلى المسيحية، بل يحاولون تشويه الإسلام وإضعاف ليمه .

سلبيات الإعلام المعاصرة في الأمة الإسلامية:

وتما تقدم جميعا نحاول فيما يلى استخلاص الإيجابيات والسلبيات التي تكتنف الإعلام الإسلامي في حاضره، ومنها:

أ ـــ أنه كان من الضرورى التصدى بقوة لإقحام المفاهيم المستوردة على جوهر الإسلام .

ب ... التصدى للبليلة التى وقع فيها العالم الإسلامى نتيجة لكثرة الآراء و الاتجاهات وإدخال الكثير من الضلالات والمفتريات التى سبقت الإشارة إلى بعضها ، مشل الدعوات المنحوفة التى أوجدها الاستعمار والصهيونية ، وسخر ها القوة المادية والفنية ودعمها بشتى الوسائل لإيقاع البليلة فى أفكار المسلمين : القاديانية والبائية بوجه خاصى ، مع العلم بأن هناك صلات قائمة إلى الآن بين الدعوات المنحوفة وأعداء الإسلام و الاستعمار والصهيونية » .

الصهيونية والخطر الدعائي والإعلامي:

والصهيونية من أخطر أعداء الإسلام، بما تفرضه من قهر سياسي وقسر فكرى وتمايز عنصرى. وفي بروتو كولات صهيون يتضح هذا المعنى تماما، قهى تعتمد على تقويض أركان المجتمع العالمي وبث عناصر للانجلال تعبث في كيانه، و تعمل على إشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية، وسيلها إلى ذلك اللاعالية المنظمة التي تتوسل بأجهزة الإعلام والاتصال بالجماهير بهدف اغتصاب العقل البشرى والسيطرة عليه، سواء كالجمعيات المناجزة منظمات بهودية سافرة، أم منظمات اجتماعية سرية أو علية، كالجمعيات الماسونية وفرسان المعيد وجماعات الصليب الوردى ويهود يهوه والكباك وغيرها من الهيئات والمبطرة نها على

وأد الشعور الديني لدى المتتمين إليها من شتى الأجناس والأديان . ويسيطر على و سائل الإعلام كالإذاعة و الصحافة و السينا ووكالات الأنباء ، يستخدمونها في الحرب النفسية وإشاعة الفوضي وزعزعة القيم الأخلاقية .

ومن بروتوكولات حكماء صهيون التي تعتبر الدستور العلمي للحركة الصهيونية، يتضع أن أهدافها تتلخص فيها بل:

١ _ إشاعة القوضي الشاملة:

جاء في البروتو كول الخامس: وإننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اعتبارنا لحكم العالم، وقد وهبنا الله العقرية لنقوم بهذا العمل ٤. وقد تركزت هذه العبقرية — مع الأسف — في الافتتان في وسائل الفساد والتخريب، وفساد الحكومات والمجتمعات ، وغيريب اللغول والنفوس، وعلى هذا الأساس فضلت البروتو كولات المناهج العلمية لتقويض الحبكم القائم في شتى الدول، وإقامة حكومة بيودية جامعة على أنقاضها: وأروع النتائج التي يمكن الحصول عليها في سيل حكم العالم، يتحقق باستخدام العنف والنفاق، وفي السياسة تستحيل الصفات الإنسانية من أمانة وصدة إلى دفائل تؤدى إلى سقوط الملك عن عرشه ٤ .. و إن الذي يمكم يجب أن يلجأ إلى الحيلة أن يكون شعارنا: جميع وسائل القوة والنفاق تمجم أن يكون البطش هو المبلأ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن يكون البطش هو المبلأ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن تضع تاجها تحت أقدام أعوان أى حكم جديد .. وهذا الشرهو السينل الوحيد لبلوغ وتشأ عن هذه الحطط والوسائل الصههونية إشاعة القوضى في العالم والتسلل و وتشأ عن هذه الحطط والوسائل الصههونية إشاعة القوضى في العالم والتسلل وخكرية وروحية واجتاعة واقتصادية .

٢ ــــ إثارة الفتن و الوقيمة بين شعوب العالم ودوله:

كشف الحاخام عمانوتيل راينوفتش عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بوادبست سنة ١٩٥٤ م و ١٣٣٣ هـ ، حيث قال: و هل تذكرون حملاتنا الدعائية الناجيمة عام ١٩٥٠ و اقد أثارت الجقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا وهذا هو ما أدى إلى نشوب الحرب العالمية الثانية. وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم فأثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة ، وفي نفس الوقت أثرنا في الولايات المتحدة شعورا بالمخوف والتوجس إذاء الشيوعيين ، وتؤدى هذه الحملات إلى دفع النول الصغيرة إلى تحديد موقفها إما مع روسيا وإما مع أمريكا ٤.

وهذا تطبيق لما رسمته البروتوكولات صراحة، فقى البروتوكول العاشر: 9 يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة فى العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات، وإشاعة الأعمال العدوانية والأحقاد، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأصراض، لدرجة لا يرى معهاغير اليهود غرجا للأرزاء التي تحل بهم سوى الالتجاء إلى أموالنا وإلى سيادتنا المطلقة ».

وفى البروتوكول الحادى عشر: 8 غير اليهود كقطيع من الأغنام، أما نحن فإننا اللذاب، وهل تعلمون ما تفعل الأعنام إذا اقتحم الذئاب حظيرتها ؟ إنها تغمض عينيها، وسندهمهم إلى ذلك ».

و يتضع فى البروتو كول الخامس عشر كيف يعمل الصهيونيون لتحقيق أهدافهم: و وإذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعددناه من انقلابات تحدث فى جميع الدول فى وقت واحد سبمجرد أن يعلن رسميا عجر حكومات تلك الدول عن حكم الشعب، وقد يمضى على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرناس سنبلل كل جهدنا لمنع المؤامرات مندنا ».

وإعمالا غذه التعاليم للاحظ أن اليود دائما ضالعون مع كل حركة تخريب في العالم، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التي تصدت لليهود وانتقمت منهم . وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية بإقراض الدول بالربا الفاحش، وتروج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها، والقضاء على شعوب أوربا وتقويض دولها.

كم حاول اليهود استغلال الثورة البلشفية في روسيا ، وفرضوا وصايتهم عليها لتحقيق مآربهم العنصرية التي فشلوا في تحقيقها في عهد القياصرة .

وقد نجحت العناصر الصهيونية في حكومة البلاشفة في ممالأة اليهود والتستر على ما قد يسيء إليهم ويفضح نواياهم، فلما طبعت البروتوكولات في روسيا سنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا، ولم يسمح بطبعها بعد ذلك.

٣ ــ الإرهاب الفكرى وإفساد الرأى العام:

يشرح البروتوكول الخامس كيفية إفساد الرأى العام وبلبلة الأفكار فيقول و ولكى نطمتن إلى الرأى العام يجب أن تربكه تماما، فسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير البود الطريق ٤.. ويوصى بـ و مضاعفة الأخطاء التي ترتكب، والمادات والعواطف والقوانين الوضعة في البلاد للرجة يتعلر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضاء . وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب، وعلى حل الجماعات القوية، وعلى تشيط عزية كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعاتنا ه. وفي البروتوكول السابع و يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير الهيودية عن طريق ما يسمونه الرأى العام الذي هيأناه عن طريق أعظم قرة وهي الصحافة، التي سفيما علما بعض الحلات الاستثنائية التي لا قيمة لها ستوجد كلها في قبضتنا ه. وفي البرتوكول الثامن و لا يتيسر إسناد المناصب الرئيسية في الحكومة إلى إخواتنا الهيود، فإننا سنسند المناصب الهامة إلى أناس عن فوى السمعة السيئة حتى تشأ بينهم وين الشعب هوة سحيقة، أو إلى أناس يمكن عاكمتهم والزج بهم في السجون إذا ما حاوا دون تنفيذ أمرنا ».

ولقد بلغ من جرأة البود أن استاحوا جلال العلم لإشباع حقدهم و زواتهم بإفساد العقول و الأخلاق، و العبث بالقيم والفضائل الإنسانية، فابتدها نظريات علمية تسوغ لهم ما يبيون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة.. فالبود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، و ترمى إلى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الإنساني، فالبودى كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق و الأديان .. و البودى دركيم وراء علم الاجتماع الملى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، و يحلول أن يطل أثارها في تطور الفضائل و الآداب .. والبودى سارتر وراء الوجودية التى جنح يطل أثارها في تطور الفضائل و الآداب .. والبودى سارتر وراء الوجودية التى جنح بها إلى حيوانية تصيب الفرد و الجماعة بآفات السقوط و الانحلال (١).

وفى البروتوكول الثالى ٥ .. نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه، ولم يفتتا تقدير الآثار السيئة التي تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود ٤.

عـــ إشاعة الفوضى والفساد ف الجنفع:

رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون اساتر شعوب الأرض، ويبلرون الفوضى والانحلال فيقول اإن الشباب لدى المسيحين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الحمر ، كما أن الشباب قدانتابه العته لانفماسه في الفسق المبكر الذي دفعه إليه أهواننا من المدرسين والحدم والمريدات اللاتي يعملن في يبوت الأثرياء والموظفين، والساء اللواتي يعملن في أماكن اللهو، ونساء المجتمع المزعومات اللواتي يقلدني في الفسق والترف 8.

⁽١) العقاد : الصهيونية العالمية .

وفي البروتوكول التاسع 3 لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود، وأفسدنا خلقه يتلقينه المبادئ والنظريات التي نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة ، وعملنا على ترسيخها في ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التقسير الذي لم يخطر على بال واضعها للحصول على نبيجة فعالة ».

افتعال الأزمات الاقتصادية:

يفضل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادى الذى يستعين به اليهود على تقويض الحكومات 3 وسنعمد إلى خلق أزمة اقتصادية عالمية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة اللحب الذى يجرى بين أيدينا ».

وفى البروتوكول الرابع 3 يجب أن نقيم التجارة على أسس المضاربة ، ويكون نتيجة ذلك منع غير الهود من الاحتفاظ بالثروات التي انتجتها الأرض . وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزالتنا ¢ .

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الإضرار بالإنتاج و وسنعمل على تقويض الإنتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الحمر ، كما أنه لا بد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكياء من غير المهود من وجه البسيطة » .

. ٣ ــ القضاء على الأديان:

فى البروتوكول الرابع عشر 3 عندما نصبح أسياد الأرض لا نسمح بقيام دين غير ديننا .. من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد . وإذا كانت النتيجة التى وصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين ، فإن هدفنا لن يتأثر بذلك .. بل يكون ذلك مثلا للأجيال القادمة التى ستستمع إلى دين موسى ، هذا الدين الذى فرض علينا مبدؤه الثابت النابه وضع جميع الأم تحت أقدامنا ٤ ..

وفى البروتوكول السابع عشر 3 لقد عنينا عناية خاصة بالعيب فى رجال الدين غير الهود، والحمط من قدرهم فى نظر الشعب، وأفلحنا كذلك فى الإضرار برسالتهم التى تتحصر فى تعويق أهدافنا والوقوف فى سبيلها، حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام.. وإن حرية العقيدة معترف بها اليوم فى كل مكان، ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية إلا بضع منوات، وميكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك، لكن الوقت لم يحن بع لمناقشة هذه الرسالة..

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتماليهم تافها، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فاترا إلى حد يجعل أثر تماليهم عكسيا ».

ومن هنا كان الإسلام بعد المسيحية المجال الرئيسي الذي كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأب حثيث، وكانت عماريتهما هدفا لليهود منذ أزمان سجيقة، ففي التلمود: وحيث أن المسيح كذاب، وحيث أن محمدا اعترف به، والمعترف بالكذاب كذاب مثله، فيجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأولى (١٠).

وقد جاهر حاحام إسرائيل فى الحفل الذى أقيم لوضع الحجر الأساسى للمحفل الماسونى فى تل أبيب سنة ١٣٧٧ ه. بقوله وإننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب إلى أول دين محرم أنزله الله على ظهر هذه الأرض، وما عدا ذلك فهى أديان باطلة .. أديان أو جدت الفرقة بين أهل البلد الواحد، وبين أى شعب وشعب، و نتيجة لمجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحى والدين الإسلامى، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقلتهم المتعفقة ، ويصل جميع البشر لور الحق ه

وينبغي ألا ننسي أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه إلى أعضاء المخفل الماسولي الذي تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الديني، وأنه يتحلي بالجهاد تجاه العقائد.

محاربة الصهيونية للإسلام:

حرصت دولة إسرائيل على عاربة الدين الإسلامي في نطاقها المحلى، تطبيقا للمبادئ التي نص عليها البروتوكولان السابقان، فعملت إلى إجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة البودية وحفظ التوراة، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الإسلامي.

وتطاولت إسرائيل على القرآن الكريم فطبعت في عامى ١٣٨٠ و ١٣٨٨ منسخا مزورة من المصحف الشريف، أسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذافيرها، أو تتلولت بعض الألفاظ بالتحريف ــتينمى بذلك تحريف بعض المعانى القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله ــ بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات عرفة من المصحف، والحيلولة دون تناولها.

⁽١) د . محمد الزعبي : 3 دفاتن النفسية الهودية ٤ ، ص ١٢٨ ٥ د . عبد الباسط محمد حسن : السابق .

ودأب اليهود منذ ظهور الإسلام على محاولة إفساد شرائصه، وتشويه مصدر أحكامه، فدسوا كثيرا من البدع المضللة. ومنهم من انتحل الإسلام نفاقا ورياء ليفترى على الإسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان، ليكيد بها للإسلام ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين. وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالإسرائيليات، وهي كل ما دسه الهود على تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوى من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية فها إغراب وزيغ عن المعنى المقصود، قصد بها التضليل والإرجاف والبليلة وإثارة الشبيات بتشويه حقائق الإسلام الناصعة (١).

ومن دهاة اليهود عبد الله بن سبأ الحميرى 3 ابن السوداء ؟ الذي ترجع إليه طوائف غلاة الشيعة ، وهو القائل بمذهب الرجعة ومذهب الحلول 3 يزعم أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا، وإنما المقتول شيطان تصور للناس في صورة على ، أما على رضى الله عنه فقد صعد إلى السماء على أن يرجع إلى الأرض بوصفه 3 المهدى المنتظر 3 حيث ينتقم من أعدائه ويقيم العدل والحق .

الإعلام العربي مهمة إسلامية:

وإذا كان المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين التي ينظر بها الأورني، و بغير العين التي ينظر بها المواطن العربي، ه فإنه ينظر إليه كمهد الإسلام ومشرق نوره، ومعقل الإنسانية، وموضع القيادة العالمية. ومن هنا يصبح الكشف عن استراتيجية للإعلام العربي وسط الظروف التي تخوضها الأمة العربية والإسلامية، مهمة إسلامية من الطراز الأول، وبعمرف النظر عن المعنى الأصل لكلمة و استراتيجية » في الاصطلاحات العسكرية، لأنها استخدمت فيما بعد للدلالة على المهارة في التخطيط والإدارة . بل إن العلوم الاجتماعية حين استعارت هذا الاصطلاح أضفت عليه مفهوما شاملا يعنى و الحطة العامة لوسائل تحقيق الأهداف ».

⁽١) من ذلك تفسيرهم الروح في قوله تعلل ﴿ تنزل الملاتكة والروح فيها ﴾ بأنه ملك هائل لو التقم السموات السبع والأرضين السبع ، كانت له لقمة واحدة ، وغير ذلك .

الفقير الهتاسع

الإعلام الإنساني والإعلام الدولي

نواصل في هذا الفصل دراسة الإعلام الإسلامي في مسيرته لمستقبلية، فتلاحظ ابتداء أن الإعلام الإعلام الدولي . ابتداء أن الإعلام الإعلام الدولي . ذلك أن الإسلام قد أرسل للناس كافة ، وأكد على الاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب فقال الذجل أن الأمم أن كتابه الكريم ﴿ يا أبها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأثنى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ الحجرات ١٣ .

فالإعلام الإسلامي أشمل من مفهوم الإعلام الدولي بالمصطلح الحديث ، ذلك أن القرآن يؤكد أن الإنسانية كلها أمة واحدة .

ويقول سبحانه وتعالى فى كتابه الكريم ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحتى ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البينات بغيا ينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحتى بإذنه والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقم ﴾ . البقرة ٣١٣

الإعلام الإسلامي والإعلام الدولي :

ومن ذلك يتضح ما نعيه بشمولية الإعلام الإسلامي في المصطلح الحديث ، ذلك أن القرآن الكريم الذي تنهع منه نظرية الإعلام الإسلامي يؤكد على وحدة الإنسانية . يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيّها الناس اتقوا ربكم الذي نحلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله

كان عليكم رقيبا ﴾ . النساء ١

فالإعلام الإسلامي يقوم على أساس من صلة الرحم بين بنى الإنسان ، وعلى أساس من التعارف والمودة وإقرار السلام . ولذلك فإن الأصل فى الإعلام الإسلامي هو الود والتراحم لا العداوة القاطعة ، ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ه فإن زللم من بعد ما جايتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ . البقرة م٠٢ ــ ٢٠٩ ـ ٢٠٩ وتأسيسا على هذا الفهم يمكن القول أن الإعلام الإسلامي يتجاوز مصطلح الإعلام الدولى ، إلى أن يكون هو و الإعلام الإنسانى ، الأشمل الذي يدعو إلى دين الوحلانية والوحلة الإنسانية في آن معا ، وإن اختلف الناس أجناسا وقبائل . قال جل شأنه في القرآن الكريم :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهُ خَلَقُ السَّمُواتُ وَالْأَرْضُ وَاحْتَلَافُ ٱلسَّنَتَكُمُ وَٱلْوَانَكُمُ إِنْ فَى ذَلْكُ لآيات للعالمين ﴾ . الروم ٢٢

ونظرية الإعلام الإسلامى الإنسانية ، التى تنجاوز مصطلح الإعملام الـدولى المعاصر ، تقوم على أساس المساواة كما جاء لى قول الله تعالى :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجملناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ . الحجرات ١٣

فالمساواة هي أساس الإعلام الإنساني في الإسلام ، كما أن التعارف يقتضي من وسائل الإعلام إشاعة المودة والتعاون في كل أنحاء العالم .

والمعدانة أساس العلاقات الإنسانية فى الإعلام الإنسانى ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيَّهَا الذِّينَ آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾ . النساء ١٣٥

ودستور الإعلام الإسلامي في العلاقة الإنسانية العامة ، قول الله سبحانه وتعالى :

إنا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على
الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ . المائلة ٨
وقوله جل شأله :

﴿ إِنَ اللهِ يَأْمَرُ بِالْعَدَلُ وَالْإِحْسَانَ ﴾ النحل ٩٠

الإعلام الإسلامي والرأى العام العالمي :

وليس من قبيل التعصب أن نذهب إلى أن الإعلام الإسلامي قد وضع الحلول الناجعة لكل المشكلات التي يعاني منها اليوم الإعلام اللولى بالمصطلح الحديث . International Communication والذي يسعى إلى تكوين الرأى العام العالمي ، ف حين أن الإعلام الإسلامي يسعى إلى تكوين الرأى العام الإنساني في إطار من الوحدة الإنسانية ، وعلى أسس من العدالة والتعاون والتواد والسلام .

وهنا تتضح الفروق بين ما نعنيه بمصطلح و الإعلام الإنساني ؛ في الإسلام ، ومصطلح الإعلام الدولي المعاصر . ذلك أن الأعير يعانى من الاحتكاك والصراع الدولى ، وفي كثير من الأحيان يصبح من أهم عوامل هذا الصراع الذي قد يؤدي إلى الحروب والدمار . لأن الإعلام الدولي المعاصر يسمى إلى السيطرة على العقل البشري من خلال عملية الاتصال التطويعية Persuasive Communication وغيرهما من العمليات الاتصالية . فالإعلام الدولي تعبير عن طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة والتي يغلب عليها طابع الحرب النفسية وتحطيم الروح المعنوية لذي الشعوب الأخرى ، على نحو ما نعرف اليوم من دلالات المصطلحات التي شاعت في عصر نا كالحرب الباردة والحرب الأيدولوجية وحرب الأعصاب والحرب السياسية وحرب القوة الفكرية وما إلى ذلك ، مما يكشف في مجموعه عن عدم موضوعية ما يطلق عليه تجاوزا بالإعلام الدولى ، واستبدافه التأثير على آراء وسلوك وعواطف جماعات أو دول أجنبية عدائية أو محايدة أو صديقة ، وذلك من أجل متابعة سياسة اللولة ومصالحها .

وعلى هذا الفهم بمكننا أن نتعرف على الحلول الشاملة والجذرية التي يقدمها الإعلام الإنساني في الإسلام لمشكلات الإعلام الدولي، والتي تظهر من خلال المؤتمرات الدولية للصحفيين في شيكاغو وبلجيكا عام ١٨٩٣، والتي لم تحقق شيئا يذكر غير بعض التوصيات التي محتبا الدعاية والرقابة خلال الحرين العالمتين (١) . و عكر أن نحد هذا الصدى كذلك في اهتام عصبة الأنم بمشكلات الإعلام الدولي من خلال المؤتمرات التي عقدت تحت رعايتها عام ١٩٢٧ في جنيف وعام ١٩٣٢ في كوبنها جن وعام ١٩٣٣ في مدريد . وكانت أهداف مؤتم خيراء الصحافة الذي عقد في حنيف ما يل:

أولا: البحث في الوسائل التي تكفل الانتقال السريم للز ال الصحفية بأقل

النفقات ، مع نظرة إلى تقليل مخاطر سوء التفاهم الدولي .

سيونى إلى تهدثة الرأى ثانيا: مناقشة جميع المشاكل الفنية التي يرى الخبراء أن العام في الدول المختلفة . وقد ظهرت رغبة عصبة الأمم في القضاء على انتشار المعلومات الكاذبة عن الدول في مؤتمر مكاتب الصحافة الحكومية الذي عقد عام ١٩٣٢ . وقد أصر المجتمعون على ألا تكون الإجراءات التي تتخذ لتحقيق هذا الأمر ماسة بالحريات الأساسية للصحافة . وقد نوقشت هذه المشكلة ذاتها في مؤتم مكاتب الصحافة الحكومية الذي عقد عام ١٩٣٣ ولكن شيئا محلما لم ينبثق عن هذه المؤتمرات(٢).

William Read, " 50 Years of Resolutions from State for U. N. Talks, " Editor and Publisher, V. 80, N. 16, April 12, 1947, p. 17.

⁽٢) د . أحمد بدر : الإعلام الدولي ، ص ١٣٦

الإعلام الإسلامي وحقوق الإنسان :

واهتمت هيئة الأمم كذلك بعد الحرب العالمية الثانية بمشكلة حرية الإعلام ، وجاء ذكر حقوق الإنسان ومن بينها حرية الإعلام سبع مرات في ميثاق الأمم المتحدة ، كما نوقشت هذه الكلمة في الجمعية العامة والمجلس الانتصادي والاجتاعي مرات عديدة . وتضمن دستور اليونسكو أنه ق لما كانت الحروب تبدأ في عقول الرجال فينبغي أن تبنى دفاعات السلام في عقول الرجال أيضا ، إشارة إلى ضرورة الاهتام بالإعلام عن حقائق العلم والتعالم ،

و هنا عبد أن النظرية الإعلامية في الإسلام تقوم على أساس إنسانى ، و تؤكد حقوق الإنسان قبل كل الأيديولوجيات والمواثيق المدولية تأكيدا ينبع من مخاطبة الفطرة الإنسانية ، وإن دستور الإعلام الإسلامي يتجمع ويبلور في قول الله تعالى ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ . وفي قوله الكريم الموجه إلى الرسول الكريم على ﴿ أَفَانَت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ ؟ . فالإسلام ليس دين إكراه ، ولكنه يفرض على الإعلام الإسلامي أن يبشر بالهفائية واللدعوة بالكلمة الطبية والموعظة الحسنة . ومن الحقائلة اللدعاية الدولية اليوم تحرص على اغتصاب عقول الجماهير باسم الإعلام الدولي تارة ، الاتصال الثقافي تارة اخرى ، ولكنها تتفق في عمليات غسل المنح الجماعية ، وممارسة أساليب الضغط على الجماهير لاعتناق أفكار معينة ومعتقدات جديدة . وهذه أساليب يطلق عليها أساليب قتل العقل العقل المعالم النعفي الهولندى ميرك ، لأنها تحيل الإنسان إلى كائن لا حول له ولا قوة ، وتخضعه إخضاعا للتعالم ميرك ، لأنها تحيل الإنسان إلى كائن لا حول له ولا قوة ، وتخضعه إخضاعا للتعالم على الإنسان إلى كائن لا حول له ولا قوة ، وتخضعه إخضاعا للتعالم على الإنسان .

قالإعلام الدولى بالمصطلح الحديث لا يخرج عن مفهوم الدعاية كنشاط أو فن لإغراء الغير بالتصرف بطريقة مهيئة ، على نحو ما نعرف عن الدعاية النشيرية فى الحرب المسيحية ، والدعاية السياسية فى وسائل الإعلام العالمية ، والدعاية الرمزية فى الحرب النفسية . . على نحو ما نعرف عن عمليات الانتقام النازية التى كان يقصد منها إرهاب الفاعات الأخرى التى قد تحلول المقاومة . وما تعرفه عن الفارة الإنجليزية التى وجهت إلى براين أثناء إلقاء الوزير جورنج خطابا له من الإذاعة ، كانت أصوات القنابل الإنجليزية وهى تنفجر فى سماء براين تكذب ما كان يزعمه جورنج من أن سماء برلين لا يمكن أن تقهر . وكذلك ما قامت به العصابات الصهيونية يومى ٨ و ٩ أبريل

سنة ١٩٤٨ إبان الحملة التي شنها اليهود لتعبيد طريق تل أبيب القدس الذي وقع قبه أعنف قتال شهدته الحرب . فقد احتل أعضاء عصابتي أرجون وشتيرن القرية العربية و دير ياسين ، التي تقع بالقرب من القدس ، وذبحوا سكانها جميعا وكان عندهم يبلغ ٢٥٤ رجلا وامرأة و طفلا . ولقد زعم مناحم بيجين فيما بعدأن قوات الأرجون فعلت ذلك لبث الرعب في قلوب عرب فلسطين .

فالدعاية الدولية مفهوم متدهور لا يرمى إلى الإقتاع بقدر ما يرمى إلى الاغتصاب النفسى وانتباك حقوق الإنسان ، ولكن الإعلام الإنساني فى الإسلام يتطلق أساسا من الحرص على حقوق الإنسان ، ويتوسل بالإقتاع والتعبير الموضوعي عن عقلية البشر فى وضحوح وصدق وأمانة . وهو لذلك يقوم على التتوير والتنفيف ، وضمان حريات الناس وأمنهم على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم . فالإسلام الملك حرر العبيد ، هو في الإسلام هي النفسية لتحرير الإنسان وضمان حقوقه . ولذلك فإن نظرية الإعلام في الإسلام هي النفسية المفارية الإعلام المناسبة في شمي بقاع العالم . . إذ أن الإعلام الإسلامي هو الذي يسكب في النفس الطمأنينة والرضا ، ويخفظ على الإنسان كرامته وحريته ، وينشئ لديه رقابة قائم النفس الطمأنية والرضا ، ويخفظ على الإنسان كرامته وحريته ، وينشئ لديه رقابة خميه و تحمي بحتمعه وأمته الإنسانية .

ولذلك يمكن القول إن النظريات الإعلامية المعاصرة هي نظريات تهتم بالجانب الملدى الإنسان ، والتقدم العلمي للسيطرة على عقول الناس ، وتروج للفلسفات المادية والإلحادية والنزوات الشريرة لكي تطفى على الإنسان ، فأصبح الإنسان أسيرا لوسائل الإعلام المعاصرة التي جعلته يعيش في فراغ وضياع ، وفقد جوم إنسانيته فأصبح على الرغم من التكنولوجيا الحديثة مفتقدا الإنسانية . وهنا لا مفر من الرجوع إلى الإسلام في الوصول إلى نظرية إعلامية تواجه حقوق الإنسان . يقول الله سجانه وتعالى :
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلمه ولو كره المشركون كلى . الصف ٩

وفى سورة الفاتحة الدعاء الذى يتغياه الإعلام الإنسانى فى الإسلام : ﴿ اهدنــا الصراط المستقم صراط الذيــــن أنعـــمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ . الحمد ٦

الإعلام الإنسالي في الإسلام :

والإعلام الإنسان في الإسلام إعلام إيجاني يصل بين الإنسان وخالقه ، ويوضح حقائق الهناية ، ويوجه الإنسان إلى البناء من أجل الدنيا والآخرة

ويقوم الإعلام الإسلامي على أساس من الخير الشامل الذي لم يستطع مذهب من المذاهب الأخلاقية الإعلامية أن يكفله مبرأ من الإنسانية ، أو الاستجابة لنوازع الأهواء الدعائية سياسيا أو دينيا . ذلك أن الإعلام الإسلامي ينهل من الأعلاق المثلى التي وضعها الإسلام لتحقق الحير المحض للإنسان في كل زمان ومكان . كما تمتاز نظرية الإعلام الإسلامي بأنها نظرية صالحة لكل الشعوب في كل زمان ومكان ، لا إرهاقي فيها و لا إعنات . *

يقول الله تعالى ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ . البقرة ١٨٥ ويقول جل شأنه ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ . البقرة ٢٨٦

ويقـولُ تبـارك وتعـال ﴿ وأوفـوا الكيـل والميـزان بالـقسط لا نكلـف نفسا إلا وسعها ﴾ . الأنعام ١٥٢

هذه الصلاحية وهذا اليسر عققان في الإعلام الإسلامي ، على حين أن مذهب السلطة الإعلامية أو مذهب الحرية أو المسئولية الاجتماعية في الإعلام هي مذاهب ضيقة المجال في بنيانها وزمانها . ولكن الإسلام يصلح لكل المجتمعات لأنه دين المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، وفي الثواب والمقاب ، وفي الحسنات والسيئات ، الأمر الذي يجعل الإعلام الإسلامي مستهدفا الحض على الأعلاق الكريمة ، والفضائل المجل التي تصلح للأفراد والمجتمعات في كل مكان وزمان .

هذه الصورة المثلى التى ينشدها علماء الإعلام لا تتحقق إلا فى نظرية الإعلام الإسلامى ، ذلك أن النظريات الإعلامية الوضعية فى عالم اليوم إنما هى خصم عجيب .. الأخلاقيات أصبحت تحكمها المصالح ، والوطنية أناشيد رنانة يطرب لها الناس ، والمصالح المشتركة شباك تطلق من الجانين يصطاد بها كل جانب ما وسعه أن يصطاد على حساب الطرف الآخر ، والوفاق الدولى شبكة كبيرة تقع تحت طائلها مصالح الدول والدويلات المسكينة التى يسمح لها بالعيش فى إطار حماية العملاق أو المعلاق أو علملاق أحديدة المصالح المسلاقين أصحاب الشبكة التى تم صنعها بالوفاق ، وكذلك حماية المصالح .

الإعلام الإسلامي والمذاهب الوضعية :

يتأثر تشكيل النظام الإعلامي بالبيقة الفكرية إلى حد كيير ، فالأفكار الساتدة في مجتمع ما تشكل مؤسساته ، كا تشكلها كذلك القوى الاقتصادية والاجتاعية . ولذلك شاع اصطلاح و النظام الإعلامي و وخاصة منذ اتخذه البعض معيارا للتفرقة بين البلاد التي تعتنى أي أيديولوجيات مختلفة ، كالرأسمالية والاشتراكية مثلا .

و النظام الإعلامي ؟ اصطلاح متشعب العناصر ، يكاد يشمل كافة جوانب الحياة المجتمعية ، بغض النظر عن الأيديولوجية التي يدين بها سواء عن اقتناع بضرورتها أو المحتمعية ، بغض النظر عن الأيديولوجية التي يدين بها سواء عن اقتناع بضرورتها أو كانت مفروضة عليه بفعل القهر والإكراه من قوى في الملاحل أو بالضغط من الحارج و نقول هذا لأنه كثيرا ما تكون ظروف الجتمع النامة لا تسمح بالأعد بمدهية معينة ، إما لأن الذين يدعون إليها قلة ، وإما لأنها مستوردة من مجتمع خارجي ، ولكن تتجح قوى معينة ، لسبب أو لآخر ، في القفز إلى ذرى السلطة فتكره الناس على اتباع هذه الملحية فيرضخون ويستسلمون ؟(١).

من أجل ذلك نرى أن العصر الحديث أحوج ما يكون إلى دراسة النظم الإسلامية بعامة والإعلامية بخاصة ، تعدد من الأسباب منها :

أولا : المجوم السياسي والثقافي على العالم الإسلامي بسبب الدعايات الرأسمالية (الليبرالية) والاشتراكية . فإن كلا من المسكرين ـــ الرأسمالي والاشتراكي ـــ يماول جاهدا أن يضم البلاد الإسلامية إليه . وكانت أخطر هذه المحاولات هي التي تحاول التقريب بينها و بين الإسلام ، وادعاء كل الفريقين ـــ الرأسمالي الالتيرالي والاشتراكي ـــ أن الإسلام ينتمي إليه . فلما رفض المسلمون ذلك احتاجوا إلى إظهار النظام الإسلامي في الإعلام والسياسة و الاجتاع والاقتصاد وبيان الغرق بينه وبين هذين النظامين (٢).

ثانيا: إن ميل بعض الدول الإسلامية المعاصرة إلى النظام الرأحالي الليبرالي وميل بعضها الآخر إلى النظام الاشتراكي أدى إلى الخلاف والشقاق ، بل والصراع المسلح أحيانا مما كان له أسوأ الأثو في التضامن الإسلامي وأدى إلى عجز المسلمين عن مواجهة المشاكل التي تبدد مصالحهم المشتركة . وقد فطن المسلمون أنحيرا إلى خطورة هذا الانقسام وحاجتهم إلى كلمة سواء تجمعهم جميعا(٢) .

⁽١) د . راشد البراوى : القرآن والنظم الاجتاعة المعاصرة ، ص ٩

 ⁽٢) د . مصطفى كال وصفى : خصائص النظام الإسلامى ، ص ٤

⁽٣) الرجع تقسه ، ص ٥

ثالثا: فشل الشعارات القومية والعنصرية في تجميع المسلمين العرب وعدم كفايتها في إقامة صرح اللفاع عن مصالحهم .. ففي مستهل القرن الحالى ... عندما أزمعت الدول الأجنبية تصفية الدول العثانية ... جنع المسلمون إلى إحياء أصولهم القديمة ... كالفرعونية والحيثية والفينيقية ونحو ذلك ... فقضوا بذلك على وحدتهم الإسلامية . ثم عادوا وتمسكوا بالقومية العربية ولكنها لم تتمر كثيرا ، لأن العروبة ليس لها نظام أو نظرية خاصة بها ، بخلاف الإسلام الذي ينطوى على جميع القيم الحضارية بدون عنصرية . ولذلك فقد تطلبت هذه الظروف مجتمعة ... وغيرها ... الاهتمام بإبراز النظام والاشتمادي بين المسلمين العرب من ناحية ... وإقامة أساس للتكامل السياسي والاقتصادى بين المسلمين العرب من ناحية ... وإقامة أساس للتكامل السياسي والاقتصادى بين المسلمين العرب من ناحية أعوى ..

ولم تتقبل الأفكار الوضعية في الدول الإسلامية هذا المنافس الجديد ... وهو النظام الإسلامي ... بسهولة . بل واجهته بالعنف والشدة أحيانا ، أو بالممالأة أحيانا أخرى .. ويمكن القول بأن هذه المواجهة اتحذت ثلاثة أدوار متميزة (١) :

الدور الأول : الإنكار التام لوجود نظم إسلامية سياسية أو اقتصادية أو غيرها ، والادعاء بأن الدين عقيدة وعبادة فقط ولا شأن له بالحياة العامة . وكان ذلك فى بدء ظهور الوعى الإسلامي بالنظم الإسلامية والمطالبة بأن تطبق هلمه النظم على البلاد فى الثلاثينات من هذا القرن . وكان المنكرون لوجود النظم الإسلامية من أصحاب الثقافة الأوربية التي تشبحت بالفصل بين الدين والدنيا بعد انتصار الحكومات على الكنيسة فى صد إعها الطويل على السلطة .

فلما تبين من مراجعة الكتب الفقهية الإسلامية أن الحقيقة هي أن الإسلام هو نظام اجتاعي ومنهج للحياة ، وأنه ليس قاصرا على المقيدة والعبادة فقط ، لم يجد المنكرون بدا من التسليم بهذه الحقيقة الواقعة والاعتراف بوجود النظم الإسلامية .

الدور الثاني : الادعاء بأن النظم الإسلامية هي نظم قديمة رجعية . وكان ذلك عقب التسليم بوجود هذه النظم ، وقالوا إنه لا يعقل أن نظاما ظهر منذ أربعة عشر قرنا يصلح للتطبيق في هذا الزمان .

ولكن تبين من الحوار الذي دار حول هذه المسألة الهامة أن النظام الإسلامي ليس متخلفا ولا متأخرا وأنه صالح لهذا الزمان ، بل هو أفضل من سائر النظم المطبقة في هذا العصر .

⁽١) المرجع نفسه ، ص ٦

الدور الثالث: عاو لات التقريب بين الإسلام والنظم المعاصرة. فإنه لما تبين فضل النظام الإسلامي ومتانته ، أنجهت الأفكار الوضعية إلى تملق الإسلامي والالتصاق به . فأشاد الرأسخاليون الليبراليون بما يتميز به الإسلام من الحرية في القول بالتشابه بين النظامين . وأشاد الاشتراكيون بما يتميز به الإسلام من النظام والتضامن للقول بتشابههما واستند كل فريق بحجج من آيات القرآن والأحاديث وأقوال الفقهاء لتدعيم ما يلهب كل منهما إليه .

وإزاء هذا اللبس أتجهت جهود علماء الإسلام ومفكريه إلى الفصل بين الإسلام والنظم الحديثة والتمييز بينهما . وصدر في مصر الدستور عام ١٩٧١ ناصاعل أن مبادئ الشريعة مصدر أساسي للتشريع وأعدت مشروعات قوانين متعددة على الأساس الإسلامي . وأسست بنوك إسلامية ونشطت فكرة التضامن الإسلامي . ثم فكرة الإعلام الإسلامي من بعد .

الفصي العاشر

الأسس الإعلامية للدعوة الإسلامية

نتلول فى هذا الفصل الأسس الإعلامية للنعوة الإسلامية ، على النحو الذى تيسر لنا استقراؤه من دراسة الإعلام فى صدر الإسلام ، وما أسفرت عنه الدراسة من نتائج تفيد الدراسات الإعلامية المعاصرة فتؤكد على إيجابياتها ، وتعالج سلبياتها بهدف الوصول إلى النظرية المثلي المستقرأة من الإعلام الإسلامي . . استنادا إلى جوهر الدعوة الإسلامية ذاتها التي خاطبت الإنسانية كلها برسالة واحدة ، على نقيض ما اتسمت به الدعوات السابقة للإسلام من خصوصية ، حيث كان الرسول قبل الإسلام يأتى لقومه فقط ، فكان ما يناسب بيئة لا يناسبه أخرى ، ومن هنا تعلدت الرسالات قبل الإسلام وفقا لتعدد البيئات .

و بنظرة موضوعية فى تاريخ الرسالات نرى أن الدعوة الإسلامية هى الرسالة العامة إلى كل الخلق، وأن الرسالات السابقة تعتبر تمهيدا الإسلام. وقد صور النبي عليه هذه الحقيقة بقوله (مثلي ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) . وصحيح مسلم ح٧ ص ٢٤ ٥٠) ٥ . ومع ومع هذا الترابط بين دعوات الله في الناس ، فإن الدعوة الإسلامية تتميز عن سائر

و مع هذا الترابط بين دعوات الله في الناس ، فإن الدعوة الإ سلاميه تتميز ع الدعوات الإلهية بميزات قرى أنها تمثل سمات الإعلام الإسلامي ، ومنها :

١ ـــ أن الإعلام الإسلامي وسيلة لدعوة اكتملت فيها نعمة الله باكتمال دعوته في العالمين ، ومتاسبتها للرق الإنساني في أرق مظاهره في كل زمان ومكان .

٢ ــ أن الإعلام الإسلامي يحقق التعادلية بين المادة والروح في الحياة الفردية والجماعية ، وبذلك يخالف الماديين الذين يتجهون إلى نيل أكبر قسط من المادة مع إغفال كثير من المعانى الإنسانية ، ويخالف الروحانيين الذين ينادون بقتل النفس بالزهد والحرمان .

وعلى ذلك فإن التحليل الوظيفي للإعلام الإسلامي يذهب إلى أنه يرضي ضرورات الجسد والروح معا : النفس والنسل والعقل والدين والمال ، وهي الضرورات التي تتعلق بها مصالح الدنيا والآخرة ، ويتحقق بها السلام والسعادة . يقول الشاطعي ه ومجموع الضرورات حمس : وهي حفظ الدين ، والنفس ، والنسل ، والمال ، والعقل ، وهذه الضرورات إن فقلت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد والرجوع بالخسران المبين » .

٣ أن الإعلام الإسلامي - كاتقدم - ينبع من شمول التشريع الإسلامي لأنواع الناس ولكافة مراحل تطور الإنسان ، وبذلك تشمل كيان الفرد كله والمجتمع بأسره ، ولا تفرقة بين ذكر وأنني ، ولا ميزة للون أو لجنس ، أو لعارض من عوارض الدنيا .
وبذلك يسمى الإعلام الإسلامي لتحقيق الإخاء والعدل والحرية والمسلواة .

الإعلام الإسلامي والقطرة الإنسانية :

تقوم الأسس الاتصالية للإعلام الإسلامي على قوانين الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وهي القوانين التي تدفع بمفكري المصر إلى المناداة بدرانية الإنسان . فالإعلام الإسلامي إذن يقوم على (إنسانية الإنسان ، يقول سبحانه وتعالى في سورة العلق : في القرأ باسم ربك المذي خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، المذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، كلا إن الإنسان ليطفى ، أن رآه استغنى وإن إلى الربعة على المن الم يعلم ، كلا إن الإنسان ليطفى ، أن رآه استغنى وإن إلى الربعة على .

فعبادة الإنسان لله سبحانه وتعالى إرادية وواعية في جانب منها على الأقل ، بخلاف عبدة غيره من الكائنات . فإذا كانت الذرة تعبد الله بالطاعة لا إرادة فيها ولا وعى . وإذا كان الكون والأرض وما عليها من نبات وحيوان تعبد الله على نفس الطريقة ، فإن وإذا كان الكون والأرض وما عليها من نبات وحيوان تعبد الله على نفس الطريقة ، فإن وطريق العجابة العبل المقدرة على التمييز بين الطريقين واحتيار أحدهما والمضى فيه في وهديناه النبودين في في إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا في البلد ١٠ في ونفس وما سواها ه فأضها فجورها وتقواها في . الإنسان ٣ في ذا أفلح من وكان وفيهم وإدراك . وهو زكاها ، وقد حاب من دساها في الشمس ٧ - ١٠ ومن ثم فالإنسان هو الخلوق الوحيد من مخلوقات الأرض الذي يعمى الله حين وعى وفهم وإدراك . وهو كذلك الخلوق الموحيد في الأرض الذي يعمى الله حين يتحرف عن طريق المداية كذلك الخلوق الموحيد في الأرض الذي يعمى الله حين يتحرف عن طريق المداية وتعالى .

ويدركه بالفطرة .. ﴿ وَإِذْ أَحَدُ رِبكَ مَن بني آدم مِن ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بل شهدنا ﴾ الأعراف ١٧٧ .

والفطرة طريقة خفية في إدراك وجود الله سبحانه وتعالى ، والإيمان بوجوده ، والانصال به ، والاستعانة به ، والتزود من زاده(١) .

وإنطلاقا من هذا الفهم ، غإن الإعلام الإسلامي يقوم على الفطرة ، ويخاطب المقول ويقنعها بالدليل . ذلك أن الإسلام يقدر العقل المدرك ، وقد حفل القرآن الكريم بخطاب و المقل و بكل ملكة من ملكاته ، قبل أن يصبح العقل و درسا ، يقصاه الدارسون كنها وعملا ، وأثرا في داخله وفيما يخرج عنه ، وفيما يصدر منه وما يمول إليه .. على حد تعبير العقاد . قالعقل وازع و يعقل ، صاحبه عما يأباه التكليف ، والعقل فهم وفكر يتقلب في وجوه الأشياء وفي بواطن الأمور .. والعقل رشد يميز بين الهداية والضلال ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فَي خَلَقَ السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا ﴾ آل عمران. ﴿ وَيَتَفَكُّرُوا فَي أَنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق

وأجل مسمى ﴾ الروم .

فالإيمان بالعقل المسئول ، إذن ، هو أساس الإعلام الإسلامي ، على نقيض ما يحدث اليوم في أتحاء العالم من ضغوط على الجماهير لاعتناق أفكار معينة والإيمان بمتقدات جدينة . وعلى نقيض ما يسميه عالم النفس الهولندي مبرلو بأساليب قتل المقتل Menticisal . وهنا يصبح الإعلام الإسلامي هو التموذج الأمشل في تحقيق ما تسمى إليه النظريات الإعلامية من جعل الإعلام يزود الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقاق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، يحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعها من عقلية الجاهامير والمجاهامي وميوفيم .

فالإعلام الإسلامي يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الأخيار والمعلومات ، لأنه يخاطب العقل في المحل الأول ، اتطلاقا من فهم القرآن الكويم ، حيث يقول الله سبحانه و تعالى :

ُ ﴿ إِنَّا آَوْلِنَاهُ مَرِ آنَا عربيا لملكم تعقلون ﴾ يوسف ١ ومن فهم الآيات الكونية التي خاطبت العقل ، والتي منها قول الله تعالى :

هو وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون كه النحل ١٢

⁽١) محمد قطب : دراسات في النفس الإنسانية ، القاهرة ، دار الشروق ، ص ٢١٥

ويعيب القرآن الكريم على من يهمل عقله ، يقول تعالى : ﴿ أَتُأْمُرُونَ النَّاسُ بِالبَرِ وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ البقرة ££

فتراه سبحانه ينكر تعطيل العقل عند من يفعل ذلك ، ويوضع الرمخشرى فى تفسيره هذا وهو يقول أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه ، وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول فإنها فى الواقع تأباه و تدفعه . يقول تعالى :

﴿ إِن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ الأنفال ٢٧ ومن أجل ذلك يشترط الإعلام الإسلامي الالتزام بمعليم الصدق والأمانة ، وتزويد الناس بالمعلومات الصحيحة والحقائق الواضحة التي يمكن التبت من صحبا أو دقتها بالنسبة للمصدر الذي تنبع منه أو تنسب إليه ، وقد بين الله تعالى ذلك فقال جل شأنه : ﴿ إِن ف خلق المسفوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾ آل عمد ان ، ١٩ ٠ .

يقول ابن كثير بعد أن عدد بعض ما فى هذه الآيات من عجب إنها لأصحاب المقول التامة التى تدرك الأشياء بحقائقها عل طبيعتها ، ذلك لأن اللب هو كمال حال المقل .

و تأسيسا على هذا الفهم يمكن القول إن الإعملام الإسلامي يخاطب الفطرة الإنسانية ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وكرمه على كثير من خلقه ، ورزقه من الطيبات وابتلاه بالخير والشر فتنة . ونفخ فيه من روحه ، ووهبه العقل ، ومنّ عليه بالرسل والأنبياء ينيرون له طريق الحياة ويهدونه سواء السبيل ، ثم جعله مسئولا ، وإن أحسن فلنفسه وإن أساء فعلها .

والصفات الآتية هي الصفات التي فطر الله الناس عليها كما وردت في القرآن الكريم:

﴿ و لقد كرمنا بنى ادم و خملناهم فى البر والبحر ورز فناهم من العليبات و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ الإسراء ٧٠

ــ خلقه الله تعالى في أحسن تقويم .. خلَّمًا وخلُّمًا وعقلا :

إلى يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ، الذي خلقك فسواك فعدلك . في أي صورة ما شاء ركبك ، كلا بل تكذبون بالدين ، وإنا عليكم لحافظين ، كراما كاتين . يعلمون ما تفعلون ، هي القد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير محنون ، التين ٤ ـــ ٦

ـــ نفخ الله فيه من روحه :

﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ علق الإنسان من طين ه ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ه ثم سواه و نفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفلدة قليلا ما تشكرون ﴾ الحيج ٦ ـــ ٩

ــ استخلفه الله تعالى في أرضه:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكُ لِلْمَلَائِكَةَ إِنْ جَاعَلَ فِي الأَرْضَ عَلَيْفَةَ قَالُوا أَتَّجِعَلَ فِيهَا مِن يفسد فِيها ويسقك الدماءو عن نسبح بحمدك وتقدس لك قال إنى أعلم ما لا تعلمون ﴾ البقرة ٣٠

ــ مكته الله تعالى في الأرض :

﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ﴾ الأعراف . ١

ــ الصالحون منهم يوثون الأرض :

﴿ وَلَقَدَ كَتَبُنَا فِي الزَّبُورِ مَن بَعَدَ الذِّكرِ أَنَ الأَرْضَ يَرْتُهَا عَبَادَى الصَالْحُونَ ﴾ الأنبياء ١٠٥

ــ مسئول :

﴿ وَمِن يَكُسُبُ إِنَّمَا فَإِنَّمَا يَكُسُبُهُ عَلَى نَفْسُهُ وَكَانِ اللَّهُ عَلَيْمًا حَكَيْمًا ﴾ النساء ١١١

﴿ وَقُلُ الْحَقِّ مِن رَبِّكُم فَمِن شَاءَ فَلَيُؤُمِّن وَمِنْ شَاءَ فَلَيْكُفُر ﴾ الكهف ٢٩

﴿ وَلا تَقَفَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عَلَمَ إِنْ السَّمِعِ وَالْبَصِرِ وَالْفَوَّادَ كُلُّ أُولَّنْكَ كَانَ عَنه مسئولًا ﴾ الإسراء ٣٦ .

﴿ وَأَنْ لَيْسَ لَلْإِنْسَانَ إِلَّا مَا سَعَى هَ وَأَنْ سَعِيمَ سُوفَ يَرَى هَ ثُمْ يَجْزَاهُ الجَزاء الأُوفى ﴾ النجم ٣٩ __ ٤٦

﴿ كُلُّ نَفْسُ بِمَا كُسبت رهينة ﴾ المدثر ٣٨

فقير إلى الله :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنِتُمَ الْفَقْرَاءَ إِلَى اللَّهُ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنَى الْحَمَيْدُ ﴾ فاطر ٥٠

ــ خلق فی کبد :

﴿ لا أقسم بهذا البلده وأنت حل بهذا البلده ووالدوما ولده لقد خلقنا الإنسان ف كبد ﴾ البلد 1 _ 2

_ مبتل من الله تعالى :

يبتليه الله بالخير والشر ثبتة ، ليمجم عوده وبيين الغث من السفين ، والمؤمن الصابر من الكافر الجزوع . ﴿ إنا خلقنا الإنسان من نطقة أمشاج فجعلناه سميعا بصيرا ، إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفروا ﴾ الإنسان ٢ ـــ ٣

﴿ ولنبلونكم بشيء من الحنوف والجوع ونقص منَّ الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ﴾ البقرة ١٥٥

﴿ ونبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ﴾ محمد ٣٠. ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة يتضح لناأن للإعلام الإسلامي في غاطبته الإنسان ومن هذه الآيات القرآنية الكريمة يتضح لناأن للإعلام الإسلامي في غاطبته الإنسانة والكشف والسبق لكل ما يستحدث من نظريات ، تتطور في إطاره وتنمو وتتقدم والكشف والسبق لكل ما يستحدث من نظريات ، تتطور في إطاره وتنمو وتتقدم ألإعلامية المعاصرة تذهب إلى أن الناس يقبلون على الإعلام إذا كانوا يجنون فيه فائلة عققة لهم ، أو إشباعا لحاجاتهم ، وقد تفيد المعلومات فلي المحاجلة كما قد تعبير الناس في وسائل الإتصال بالجماهير يجنون معلومات آجلة ، على النحو الذي يجعل الناس في وسائل الإتصال بالجماهير يجنون معلومات ترشدهم وتفيدهم ، وفضلا عن ذلك تساعد المعلومات على تأكيد الثقة بالنقس وتحقيق الانسجام المداخل والائتلاف الاجتاعي ، وهو الأمر الذي تحققه مبادئ الإعلام الإسلامي التي تنبع من الإيمان بالله ، من حيث تنظيم علاقة الفرد بنفسه ، الإعلام الإسلامي إلى المناس المجتمع العالى الإنساني بالوشائح القوية من الإعام والتسام والتعاون والتكامل .

وإذا كانت الدراسات الإعلامية الحديثة تلهب إلى أن الرسالة الإعلامية السي يحتاجها المستقبل ويشعر بأنبا نلبي حاجاته ، تظفر منه بالنقبل والاهتام والسمعي للحصول عليها .. فإن الإعلام الإسلامي يدور في إطار يشمل الإنسانية في كافة أقطارها وأزمانها ، ويمنح قلب المستقبل راحة وهدوعا ، ويمسح لعقله طمأنينة واستقرارا ، حيث يجد أنه ـــ إذ يتصل بالله سبحانه وتعالى ــ يتصل بحقيقة المؤثرات الفاعلة في هذا الوجود ، كاهي في علم الحقيقة والواقع ، كا يصفى ضمير المستقبل من الغرور ، ويخلص نفسه من الكبرياء ، ويمحو ما أصاب عقله من جهالة ، ومن ثم يدور الإعلام الإسلامي في صور متعددة ، تتناول كل صورة منها بعدا من أبعاد الإنسان المستقبل بالتبذيب والتوجيه حتى تتناسق الجماعة كلها ، وتعلاقي في مجمع المستقبل بالتبذيب والتوجيه حتى تتناسق الجماعة كلها ، وتعلاقي في مجمع حى الضمير ، متاسك البنيان ، واعى الفكر ، مرهف المشاعر ، واقعى النظرة ، خيّر النزعة ، مستقيم السلوك ، يشيع بين أفراده إحساسا بالمسئولية ، ويسودهم شعور بالنساوى يلزمهم بالحرية .

وإذا كان الإعلام يقبل عليه الناس في عصرنا لأنه يعطيهم من الأفكار والمعلومات ما يستخدمونه في رفع مستوى معارفهم ، فإن الإعلام الإسلامي قد أكد على ذلك ، وأدى إلى دعم التجاهاتهم النفسية و تعزيز قيمهم ومعتقداتهم . قال رسول الله عليه (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) . رواه البخارى ومسلم .

فمن هذا الحديث الشريف يتضع أن الإسلام الذي ينبع منه الإعلام الإسلامي يعنى التصديق بالقلب والتصديق باللسان ، مع الوفاء بالفعل والاستسلام لله في جميع ما قضى وقدر . والشهادة قول صادر عن علم حصل لمشاهدة بصر أو بصيرة ، و تقال لمطلق الإقرار والاعتراف بالإله المعبود . والصلاة في الأصل الدعاء ، و تقال للعبادة ما لمغروفة لما نها من الدعاء والتوجه إلى الله . وإقامتها بالخشوع فيها ، والتفكر في ممانيها ، و تذكر من أقيمت له ، فهي من أقام المود إذا قومه . والصلاة إذن توثق صلة العبد بربه ، فيفيض عليه من خيره ، و تطهر نفسه من التكالب على أعراض الدنيا ، و تعوده الإخلاص والابتعاد عن التفاق . أما الزكاة فقد أطلقت في عرف الشارع على ما يخرجه الإنسان من ماله حقائلة تعالى ليصرف للموى الحاجات وفي المصافح العامة . و الصوم يذكى في الإنسان روح التفكير ، إذ البطنة تذهب بالفطنة ، ويذكره في كل لساخ القامد ، والمراد به في لسان الشارع قصد البيت الحرام سالكجة — وفيه يتجلى الإعلام الإسلامي في أوضح صوره ، والوقوف على حال المسلمين في الأقطار المختلفة . والإعلام أول خطوة إلى العمل بدعائم الإسلام وقيمه الأصيلة .

الأسس الاتصالية في الإعلام الإسلامي:

وانطلاقا من هذا الفهم يتضح أن الإعلام الإسلامي يقوم على أسس اتصالية رائلة بالقياس إلى النظريات الإعلامية لملاصرة ، ذلك أنه خاطب الفطرة الإنسانية على نحو غير مسبوق ، وهو الأمر الذي تسعى إليه جاهدة نظريات الإعلام في عصر نا هذا بهدف دراسة و تحليل عندات السلوك Determinants Behavior , و بعض هذه المحددات هى : المحددات الورائية الخاصة بالجينات genetic المحددات اليولوجية والفسيولوجية ، المحددات اللاواعية أو اللاشعورية ، . . . إغ . ومن هذه الدراسات المعاصرة يحاول علماء الاتصال (من أمثال ألبورت ١٩٢٧) و وار المن أمثال ألبورت ١٩٦٧ (٥)، و وارتليت ١٩٥٨ (٢) و جرونر ١٩٥٨ (٥)، و هوفلاند ١٩٥٣ (٥)، والتأحيف التعرض للاتصال، والتأحيف التعرض للاتصال، والتأحيف النسلوكية والوقفية المترتبة على الاتصال، كل ذلك يحكمه بسعفة تعاصة الاستعاد المسبق لدى الشخص المستقبل.

وتركز هذه الدراسات على التغير السلوكي من خلال دراسة مكونات عملية الاتصال والمتغيرات التي ترتبط بكل منها، وتتضمن عملية الاتصال كما سيق وأوضحنا في الفصل الأول:

أـــ المصادر،

ب ـــ الرسالة .

. جـ ـــ المستقبل.

د _ قناة الاتصال.

ونحاول في هذه الصفحات دراسة العناصر المتعلقة بالمصدو ، مرجعين دراسة قناة الاتصال لكتابنا التالي على اعتبار أنها تمثل القاسم المشترك بين العصور المختلفة في تطور الإعلام الإسلامي ، وعلى اعتبار أننا درسنا عنصر الرسالة في الفصول المتقدمة .

Allport, 6, W., "The Historical Background of Modern Social (\)
Psychology "in Lindsey, G. (Ed.), Handbook of Social Psychology vol. 1,
Reading Mass.: Addison Wesley, 1959.

and Postman, L., The Psychology of Rumor N. Y.: Halt, 1947.

Bartlett, F. C., "Social Factors in Recall "in Maccoby, E. E. (Y) Neucomls, T. M., and Hartly, E. L. (Eds), Reading in Social Psychology.

Neucomis, T. M., and Hartly, E. L. (Eds), Reading in Social Psychology, N. Y.Holt, Rinehart and Winston, Inc, 1958, pp. 47 - 54.

Bruner, J. S., "Social Psychology and Perception" in Maccoby, E. (Y)
E., et al (Eds.) Readings in Social Psychology N. Y.: Aolt, Rinehart and
Winston, 1950, pp. 85 - 94.

Hovland, C. I., Janis, I. L., and Kalley, H. A., Communication and (1)

Persuasion, New Haven, Cann. : Yale University press, 1953

Schramm, W. (Ed.) The process and Effects of Mass (0) Communication, Urbana, 111.: University of Illinois press, 1961.

مصدر الاتصال:

إن مصدر الاتصال - كا تقول الدراسات الحديثة - هو منشئ الرسالة . و في جال الإعلام الإسلامي فإن المصدر هو القرآن الكريم والسنة المطهرة ، ويكون الدعاة الإعلاميون هم الذين يثلون عنصر و المرسل ا الكريم والسنة المصدر . ولذلك فإن الدراسات الحديثة تركز في هذا العنصر على قابلية المرسل أو المصدر للتصديق ، فقد وجد هو فلاند ووايس (١٩٥١) (١٥ وكليمان وهو فلاند (١٩٥٣) (١٥٥ في تجاربهم على المصادر عالية و قليلة القابلية للتصديق ، أن المعرضين للاتصال يكتسبون نفس الكمية من المعلومات بفض النظر عن درجة قابلية المصدر للتصديق . وإذا كان الاتصال منسوبا بالمصدر قليل القابلية للتصديق ، فإن المعرضين للاتصال سيحكمون على المعلومات بصورة أقل عدلا وسيجدون أن الاستنتاجات تبريرها أساسه ضعيف . وتضح هذه الدراسات أن أماتة المصدر وجدارته بالثقة جانب هام من جوانب قابلية المصدر للتصديق .

ولقد أكد الإفلام الإسلامي على ضرورة توافر الصفات المثل في الدعاة ورجال الإعلام لكي يكونوا موضع تصديق، ذلك أن هؤلاء هم ورثة النبي عليه في مهمته الإعلام لكي يكونوا موضع تصديق، ذلك أن هؤلاء هم ورثة النبي عليه يؤكد للمسلمين على ذلك، فقال لأصحابه (ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب). صحيح البخارى حدا ص٣٧ كتاب العلم باب ليبلغ الشاهد منكم الغائب. وقال عليه : (تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم). الفتح الرباني جدا ص٣٤ كتاب العلم باب فضل البلغ الحديث.

والطلاقا من هذا الفهم يمكن أن نتناول هنــا فى ضوء دراسة هذا العـنـصر الإعلامي، المبادئ التي قام عليها الإعلام الإسلامي وفى مقدمتها :

الصدق: ذلك أن الإسلام جعل الصدق فضيلة للإنسان، بوجه عام، وهي بالقياس إلى الإعلام الإسلامي تكون أهم مقومات تصديق المصدر أو المرسل الذي يبلغ

Hovland, C. I. and Weiss, W., "True influence of Soake & (1) Credibility on Communication Effectiveness", Public Opinion Quarterly Vol. 15, (951, pp. 635-650).

Kelman, H. C. and Hovland, C. I. "Reinstatement of the (Y) Communication Delayed Measurment of Opinion Change" Journal of Ablcor Wal and Social Psychology, Vol., 1053, pp. 327 - 335.

دعوة الله كما جاءت ، وبيين غوامضها ، وينقل كل بيان قبل في شأنها . ولذلك كانت أهم صفة اشتهر بها الرسول عليه الصلاة والسلام هي صفة و الصادق الأمين ،

و لما سأل هرقل أبا سفيان ــولم يكن قد أسلم بعد ــ عن محمد قائلا: وهل كتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ أجابه: لا . فقال هرقل: أعرف أنه لم يكن ليفر الكذب على الناس ويكذب على الله(١).

وهرقل هنا يمثل دور المستقبل الذي يشترط الصدق في المصدر، لأن من يلتزم الصدق مع الناس يكون صادقا مع ربه سبحانه وتعالى . وكان النبي ﷺ يؤكد على هذا . المعنى الاتصالي في بدء الدعوة والجهر بها حيثها قال للناس : (لو أخير تكم أن خيلا تحرج من سفح هذا الجبل . أكتم مصلق ؟) قالوا جميعا و ما جربنا عليك كذبا و؟؟) .

وفي القرآن الكريم يؤكد الله تعالى في أكثر من آية على التزام الصدق في كل شيء، وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا اللَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهُ وكُونُوا مَعَ الصَّادَقِينَ ﴾ التوبة ١١٩. وقال تعالى: ﴿ إِنْهُ كَانَ صَادَقَ الْوَعْدُ وَكَانَ رَسُولًا نَبِياً ﴾ مريم ٥٤.

وقال سبحانه: ﴿ وينصرون الله ورسوله أولتك هم الصادقون ﴾ الحشر ٨ . وقال جل شأنه: ﴿ والـذي جاء بالصدق وصدق به أولـك هم المتقـون ﴾

الزمر ٣٣ .

ويقول النبي عليه الصلاة وأزكى السلام: (عليكم بالصدق فإن الصدق يبدى إلى الروبار يهدى إلى المبدق ().

والمرسل فى الإعلام الإسلامي يظهر صدقه فى وجهه وصوته وما يخط قلمه، فقد كان ﷺ يتحدث إلى من لا يعرفونه فيقولون: والله ما هو بوجه كذاب ولا صوت كان ٤٤).

وليس من شك فى أن ظهور أثر الصدق فى القائم بالإعلام الإسلامى يؤثر فى الجمهور المتلقى ويحمله ذلك على قبول رسالته الإعلامية واحترامها .

⁽۱) صحیح البخاری ، جد ۱ ، ص ۵ -- ۱ ، یاب یاده الوحی ،

⁽۲) صحیح البخاری ، جد ۹ ، کتاب التفسیر ،

⁽٣) موطأ مالك ، جدة ، ص ٢٢٧ ، ما جاء في الصدق .

 ⁽٣) تذكرة الدعاة ، للبي الحول .

الصبر والثبات:

فالمثابرة على الدعوة من أهم صفات الإعلامي المسلم، وهذه المثابرة تقتضى الصبر الذي يعد نصف الإيمان، وهو لغة: الحبس والكف، وشرعا على ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على المصائب والبلاء. ذلك أن الإعلاميين والدعاة ميتلون بأذى الكفار والمارقين بالقول والكيد. قال تعالى:

﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصيروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين ﴾ الأنعام ٣٤.

وقال جل شأنه: ﴿ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ه فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ الحجر ٩٧ ـــ ٩٩ .

وقال سبحانه و تعالى : ﴿ فاصبر إن وعدالله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون ﴾ الروم ١٠ .

فالصبر والثبات هما عدة الإعلاميين والدعاة في الإسلام، وقد أوذي أصحاب الرسول عليه السلام في قلة أشد الأذى، وكان الله يأمرهم بالصبر (صبرا آل ياسر إن موحدكم الجنة). فالإعلاميون والدعاة المسلمون يقابلون الأذى بالصبر الجميل، ولذلك يؤكد الدارسون المسلمون في صلم الدعوة على ضرورة توافر عدد من الشروط في المرسل في نظرية الإعلام الإسلامي:

 أن يدعو الإعلامي المسلم إلى الله على بصيرة بالوسائل والكيفيات المشروعة التي بينها القرآن الكريم وطبقها النبي عليه السلام. فإذا أدت هذه الوسائل إلى أذى يصيب الداعى فعليه أن يتقبله بالصبر لا بالجزع ، وبالثبات لا بالفرار .

٢ ــ إذا كان الإعلامي المسلم قادرا على توق الأذى، فعليه أن يتوقاه حسب الظروف والأحوال، لأن فيه فتنة مهولة العاقبة. جاء في الحديث الشريف (لا ينبغي للمؤمر أن يلل نفسه).

قالوا ٥ وكيف يذل نفسه يا رسول الله؟ ٥.

قال (يتحمل من البلاء ما لا يطيق)(١).

٣ ــ من الأدعية المأثورة أن يسأل المسلم ربه العفو والعافية . وفى وصيته عليه السلام لأسامة بن زيد وقد جعله أميرا على الجيش لغزو الروم قبل وفاته عليه السلام بأيام ، قال له (ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا

⁽١) إمتاع الأسماع ، ص ٢٨

اللهم اكفناهم واكفف بأسهم (١)، وقال الله سبحانه و تعالى ﴿ و كفى الله المؤمنين القائل ﴾. ولقد هاجر المسلمون من مكة إلى الحبشة فرارا بدينهم وتخلصا من أذى قريش، فلل ذلك على جواز دفع البلاء والأذى وعدم الاستسلام له، لأن نفس المسلم ليست ملكه وإنما هى ملك لله، فلا يجوز إتلافها بلا فائلة تعود إلى الإسلام . والإعلامي أو اللناعي المسلم لا يستدعى الأذى لنفسه، بل يعمل على عدم وقوعه . وإذا وقع عمل على دفعه بكل وسيلة مشروعة في ضوء القرآن والسنة .

\$ —إذا وقع الضرر والأذى على الإعلاميين والدعاة المسلمين رغم الترامهم بالسير
 المشروعة في الدعوة والإعلام الإسلامي، فعليهم أن يستعينوا بالله ويصبروا الصبر
 الجميل، وليطموا أن الأمور كلها بيد الله تعالى(٧).

الرحمة والعفو والتواضع:

وهله الأخلاق الإسلامية جميعا تعد من صفات الداعية المسلم ورجل الإعلام الإسلامي، فقد قال عليه الصلاة والسلام (لا يرحم الله من لا يرحم الناس)، (لا تنزع الرحمة إلا من شقى)، (الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يحكم من في السماء).

ذلكُ أنَّ رسول الإسلام عليه أفضل الصلاة والسلام وقدوصفه الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنم حريص عليكم بالمؤمنين رعوف رحم ﴾.

فالرحمة إذن مبدأ من المبادئ المثل في الإعلام الإسلامي، لأنها تؤدى في نهاية الأمر إلى تحقيق التواصل في كيان الأمة الإسلامية على أرفع مستوى، تحكم به كل نظريات الاتصال والإعلام في القديم والحديث.

عن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى) أخرجه البخارى ومسلم.

والتراحم لغة: التواد والتعاطف، وكلها من باب التفاعل الذى يستدعى اشتراك الجماعة فى أصل الفعل، وكذلك التواصل، وبينها ـــ وإن تقاربت فى المعنى ـــ فرق لطيف. فالتراحم: رحمة بعضهم بعضا بأخوة الإيمان لا بسبب آخر. والتواد:

⁽١) سيرة ابن هشام ، ص ٣٣

⁽٢) د . عبد الكريم زيدان : أصول الدعوة ، جد ١ ، ص ٩٣

التواصل الجالب للمحبة. والتعاطف إعانة بعضهم بعضا كا يعطف الثوب على الثوب تقوية له . و تداعوا : دعا بعضهم بعضا ، و هكذا يستخدم الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الألفاظ الدالة على جوهر الاتصال والإعلام ودلالة التراحم فيهما ، فيمثل على المؤمنين في هذه الخلال بالجسد الواحد . فكما أن الجسد إذا مرض منه عضو تأم له كل أعضائه ، فكذلك المؤمنون يسعون بالتعاطف لدفع الألم عن أي مصاب فهم ، و بجليون له الحور . فللسلمون في نظرية الاتصال الإسلامي كشخص واحد ، وكل فرد منهم بالنسبة للمجموع كالمضو بالنسبة للشخص ، فالخير يصيب الواحد منهم كأنما أصاب جميعهم .

وغلص مما تقدم إلى أن نظرية الإعلام الإسلامي تلعب إلى العمل على نشر الدعوة الإسلامية بكل الوسائل المشروعة، لأفراد الأمة الإسلامية ولفيرها من الأمم الأخرى.

للإعلام الإسلامي

تم الجزء الأول بحمد الله تعالى ويليه الجزء الثانى : الأسس الفنية .

بن والسيسات

أبينسسة المسساوى

(١) جارودي والعضارة الاسلابية بالاشتراك مع ده عبد العزيز شرف

(٢) الاسمالم وهضارة السنقيل

بالاشتراك مع د، عبد العزيز شرف

(٣) نظرية الإعلام في الدهوة الإسلامية بالاشتراك سع د، عبد العزيز شرف

. (قصص درابيسة دينيسة)

،)) المجزة الكبرى وامراة المزيز

(ه) حب بلا نهساية

(٦) هو هېي وقد نذرت له څغي

(٧) الأزهر الشريفة

(٨) لا اله الا الله (مسلسل التلفزيون)

